الحقيقة الباهرة

في

أسرار الشريعة الطاهرة

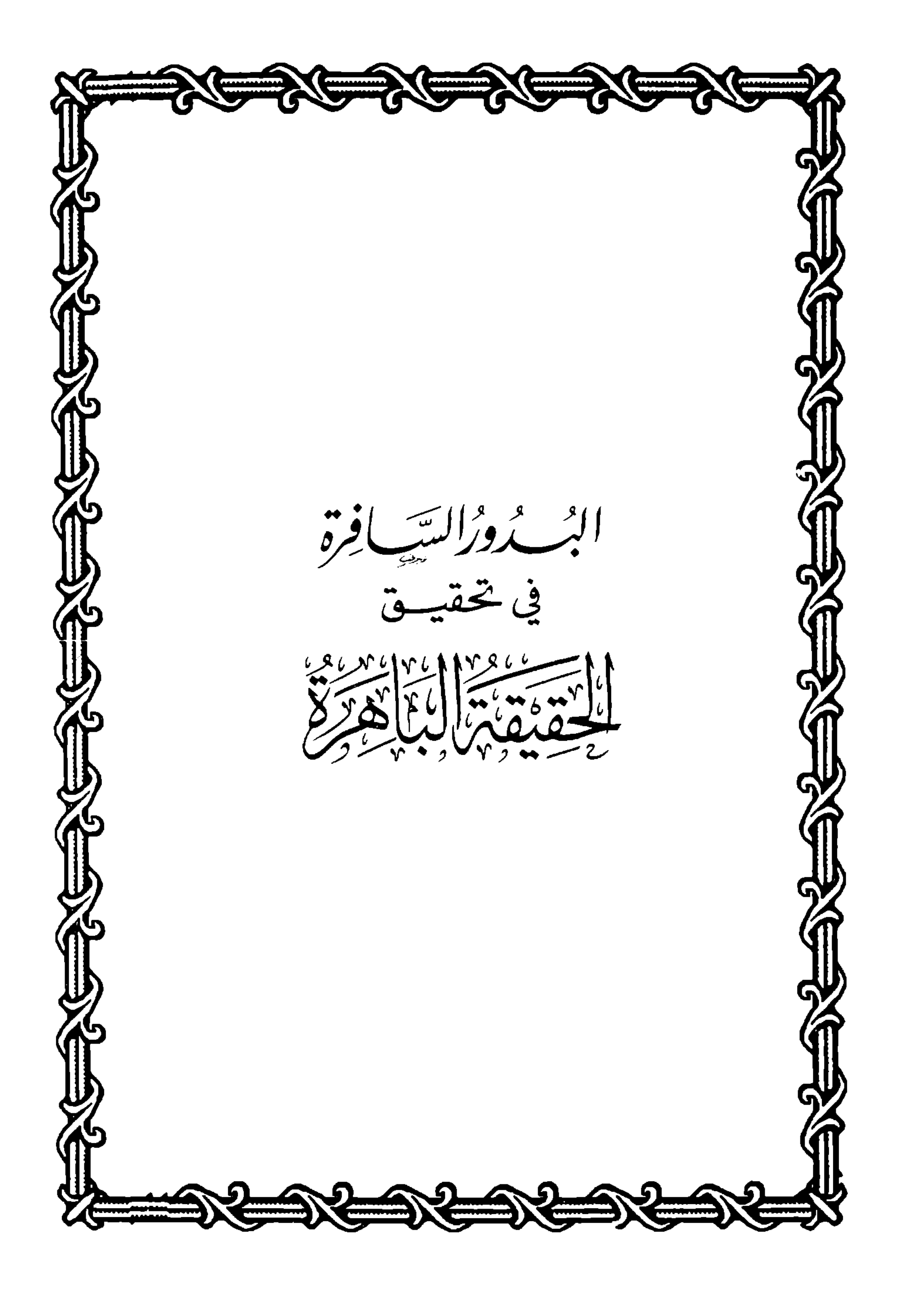
العلامة

أبو الهدى محمد بن حسن الصيادي الرفاعي

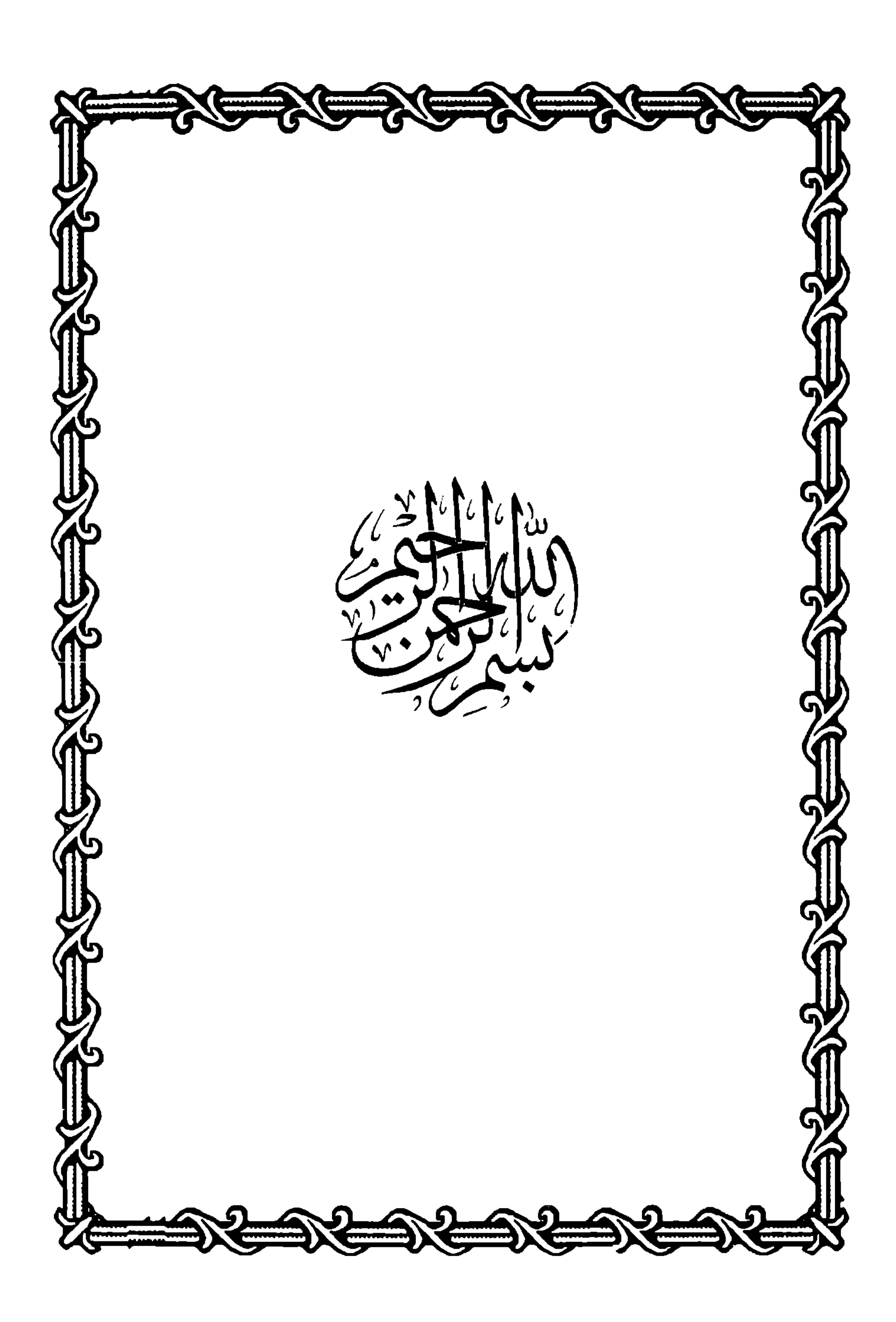
المتوفى بإستنبول ١٣٢٧ هـ

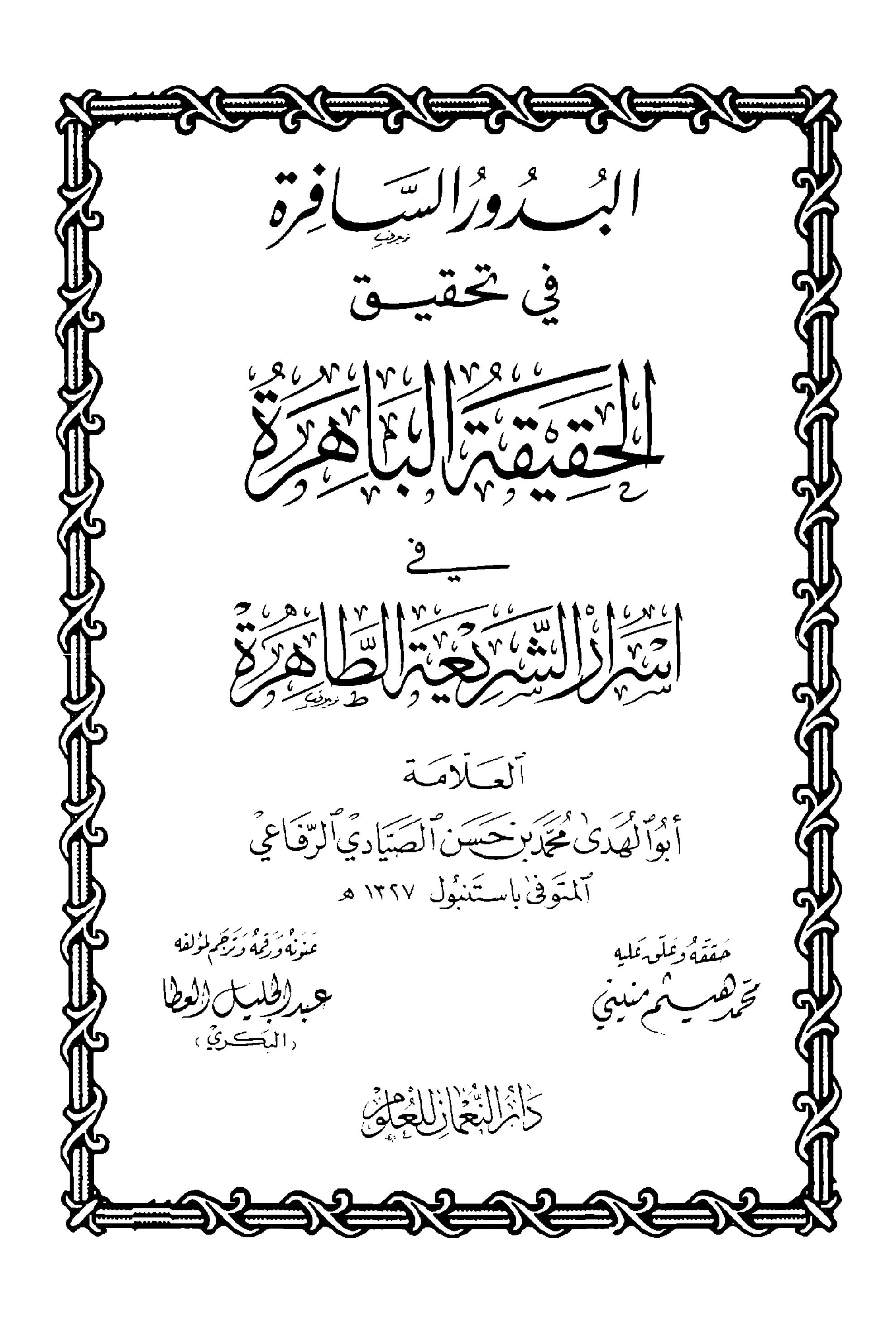
دار النعمان للعلوم





البُدُورُ السَّافِرة
في تحقيق
الحقيقة الباهرة


بسم الله الرحمن الرحيم



البدور السافرة في تحقيق الحقيقة الباهرة في أسرار الشريعة الطاهرة

العلامة

أبو الهدى محمد بن حسن الصيادي الرفاعي

المتوفى باستنبول ١٣٢٧ هـ

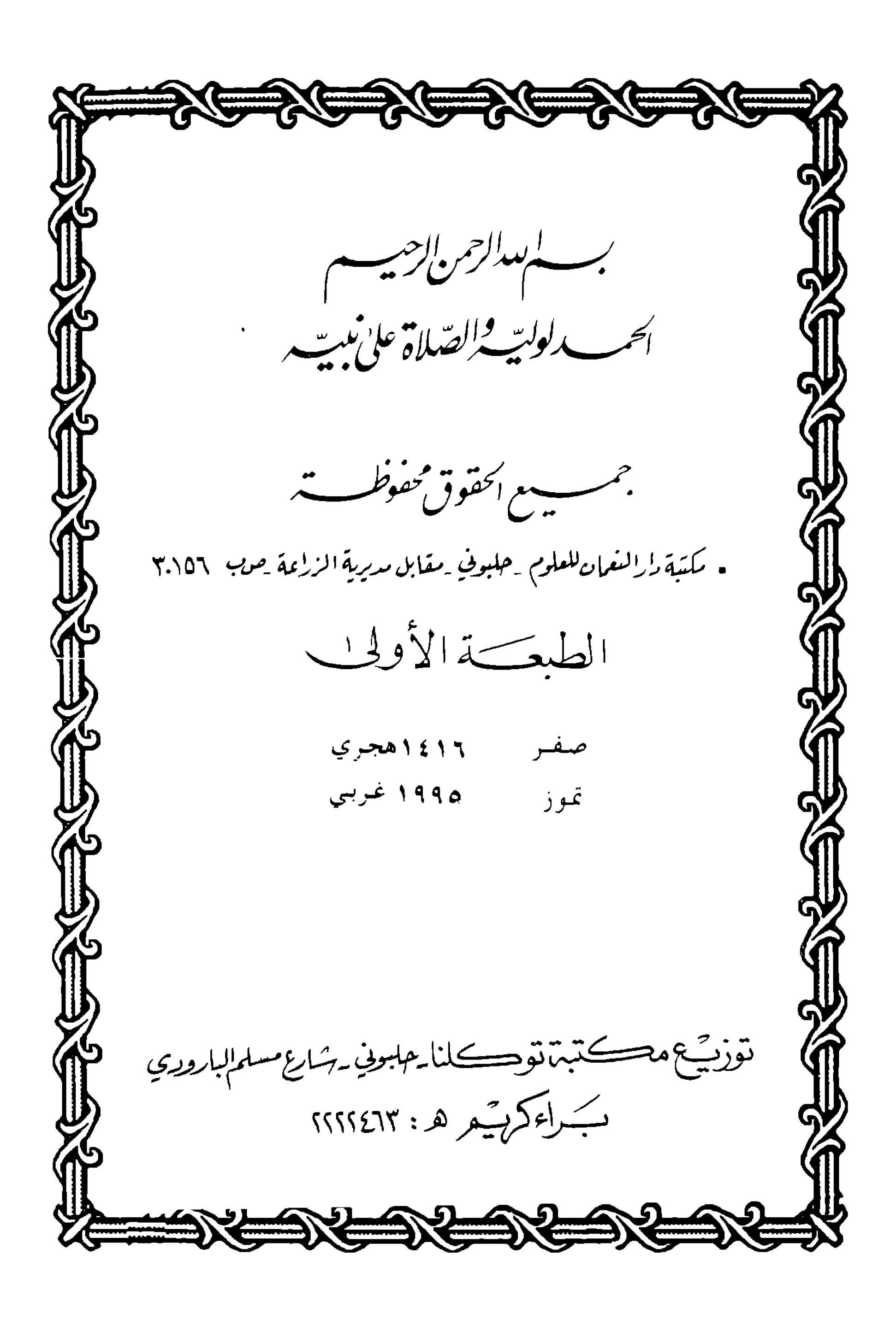
حققه وعلق عليه

محمد هيثم منيني

عنونه ورقمه وترجم لمؤلفه

عبد الجليل العطا (البكري)

دار النعمان للعلوم



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لوليّه والصّلاة على نبيّه

• مكتبة دار النعمان للعلوم - حلبوني - مقابل مديرية الزراعة - ص ب ٣٠١٥٦

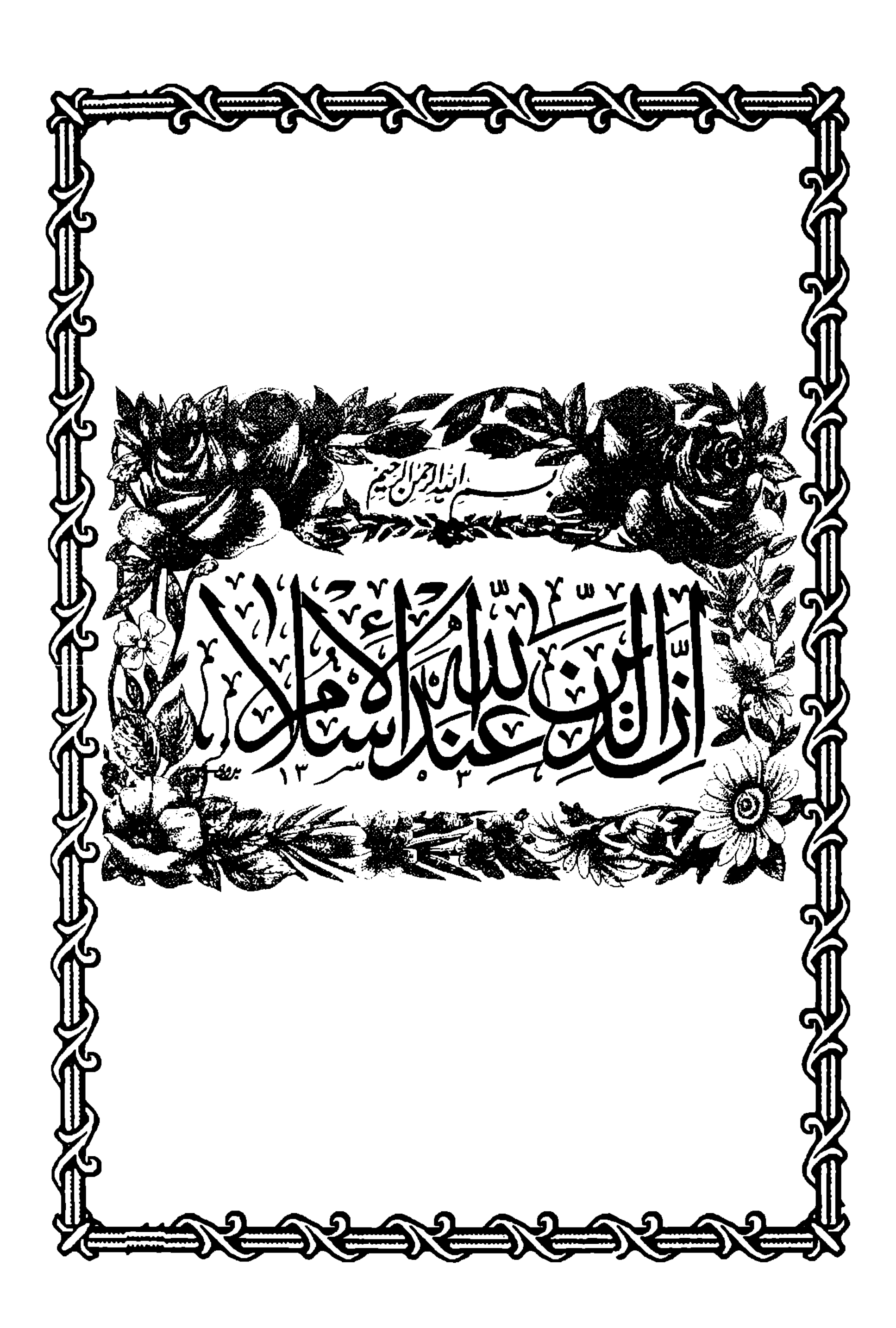
الطبعة الأولى

صفر ١٤١٦ هجري

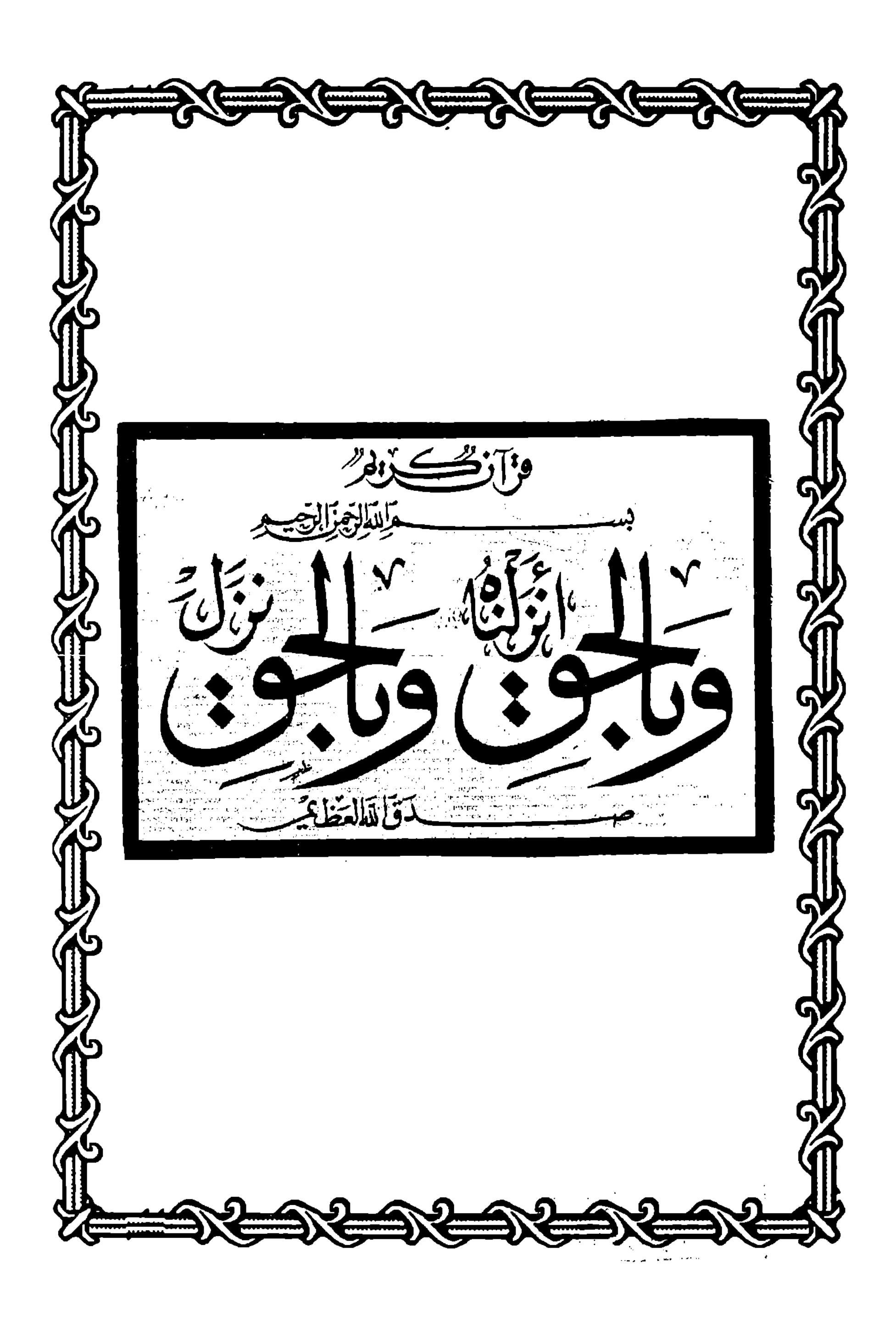
تموز ١٩٩٥ غربي

توزيع مكتبة توكلنا - حلبوني - شارع مسلم البارودي

براء كريم هـ : ٢٢٢٢٤٦٣



بسم الله الرحمن الرحيم
إن الدين عند الله الإسلام


قرآن كريم
بسم الله الرحمن الرحيم
وبالحق أنزلناه وبالحق نزل
صدق الله العظيم

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يحق الحق بكلماته الباهرة، ويكشف لمن شاء من خلقه عن أسرار شريعته الطاهرة نشكره تعالى على جميع نعمه الباطنة والظاهرة، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد النبي الأمي صلاة وسلاماً متصلين متواترين في الدنيا والآخرة، وعلى آله وأصحابه أصحاب الهمم العالية والمنح الفاخرة وعلى العلماء العاملين وتابعيهم رياضِ الدين الناضرة وعبقات شذاه العطرة.

وبعد؛ فإن دوح الإيمان الباسق وشجرَه المتناظر المتناسق ظلل الكون كله بفيض من السعادة ووافر من الحب والريادة حيث جمع بين فنون العمل الدنيوي وفيوض الطاعة والعبادة. ولكن هذه الحقائق البينة والوقائع الظاهرة خفيت على بعض المغفلين من المسلمين كما غابت عن كثير من المتغافلين فاتهموا الإسلام بالقصور ودينَ الحق جل جلاله بالاعورار والتقصير وطعنوا بالشريعة أنها دين ولا دنيا، وعبادة ولا عمل، وطاعة ولا حياة... وهذا اشتباه وتخيُّل أو

سبق لهذا الكتاب المبارك أن طبع في حياة مؤلفه سنة ثلاث وعشرين وثلاث مئة وألف،في مطبعة هندية بمصر في القطع الصغير فنيَّف على مئة وعشرين صحيفة ثم صوِّر مراراً.

وها نحن اليوم نقدمهُ إلى عشاقه وطالبيه بهذه الحلة اللائقة آملين منه تعالى التوفيق والقبول. إنه خير مأمول وأكرم مسؤول.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد الجليل العطا

هذا الكتاب

الحمد لله ولي كل نعمة وإحسان وصاحب كل فضل وإنعام وصلى الله على سيدنا رسول الله الناطق بالحِكم والإلهام وعلى آله وأصحابه وتابعيهم إلى دار السلام.

وبعد؛ فإن هذا الكتاب المبارك رسالة نظرية تجمعُ فيها من شريف المقاصد كثيراً من الحكم المَرْضية تكشف النقاب عن محيّا السر الشرعي الذي يتعلق بالدين وبالرياسة وبدقائق الحكم والكياسة. . .

أراد به مؤلفه دحض مزاعم باطلة تطعن بالشريعة الطاهرة وأراد أن ينفي عن الدين المبين إيهام أولي الأغراض واتهام ذوي الأمراض. . .

وهو شرح فريد بليغ للحديث الشريف الجامع لمعاني الكلم وهو قوله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول (لا إله إلا الله) وأدناها إماطة الأذى عن الطريق».

وقد أوصلها رحمه الله إلى سبع وسبعين شعبة يأخذ فيها بيد القارىء ليطلعه عليها واحدة إثر واحدة بأسلوب عذب ممتع، ومعالجة حكيمة واعية.

مغالطة وجحود فالمطلع على الشريعة المحمدية السمحة يرى الحق أبلج من أن يغطى وأظهر من أن يعمَّى عليه.

وهذا الكتاب أراد به مؤلفه ـ رحمه الله تعالى ـ تزييف هذه المزاعم وفضح تلك الدعاوى بحجة بينة وشهادة عادلة أماط اللثام بهذه الصفحات عن شعب الإيمان المنيرة ومسالك الإسلام اللَّقَمة وقد عرَّض بذلك في مقدمته لهذا الكتاب.

هذا؛ وقد قام الأخ هيثم منيني ـ سلمه الله تعالى ـ بتحقيق هذا الكتاب المبارك وتخريج أحاديثه ليعم نفعه وتتسع دائرة الإفادة منه وطلب إلي نشره فأجبت رغبته ولبيت طَلِبَته وعدت إلى الكتاب فقرأته قراءة تمحيص ورقمت علامات الترقيم المتداولة لتيسير قراءته وعنونت فقراتِه كلَّها ليسهل فهمه وتناوله وترجمت لمؤلفه رحمه الله تعالى إكمالاً لما فعله الأخ الكريم هيثم، وما فعله جهد مشكور مبارك إن شاء الله تعالى، ولكن الكامل يقبل الكمال. والكمال لله وحده وفق الله تعالى الجميع لما يحب ويرضى آمين.

وأخيراً فلن يفوتني وأنا أقدِّمُ بين يدي الكتاب أن أترحَّم على فضيلة الشيخ عبد الحكيم عبد الباسط الذي توفي إلى رحمة الله تعالى وهذا الكتاب تحت الطبع لم نتمكن أن نتحفه بهذه الطبعة الجديدة وقد كان ـ رحمه

الله تعالى ـ مهتماً بنشر هذا الكتاب الصيادي المبارك والكثير غيره من ميراث الرفاعية ـ رحمة الله تعالى عليهم ـ وبذل في هذا السبيل ما لم نعرفه عن غيره، وقد توفي منذ أسبوع في الخامس من ذي الحجة عام ١٤١٥ في مدينة سيدنا رسول الله ﷺ ودفن هناك.

فإلى روح مؤلفه الصيادي ومن قبله السيد الرواس والقطب الرفاعي ومِن بعدِهم الشيخ عبد الحكيم،نُهدي هذا الكتاب المبارك بهذه الحلة القشيبة سائلين المولى تبارك وتعالى القبول والتوفيق وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الجمعة ١٢/ ١٢/ ١٤١٥

عبد الجليل العطا

ترجمة المؤلف

كنيته:

أبو الهدى.

اسمه ونسبه:

هو السيد محمد بن السيد حسن وادي بن السيد علي بن السيد خُزَام بن السيد علي الخُزَام بنِ السيد حسين برهان الدين الرفاعي الصيادي... متصلاً بالسيد عز الدين أحمد الرفاعي الصياد حيث ينتهي نسبه الشريف إلى سيدنا الحسين (سبط سيدنا رسول الله ﷺ) إلى أشرف العرب والعجم ﷺ.

مولده:

ولد أبو الهدى في بلدة «خان شيخون» التابعة لمعرة النعمان من أعمال حلب الشهباء في رمضان المبارك من سنة ست وستين ومئتين وألف الموافقة لسنة ١٨٤٧ رومية.

نشأته:

ونشأ في بيئة طيبة صالحة ومحتد نبوي كريم حيث

والده السيد حسن وادي فرع الدوحة الهاشمية وهو عارف بالله صالح مبارك وَصَفه السيد محمد مهدي الروَّاس بأنه «من تحف الغيب» وأما والدته فامرأة صالحة فاضلة رعته الرعاية الكريمة بتوجيه والده وقد أقسمت ـ بارَّة ـ أنها ما أرضعته إلاّ على وضوء.

في هذه الروضة الرضية نشأ محمد أبو الهدى الصيادي.

وفي الرابعة من عمره تلقى السيدَ الرواسَ سائحاً في بلدته فدعاه إلى الطعام وأجابه الرواس مع صغر سنه توسماً لما فيه من النور النبوي والطلعة الأصيلة.

تحصيله العلمي:

تلقى بادىء ذي بدء كتاب الله تبارك وتعالى وهو في ربيعه السادس وقرأ القرآن الكريم آنئذ في ثلاثة أشهر.

ثم تلقى التجويد والقراآت بفنونها على شيخ قراء تلك الديار الشيخ محمود بن الحاج طه.

ظهرت عليه علائم النبوغ والتفوق حين تعلم الكتابة فأتقنها في مدة وجيزة والتفت إلى الفقه فقرأ متن الغاية والتقريب وشرحَه على شيخه القارىء المذكور.

اتسع أُفقه ونمت مواهبه فتطلع إلى شيوخ آخرين قرأ عليهم فقه الإمام الأعظم رضي الله عنه إضافة إلى العربية والأصول والتفسير والحديث واللغة والأدب والبلاغة

والبيان والتاريخ والأنساب وغيرها من الفنون، وتمكن فيها من حفظ المتون فجمع ما يزيد على مئة ألف بيت حفظاً.

أما في التصوف فقد أبعد الغور فغاص في دقائقه ورموزه حتى أسفر له عن مخدرات مكنونه فأجازه والده الفاضل وأذن له في الطريقة الرفاعية.

حياته ورحلاته:

١ـ قصد حلب فالتقى كبار شيوخها الفضلاء وعلمائها الأجلاء وقد طار صيته واتسعت شهرته بالتقوى والعلم والصلاح وأذن له والده باستجازة شيخ شيوخ حلب العارف الجليل (رفاعي عصره) السيد الشيخ علي بن خير الله الصيادي.

٢ـ أراد زيارة بغداد لزيارة أجداده فتوجه إليها سنة ثلاث وثمانين ومئتين عبر حلب فأورفة ثم الرها حيث تلقاه أميرها شبلي (باشا) العريان وقام على خدمته بعد أن سلّكه أبو الهدى هو وأكابر أهلها.

وحينما وصل بغداد اجتمع بشيخه السيد محمد مهدي الرواس الذي كان لقيه في طفولته فهاجت بينهما لواعج الذكرى الرفاعية فتفرغ أبو الهدى لخدمة شيخه وانقطع لصحبته قريباً من سبعة أشهر لازمه فيها ملازمة الظل حفظ خلالها من شعره الآلاف ثم عاد إلى بلده محفوفاً ملحوظاً.

٣ـ آلت إليه نقابة الأشراف في جسر الشغور في عهد السلطان عبد العزيز سنة سبع وثمانين حينما زار دار الخلافة ثم عاد فأنشأ زاوية في بلدة «كفر دبين» من قرى الجسر وصار يتردد بينها وبين حلب.

٤ـ زار استنبول مرة ثانية سنة إحدى وتسعين فعين نقيباً لأشراف حلب ولم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره.

٥ـ استقدمه السلطان عبد العزيز لعاصمة الخلافة سنة أربع وتسعين ورغب إليه باجتماع دوري في كل أسبوع أو أقل فلبىٰ. ثم إن السيد أبا الهدى استأذن السلطان بعد مدّة للعودة إلى بلده فأبى وقلّده (رئاسة مجلس المشايخ) ثم توفيت والدة أبي الهدى الصيادي فعاد إلى حلب مدة أربعة أشهر فأمره باستقدام أهله وعائلته حيث كان قد خصص له منزلاً هناك ليبقى قريباً منه ووفاه المترجم له فبقي في خدمته مذكِّراً صادقاً وواعظاً ناصحاً زهاء ثلاثين عاماً كانت له خلالها الكلمة العليا والرغبة النافذة في خدمة المسلمين وتعيين القضاة والمفتين وله على السلطان جرأة ليست لغيره في المصارحة بكل الحقائق والمطالبة بإصلاحات البلاد العربية.

صفته:

كان رحمه الله تعالى طويل القامة عظيم الهامة، واسع

العين حنطي اللون، أسود الشعر واللحية يخالطه بياض قليل، فصيح اللسان ثابت الجنان، ذكي القلب سريع النكتة، وكان عصامي النفس، أبيَّ الروح عبقري الطموح، إذا رأيته رأيت المجد التليد والشرف الفريد والشخص العتيد.

أخلاقه:

وكان رحمه الله تعالى خلوقاً ودوداً وأنيساً لطيفاً، طيب المعشر ظريف المجلس يتحدث باهتمام لزائريه ويؤنسهم بحلو أحاديثه وطريف أبحاثه، يفرض محبته حتى على ألد خصومه، دافع عن أدباء العربية وكُتَّابهم، وناصر كل من لجأ إليه أو قصده، بل كان لهم الأب الرحيم لمن يطلبه ـ وبخاصة من أبناء العرب ـ يبذل جهوده لمؤازرتهم وتلبية حاجتهم. وكان إذا أحب شخصاً لم يبغضه إلا أن يخونه.

لم يشغله عَرَض الدنيا عن أهله وذوي رحمه بل يصل برُّه حتى إلى أبعد من ذوي قرابته، لا يكترث ببهرجة المُلْك والسُّلطان، ولا تلهيه نشوة الجاه والمكان، بل يسعى رفده بين يديه ومن خلفه، ولم تأخذه أنانيته مسالك شفقته بل أحاطت شفقته عائلات لا يحصيها العدُّ ولا يقف عندها حدٌّ. وهو بالخلاصة فرع نسل كريم ودوحُ محتد أصيل يصدق فيه:

والله ما قال «لا» قط إلا في تشهُّده
لـولا التشهـد كـانـت لاءَه «نعـم»

كتبه:

كثير أولئك المصنفون... ولكن القليل منهم من يكتب كتابة المتخصص كما هو المترجم له رحمه الله فلقد ترك مؤلفات كثيرة نيفت على المئتين ولكنها تميزت بتخصص وعمق قليلَيْن، وإذا كنا عاجزين عن سردها فدونك أمثلتها:

- ضوء الشمس في قوله ﷺ «بني الإسلام على خمس» وهو أشهر كتبه ط ـ في مجلدين شرح به هذا الحديث الشريف بشرح مزيد لم يترك زيادة لمستزيد. قرَّظه حين طبعِهِ كبارُ الشيوخ.
- الحقيقة الباهرة في أسرار الشريعة الطاهرة. وهو هذا.
- قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي ط ـ في مجلد.
- الجوهر الشفاف في طبقات الأشراف ط ـ.
- تنوير الأبصار في طبقات السادة الرفاعية الأخيار (ط).
- السهم الصائب لمن آذى أبا طالب (ط).
- نفحة الرحمان في تفسير القرآن.
- المجلَّد المخلَّد في أسرار اسم محمد (ﷺ).

ـ فرحة الأحباب في أخبار الأربعة الأقطاب (ط).

ـ بهجة الزمان في مآثر السلطان عبد الحميد خان.

ـ الروض البسام في أشهر البطون القرشية بالشام (ط).

وغير ذلك من الكتب طبع أكثرها ـ إن لم تكن جميعها ـ في حياته وعدّ سركيس سبعاً وثلاثين منها مطبوعة وله أيضاً دواوين منها:

ـ براهين الحكم.

ـ التبيان الجامع بين الحكمة والبيان.

ـ الفيض المحمدي والمدد الأحمدي.

ـ مرآة الشهود في مدح سلطان الوجود.

ثناء العلماء عليه:

أثنى عليه الكثير من أهل العلم والفضل من أحبابه وغيرهم ولهج عارفون بإطرائه ومدحه من شعر ونثر ورثاء نذكر أمثلة على ذلك:

ـ رجل هذا الزمان عملاً وفضلاً، وبطل ميدان البيان نثراً ونظماً شيخنا العلامة... أبو الهدى.....

مفتي بيروت القاضي يوسف النبهاني.

ـ مرشد السالكين ومربي المريدين العلامة السيد أبو الهدى.

العلامة الأزهري عبد الرحمان الشربيني

ـ حبر المعارف الإلهية وبحرها وبدر سماء المعارف وزهرها.

العلامة محيي الدين بن الأمير عبد القادر الجزائري

ـ رفيع العماد، كثير الرماد، رحب الصدر والفؤاد، معطاء غطريف يرى أن شِقّاً في باطن البُرَّة قسم بينه وبين الضعيف.

المحدث الشهير عبد الحي الكتاني

ـ علامة زمانه ورئيس أقرانه، المتحلي بشرفَيْ العلم والنسب والمتجلي بفخري العجم والعرب زين الموالي وعين قضاء العسكر...

العلامة الفقيه محمد علاء الدين عابدين

ـ رجل أيد الله به الشريعة المطهرة، وأوضح به الطريقة المنورة وأحيا به قلوباً ماتت أو كادت وثبت به أفئدة لولاه لمادت أو حادت، وجمع له من شرف الأسلاف والأصول والعلم بالمعقول والمنقول ما جعله كالغيث أين وقع نفع.

العلامة محمد نوري آل المفتي الأريحاوي

ـ بركة السلف وبقية الخلف، العلامة العامل، والمرشد الكامل الجامع بين الشريعة والحقيقة، والمرشد بنور الله إلى أقوم طريقة، ..... ناشر عَلَم الاهتدا....

الإمام العلامة الأزهَري محمد شمس الدين الأنبابي

ـ العصامي الجبار الذي استولى بذكائه ودهائه على مقدرات الدولة العثمانية، أمثولة حية لكل طموح إلى المجد، وصفحة مشرقة للعرب.

المؤرخ الشهير أدهم الجندي

ومما قيل فيه نظماً:

لو كان في الزمن الماضي لعُدَّ من الـ . . .
أفـراد أهـل النهـى والمظهـر العـالـي
فقـد عـلا قِـدْمـا فـي كـل منقبـة
وفضلـه بـاهـر فـي الحـال والقـال
لا بدع إن عُدَّ مثل الأقدمين فقد
فاق الرسولُ الورى مع أنه التالي

العلامة محمد صالح المنيرّ الحسيني

حياته الخاصة:

تزوج رحمه الله تعالى أربع مرات؛

الأولى سنة سبع وثمانين حيث صاهر إلى العائلة القيصرية.

الثانية سنة تسع وثمانين حيث صاهر إلى العائلة البدرخانية.

الثالثة سنة أربع وتسعين صاهر فيها إلى آل الكيلاني بحماة.

والرابعة خمس عشرة وثلاث مئة من آل الحراكي بمعرة النعمان.

وأنجب خمسة أولاد ثلاث من الإناث وذَكَر يسمَّى «سراج الدين» وكلهم توفوا في حياة والدهم ودفن سراج الدين باستنبول.

والخامس حسن خالد تقلد أسمى المناصب الرسمية وتوفي نهاية سنة ثمان وثلاثين وتسع مئة وألف رومية ولم يبقَ من ذرية أبي الهدى رحمه الله إلاّ حفيده الشيخ تاجُ الدين الصيادي نقيب الأشراف وأولادُه وقد ورث الكثير من شمائل جدّه.

وفاته:

توفي رحمه الله تعالى قبيل إعلان الدستور العثماني سنة ثمان وعشرين وتسع مئة وعند خلع السلطان عبد الحميد نفي أبو الهدى إلى «جزيرة الأمراء» في «رينكيبو» وتوفي فيها ليلة السبت السادس من ربيع الأول سنة سبع وعشرين وثلاث مئة ونقل جثمانه إلى زاويته في منزله في «بشكطاش» حيث دفن هناك في موقف مهيب ومشهد عصيب شاركت فيه سائر الطبقات والسلطات الحاكمة. وبعد عشر سنوات نقل رفاته إلى الزاوية الصيادية بحلب حيث دفن بجوار والده هناك الذي كان توفي قبله بربع قرن. طيب الله ثراه ورحم متقلبه ومثواه وهكذا طويت

صحيفة مشرقة من سجلات الرفاعية الصيادية الناصعة. وبقي شعاعها نبراساً حياً في طريق الأجيال.

من الكتب التي ترجمته:

- تعطير النادي في ترجمة أبي الهدى الصيادي.
محمد نوري الأريحاوي.

ـ التاريخ الأوحد.	أبي الهدى الصيادي.
ـ القول الفصل.	حسن حسني الطويراني.
ـ أعلام الأدب والفن.	أدهم الجندي.
ـ الأعلام.	خير الدين الزركلي.
ـ معجم المؤلفين.	عمر رضا كحالة.
ـ حلية البشر.	عبد الرزاق البيطار.
ـ المحيط الهادي.	عبد الحكيم عبد الباسط.
ـ معجم المطبوعات.	يوسف سركيس.
ـ فهرس الفهارس.	الكتاني.
ـ إيضاح المكنون.	البغدادي.

- مقدمة كتاب «ضوء الشمس». محمد الحربلي الصيادي

مقدمة كتاب

البدور السافرة
في تحقيق الحقيقة الباهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وأفضل الصلاة وأزكى التسليم على سيدنا ومولانا محمد النبي المصطفى الكريم، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريَّاته الطيِّبين الطاهرين، وعلى من سار على هديه واقتفى أثره إلى يوم الدين.

وبعد؛

إنَّ ممَّا لا يخفى على ذوي البصائر المنوَّرة أنَّ علم تهذيب النفس والتجمُّلَ بالأخلاق المَرْضيَّة ـ وهو العلم المسمَّى بـ «علم التصوُّف» ـ مِن أهمِّ ما ندب الشارِع إلى تعلُّمه وتطبيقه، فقد دلَّت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية على ضرورة التحلِّي بالصفات الحميدة.

فمن الآيات قولُ الله جلّ وعلا ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾. . . إلى آخر الآيات في سورة الفرقان.

وكذلك قول الله تعالى في مقام المدح لنبيه الأعظم ﷺ ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾[1]، وقد وَجَّهَنا إلى الاقتداء به والسَّير على سَننه بقوله ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾[2].

وقد جاءت الآثار الشريفة دالَّة على علوٍّ أخلاقه وعظيم تواضعه، وجمال لطفه وسعة صدره ووفور حلمه.

ويكفينا من ذلك قول السيدة عائشة رضي الله عنها في وصف خُلُق النبي ﷺ: «كان خُلُقه القرآن»[3]. وكيف لا وهو القائل ﷺ: «أَدَّبَنِي رَبِّي

---

(١) الآية: ٤؛ من سورة: القلم.

(٢) الآية ٢١؛ من سورة: الأحزاب.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد: ٣٠٨، وأحمد: ٦/ ٩١-١٦٣، ومسلم: ٧٤٦ وأبو داود: ١٣٤٢، والحاكم: ٢/ ٣٩٢ وصححه والبيهقي في السنن: ٢/ ٤٩٩ والشعب: ١٤٢٥.

فَأَحْسَنَ تَأْدِيْبِي»[1].

وبعد هذا التمهيد **أقول**: قد طالعت رسالة بعنوان:

الحقيقة الباهرة في أسرار الشريعة الطاهرة

للشيخ العلامة الإمام محمد أبِو الهدى الصيادي ـ عليه رحمة الله ورضوانه ـ فألفيتُ هذه الرسالة على صغر حجمها قد أتى فيها مؤلفها على شعب الإيمان والتي بلغت سبعاً وسبعين بتعداد المؤلف، وقد أخذت منِّي كلَّ مأخذ، وأعجبني ما فيها من وجيز العبارة مع الابتعاد عن التعقيد والغموض، وارتاح قلبي لحسن تعبير مؤلفها وإجادته الكلام على طريقة أهل التصوف أعني أهل الصفاء والأنوار.

وقد وجدت أن مؤلف هذه الرسالة قد جمع

---

(١) أخرجه ابن السمعاني في «أدب الإملاء»؛ عن ابن مسعود. ورمز السيوطي في «الجامع الصغير»: ٣١٠ لصحته وأقره المناوي: ١/ ٢٢٥.

ـ على عادته في كتاباته ـ بين روح المعاني ولطف المباني، مع الاستشهاد لكل مقام بما يناسبه ويؤيِّدُه من كلام الله تعالى وسُنَّة نبيه عليه الصلاة والسلام.

وقد شرح الله صدري لكتابة شيء من التعليقات على هذه الرسالة المباركة.

واللهَ أرجو أن أكون في عملي هذا مخلَصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني والمسلمين بما تضمنته هذه الرسالة من التوجيهات الرفيعة والأقوال البديعة، وأن يجعلنا ممَّن يستمعون القول فيتبعون أحسنه. آمين.

عملي في هذا الكتاب

ـ قد اعتمدت على أصل مطبوع (في حياة المؤلف) في مصر عام ١٣٢٣ هـ، ولولا أن الله قَيَّض لهذا الأصل مَن ينشره ما وصل إلينا، وذلك أن فضيلة الشيخ الجليل عبد الحكيم بن سليم عبد الباسط السقباني الدمشقي هو الذي قام بتصوير الطبعة المصرية وتوزيعها، فجزاه الله عن الدين وأهلِه خير الجزاء، وبارك الله في مساعيه وأثابه

عليها أجزل العطاء.

ـ وقد قمت بتخريج آيات هذا الكتاب ونسبتها إلى سورها، وأكرمني الله بتخريج أحاديثه والآثار الواردة فيه إلاَّ بضع أحاديث لم أعثر عليها بعد البحث الطويل.

ـ شرحت بعضاً من الكلمات الغريبة، وصوَّبتُ ما عثرت عليه من أخطاء مطبعية.

ـ ذيَّلت الكتاب بفهرس لأطراف الأحاديث والآثار الواردة فيه.

ـ أوردت في بعض المواضع أحاديث شريفة مؤيِّدة لكلام المؤلف رحمه الله وأجزل مثوبته.

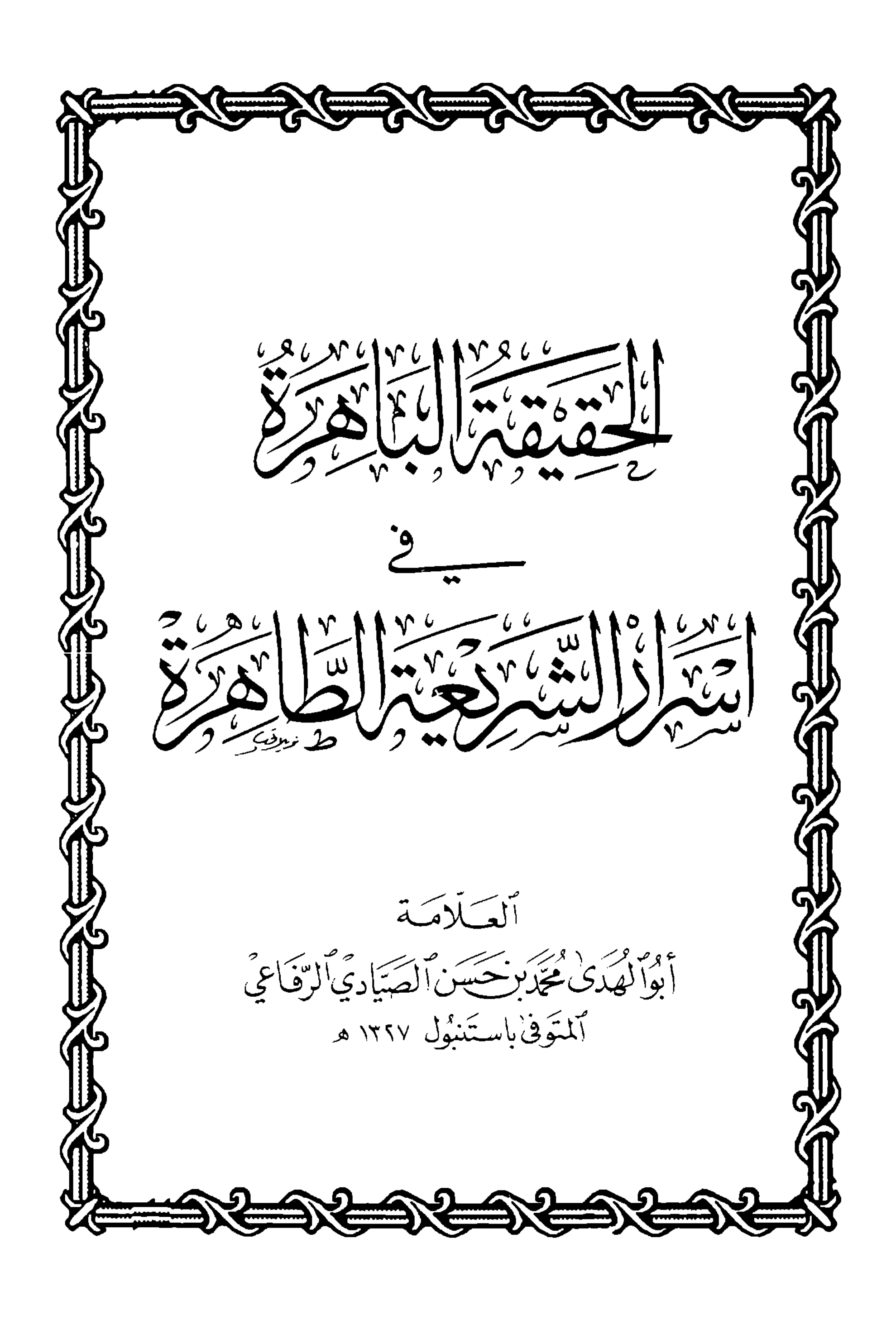
جزى الله مؤلف هذه الرسالة المباركة السيد الإمام محمد أبو الهدى الصيادي عن الإسلام وأهله خيرَ الجزاء، وأسكنه دار كرامته مع الأنبياء.

وجزى الله فضيلة الشيخ عبد الحكيم بن سليم عبد الباسط ـ شيخ الطريقة الرفاعية بدمشق المحمية ـ خير الجزاء، فهو الذي ينشر النور والخير لكل من رامَهُ وابتغاه.

وجـزى الله العـاملين فـي دار النعمـان للعلـوم والقائمين عليها كل خير، فهم الذين تقبَّلوا منا نشر هذا العمل بهمتهم المباركة وسعيهم المشكور.

وفَّق الله جميع المسلمين لما يحبُّه ويرضاه. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

محمد هيثم منيني



الحقيقة الباهرة
في
أسرار الشريعة الطاهرة

العلامة

أبو الهدى محمد بن حسن الصيادي الرفاعي

المتوفى باستنبول ١٣٢٧ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله حمداً يُرضيه، والصلاة والسلام على نبيّه الصادق المحقّ النبيه، وعلى إخوانه النبيين والمرسلين وآل كلٍّ وصحب كلٍّ أجمعين.

أما بعد؛ فيقول العبد المستعين بعناية الله في كلّ المقاصد والمساعي محمد أبو الهدى بن السيد حسن وادي المكنّى «بأبي البركات آل خُزَام» الصيادي الرفاعي، غفر الله له ولوالديه وللمسلمين، وأعانهم جميعاً في اليوم الذي تطوى به الأحلام وتنشر الدواوين:

فاتحة الكتاب

هذه رسالة نظريّة تجمع من شريف المقاصد كثيراً من الحكم المَرْضية، سميتها:

(الحقيقة الباهرة)

تكشف النِّقاب عن مُحَيَّا السرِّ الشرعي الذي يتعلَّق بالدين وبالرِّياسة وبدقائق الحكم والكَيَاسة، وتُعْرِب

عن عناية هذا الدين المحمَّدي بالصناعة والتجارة، وتُفْصِح لأهل العرفان عن الطرز الذي تقوم به دعائم السعادة في هذه الدار المستعارة، وبهذا الإيضاح الصحيح والإفصاح الصريح ينتفي عن الدين المبين إيهام أولي الأغراض واتهام ذوي الأمراض الذين ينسبون للأحكام الشريفة الشرعيّة هدم المنافع الدنيوية؛ وإنهم لكاذبون، ﴿قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾[1].

نفع الشرع المحمدي

لا يخفى على ذي الفهم النيّر والعقل السليم أن الشرع المحمدي جمَع بين نفعي الدنيا والدين، وأوضح لحصول هذين النفعين منهاجَ الحقِّ المبين، ولم يترك شأناً نافعاً لم يُقَرِّب منه، ولا أمراً مُضِرّاً لم يَنْهَ عنه، وقد فتق أرتاق الحكمة بأنفعها وأشرفها، وشقَّ ديباجة المنافع العامة فقام بأوثقها وألطفها، وسننصُّ بهذه الجمل الوجيزة على أساس هذا الدين، ويُعلم من ذلك سرُّ الشرع الأنور العلمَ اليقين، والشمس لا تخفى على ذي عينين؛ ولو قام

---

(١) الأنعام، آية (٩١).

حجابُ الغيم في البَيْن.

قال ﷺ: «اَلإِيْمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً»[1]... الحديث. وكل شعبة من شُعَبه تشتمل على فصول جزيلة وأبواب جليلة ومقاصد من العلم لا نهاية لها. على أن الشارع العظيم ـ أرواحنا لجنابه العالي الفداء ـ أوتي جوامع الكلم واختصرت له الحكمة اختصاراً[2]، فكان يتكلَّم بها موجزاً مُبَيِّناً غير مُغْمِض ولا مُمتَحِن بما يصعب فهمُه ويُعْيي السامعَ ما تضمّنه من الكلام حكمُه.

تمهيد لطيف

تمهيد لطيف؛ وهو: أن الدين الإسلامي انتظم من ثلاث مقامات:

---

(١) يأتي تخريجه قريباً.

(٢) أخرج مسلم في صحيحه: ٥٢٣؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «فضلت على الأنبياء بست؛ أعطيت جوامع الكلم، ونُصرت بالرعب، وأُحلَّت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون».

وأخرجه أحمد: ٣/ ٩٣٤٨، والترمذي: ١٥٥٣، ونحوه عند البخاري: ٦٩٩٨.

الأول: مقام الإسلام، والثاني: مقام الإيمان، والثالث: مقام الإحسان.

أما **الإسلام** فقد قال رسول الله ﷺ: «اَلإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ ٱللهِ وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِيَ ٱلزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ ٱلبَيْتَ إِنِ ٱسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيْلاً».

وأما **الإيمان** فقد قال عليه وآله الصلاةُ والسلام: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَٱليَوْمِ ٱلآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ».

وأما **الإحسان** فقد قال عليه الصلاة والسلام وعلى آله: «أَنْ تَعْبُدَ ٱللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[1].

وقد مَرَّ لك أيها المحبُّ قول النبي ﷺ: «اَلإِيْمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً» ـ وتتمة الحديث الشريف ـ:

---

(١) تعريف الإسلام والإيمان والإحسان جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري: ٥٠، ومسلم: ٨، وأبو داود: ٤٦٩٥، والترمذي: ٢٦١٠، وابن ماجه: ٦٣، وأحمد: ٣/ ٩٥٠٦، وابن خزيمة: ٤/ ٣٠٦٥.

«أَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ ٱلأَذَى عَنِ الطَّرِيْقِ»[1].

* * *

(١) أخرجه مسلم: ٣٥، وأبو داود: ٤٦٧٦، والترمذي: ٢٦١٤، والنسائي: ٥٠٠٥، وابن ماجه: ٥٧، وأحمد: ٣/ ٩٣٧٢.

وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: ١/ ٣٧: رواه الطبراني في «الأوسط»، ورجال إسناده مستورون. والله تعالى أعلم.

فالشعبة الأولى من شعب الإيمان

شهادة أن لا إله إلا الله

قدرها

وهي أحد أركان الإسلام الخمس.

معنى الشهادة

ومعناها: تفويض الجملة إلى الله وتسليمُ الأمور إليه بصدق التبرّي عن الدعوى وتمام الانسلاخ من الحول والقوة استبداداً واستقلالاً في حل أو عقد. هذا مع رؤية المُلك بحركاته وسكناته لله، فالذي يقول لا إله إلا الله ملاحظاً أسرار هذه المعاني اعتقاداً يكون مؤدِّياً للشهادة على الحقيقة.

وهذا التسليم لا ينافي السعيَ والعمل والتَّدبير، فإنَّ كُلَّ ذلك يكون استكشافاً لسرِّ القدر، وعند بروز سرِّ القدر فيكون العبد معه بكلِّه أعني بقلبه وقالبه.

من أسرار الشهادة

ومن أسرار هذه الكلمة: كون العبد إذا اعتقد أن الإله الحق هو الفعال المطلق فهنالك يلتزم نصر

أوامر الله من غيره، ويسلم بذلك من المداهنة والرياء والانقياد للباطل والكذب، ولا يطمع بمال أحد، ولا يمدّ عينيه إلى مالا يرضي الله سبحانه.

* * *

الشعبة الثانية

الإقرار بأن محمداً رسول الله

ولا يكمُل توحيد العبد إلاَّ بها، فمن اكتفى بكلمة التوحيد من الكلمتين يُكفَر، لقوله تعالى ﴿ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض﴾[1]. . . الآية.

تكذيب سيدنا رسول الله ﷺ

فمن وَحَّد وكَذَّب الرسول يكون مكذّباً لله عاصياً له، لأنه سبحانه وتعالى اختار الرسول ونبَّأه، فهو لم يكن نبياً بنفسه بل بسِرٍّ أُسِرَّ إليه دون غيره من ربه. والأنبياء عليهم الصلاة والسلام بشرٌ مثلنا، غير أنهم لحكم ذلك السرِّ المُفرَغ إليهم من الله دون غيرهم أَتَوْا بما ليس في طاقة البشر. فعلمنا أنهم خُصّوا بزيادات كثيرة خارجة عن مقدور البشر،

---

(١) النساء، آية (١٥٠).

وهي من الله وحدَه، فوجب علينا الإيمان بهم.

تأييد المعجزات

وقد ثبتت النبوات بالمعجزات، وهذا ظاهرٌ لكل ذي عقل، ولم تزل تظهر معجزات الأنبياء وبراهينهم وأنوار شرائعهم التي ثبَّت الله بها القلوب وأزال بها الشكوك، حتى اختار الله تعالى ـ وله الأمر ـ جمع حكم شرائعهم وبواهر معجزاتهم وواضحات براهينهم وكلٍّ ما اختصوا به من الحقائق والكمالات والعلوم النافعة مع الجمع الأكمل بين نفعي الدنيا والدين في الحبيب الأعظم والرسول الأكرم المقدَّم سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم، وختم به النبوات وأيَّده بجميع المعجزات الباهرات؛ فوجب حينئذ على جميع الخلق اتباعه والأخذُ بشريعته، فهو خاتم النبيين وآخر المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، وهو النبي الحكيم الرؤوف الرحيم صاحب الخلق العظيم، الذي يعوّل عليه في كل شأن ديني؛ أو دنيوي، عيني؛ أو غيبي.

فالإقرار لله بالوحدانية دينُ هذا النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأكمل التسليم.

ولا يجهل سرّ الوحدانية إلاّ مَن سَفِه نفسه، لأن الدلائل والبراهين والبينات القاطعات على الوحدانية قائمة في كل شيء، حتى في نفس الإنسان، والعدول عن ذلك سفسطة[1].

سرُّ الوحدانية

وتدبّر أيها اللبيب قولَه تعالى ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾[2]، فاشهد أيها العاقل سرَّ الوحدانية في نفسك ترى أن الهمة لا تتوجه إلى الإثنينية، وإذا تدبَّرتَ أسرار الصنع التي استودعَها الله فيك لإقامة الحجَّة عليك هنالك تخشع لجلالته وتخضع لعظمته وتنصرف عن الأغيار إليه وتعوِّلُ في كلِّ أمورك عليه.

هـذا سمعـك وبصـرك، وكـلامـك وعقلـك، وحافظتك ومخيلتك، وسُبُحات خاطرك وغلاغل أوهامك وأحلامك، وحرصك وزهدك، وعزمك

---

(١) قال الجرجاني في كتاب «التعريفات»: السفسطة (عند المنطقيين) قياس مركب من الوهميات، والغرض منه تغليط الخصم وإسكاته . . .

(٢) الذاريات، آية (٢١).

وكسلك، وبخلك وسخاؤك، وغضبك ورضاك، وحقدك وصفحُك، ونومك ويقظتك، وما قام في هيكلك من أسرار صنعه، . . . كلُّ صفة منها على حِدَة قامت بالواحدية واتَّسقت بها، وقد تعلم وجودها فيك وتجهل كيفها، ولا تدرِك لها مكاناً؛ ولا أولاً ولا آخراً، **فتذكَّر سرّ التوحيد بهذه الأسباب** ﴿وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾[1].

إقرار النبوة

وإذا وَحَّدت آمنتَ بالنبي العظيم الذي أرسله خالقك إليك وجعلَه حجَّة عليك، وهناك تراك تحت سلطان أمره ونهيه ممتثلاً قوله تعالى ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[2].

وحيث إن الأوامر النبوية هي صادرة عن وحي إلٰهي، يدلُّك على هذا قوله تعالى ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾[3]، فهي كافلة لخيري

---

(١) البقرة، آية (٢٦٩).
(٢) الحشر، آية (٧).
(٣) النجم، آية (٣ـ٤).

المعاد والمعاش، جامعة للنفعين المحقَّقين في الأمرين.

بواعث الفتن

والمخالفة للأوامر النبوية هي ـ والعياذ بالله ـ من بواعث الفتنة في الدنيا والعذاب في العقبى، قال تعالى ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾[1].

والنبي الأعظم ﷺ جاء بأمر الله رحمة لخلق الله، وفي كتاب الله ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[2].

اتباعه ﷺ شرط الإيمان

ولا يصحُّ إيمان المرء حتى يكون متتبعاً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما أتى به من عند الله، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «لا يكون أحدكم مؤمناً حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»[3].

---

(١) النور، آية (٦٣).

(٢) الأنبياء، آية (١٠٧).

(٣) لم أجده بهذا اللفظ، لكن وجدت ما يقاربه بلفظ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به».
أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب «السنة»: ١/ ١٢، وهو في «كنز العمال»: ١/ ١٠٨٤، وقال فيه: رواه =

الشعبة الثالثة

الغسل من الجنابة

وقد جعله النبي ﷺ من الإسلام[1].

حكمة غسل الجنابة

والحكمةُ في ذلك تنقسم إلى قسمين: مادِّي، ومعنوي.

حكمته المادية

فالمادي: هو النظافة البدنية، فقد بُني الدين على النظافة، ولا بِدْع، ففي النظافة نشطة البدن،

= الحكيم، وأبو نصر السجزي في «الإبانة»، وقال: حسن غريب، والخطيب عن ابن عمرو. اهـ. وهو في «تاريخ بغداد» للخطيب: ٤/ ٣٦٩.

(١) يشير المصنف بهذا إلى ما رواه ابن خزيمة في «صحيحه»: ٤/ ٣٠٦٥: عن النبي ﷺ ـ في سؤال جبريل له عن الإسلام ـ، فقال: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن تقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتحج، وتعتمر، وتغتسل من الجنابة».... الحديث.

والتنقية من الأوساخ الظاهرة التي ربَّما تكون سبباً للأمراض الكثيرة والعلل الجسمانية، وفيها استراحةُ الخاطر بانبساط القلب لما يطرأ على البدن من لَذَّة النظافة. وبتطهير البدن يستدلُّ على لزوم تطهير الثوب، فلا يكون المؤمن إلَّا طاهرَ الثوب والبدن.
وفي ذلك من المنافع مالا يحتاج إلى الإطناب لكونه معلوماً بالبداهة.

حكمته المعنوية

وأما القسم **المعنوي**: فهو الانتهاضُ لخدمة الحقِّ طاهراً من لَوَث الشهوة ورؤية النفس، واقفاً مع العبدية؛ ذليلاً لله؛ منكسراً تحت سلطان الأمر والنهي، يرى من شمول هذا الحكم له ولغيره معنى المساواة بينه وبين غيره؛ كَبُر أو صَغُر. فلا يعدو على حقِّ أحد من الخلق علا أو سَفَل، قَرُبَ أو بَعُد.

الإيمان والطهور

وحيث إن: «الطَّهُورُ شَطْرُ الإِيْمَانِ»[1]. كذا قال

---

(١) أخرجه مسلم: ٢٢٣؛ عن أبي مالك الأشعري، قال رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن (أو تملأ) ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، =

سيِّد الإنس والجان، حبيبُ الرحمان صلى الله عليه وآله وسلم، فعلى المؤمن أن يعظِّم شأن الطهور بفهم المعاني المقصودة منه والحقائق المُنْبَجسة عنه.

غسل اليدين

فإذا **غَسَل المغتسل يديه** فليشهد لزوم تطهيرهما من أن تُمَدّا إلى مالا يرضي الله ويخالف أوامر رسوله ﷺ، فلا يضرب بغير حقٍّ، ولا يسلُب ولا يأخذ مال أحد، ولا يمدُّ يدَه إلى مضرَّة مخلوق من الخلق بوجه ما.

المضمضة

وإذا **تمضمض** فليشهد لزومَ تطهير الفم من شرب ما يحرم، وأكل ما يحرم، وقول ما يحرم، ليستعدَّ لنفي كلِّ ما يخبُث عن فمه، وأكلِ ما يحسُن كالشراب الطاهر والقول الحسن الذي يحصل له به الثواب من الله والثناءُ من الناس.

الاستنشاق

وإذا **استنشق** فليقبل رائحة الخير والبرِّ، وليطرح رائحة السوء والشر.

= والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو، فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها». ورواه الدارمي: ٦٥٣، وأحمد: ٨/ ٢٢٩٦٥، والبيهقي: ١/ ٤٢.

وبتطهير الأنف فليشهد التطهُّر من الأنفة التي تجر إلى التعالي على الخلق وعدم الانقياد لأوامر الحق.

غسل الوجه

وإذا **غسل وجهه** فليشهد تطهيرَه من التوجُّه بالآمال إلى غير الله، فلا يصعِّر خدَّه إلَّا لحضرة الله، أو لعمل يرجع إلى الله، وليُفرِغ عليه ماء الحياء فلا يفتق بالوقاحة رَتَق الحياء؛ لا من الله، ولا من الناس، ولا يبذُل ماءَ وجهه لأجل الأغراض إلى سوى الحق.

وفي هذا الشأن طَرَزُ شهامةٍ يعرفه العَرَانين[1]؛ أهل المروءات وأرباب الهمم العاليات.

غسل العنق

وإذا **غسل عنقه** فليشهد فَكَّها من رِبْقة التعبُّد للهوى والنفس، أو لشيء غير الله سبحانه وتعالى، فيكون محرَّراً من رِقِّ الأشياء، ففي الخبر: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَم، تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، تعس عبدُ الزوجة،

---

(١) في «المصباح المنير» ما مفاده: العَرَانين؛ جمع عِرْنين، وهو: مِن كل شيء أوَّلُه.

تَعِسَ عَبْدُ القَطِيْفَةِ»[1].

عبد الشهوة

ومعلوم بالبَداهة أن مَن ملكه هواه بمحبة الدرهم والدينار لا يكون صَدِيقاً صادقاً لأحد من الناس، بل هو عبدُ الزيادة؛ أين كانت هو معها، ومَثَلُ ذلك الرجل يحرِّف الحقوق وينقض العهود، ويخون العشير ويكفر الكثير.

وعبد الزوجة والقطيفة رقيقُ شهوتِه، يفعل للشهوة؛ لا للحقِّ، ويعدل بشهوته عن العدالة. فإذا

---

(١) لفظ الحديث عند البخاري: ٢٨٨٦؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة، إن أُعطي رضي، وإن لم يعطَ لم يرضَ». ونحوه عند ابن ماجه: ٤١٣٥، والبيهقي: ٩/ ١٥٩، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: ١٠/ ٢٦٤: رواه الطبراني في «الأوسط»، ورجاله رجال الصحيح. اهـ.

وبالنسبة لقول المؤلف: تعس عبد الزوجة، فقد قال في «الإتحاف»: ٥/ ٣٥٦: قال العراقي: لم أقف له على أصل، والمعروف: تعس عبد الدينار وعبد الدرهم.. الحديث، رواه البخاري من حديث أبي هريرة. اهـ.

شهد التحرُّر من رِقِّ الأشياء صار عبداً خالصاً لله. وهنالك فالخير منه في الحال والقال مأمول، والعمل الذي يصدُر عنه مستحسنٌ عند أولي العقول ومقبول.

غسل الظهر

وإذا **غسل الظهر** فليشهد إزالة استناده لغير الله، وحفظ غيبته من قول قائل يقول حقاً ويحكم عدلاً.

غسل الصدر

وإذا **غسل صدره** فليشهد تنقية صدره من الغل والغسون[1] والحقد، وكتم الخدعة والمكر لأحد من المخلوقين، وَلْيَطْوِ في صدره حسن النية وإرادة النَّفع والخير للخلق على اختلاف أجناسهم ومشاربهم، هذا مع إزالة طَلَب التصدُّر في المجالس بغير حقٍّ، وادعاء العلم مع الجهل.

ورضي الله عن سيدنا أحمد الرفاعي الحسيني رضي الله تعالى عنه وعنَّا به، فإنه قال:

كُنْ عَالِماً وَٱرْضَ بِصَفِّ النِّعال

لاَ تَطْلُبِ الصَّدْرَ بِغَيْرِ الكَمَال

---

(١) لم أجد هذه الكلمة في «القاموس المحيط»، ولا «لسان العرب»!!.

فَــإِنْ تَصَــدَّرْتَ بِــلاَ آلَــةٍ
يكُونُ ذَاكَ الصَّدْرُ صَفَّ النِّعَال

غسل البطن

وإذا **غسل بطنه** فليشهد صيانته من أكل الحرام والشبهات، وَلْيُنَـقِّ وعـاءه مـن أن يـدخلـه شـيءٌ لا يرضي الله تعالى.

غسل العورة

وإذا **غسل القبل والدبر والفخذين** فليشهد حراسته كلِّه من المنهيّات والقعود والنهوض فيما لا يجوز شرعاً؛ ولا يستحسن عقلاً.

غسل الرِّجلين

وإذا **غسل الساقين والقدمين** فليشهد تطهير كل ذلك من المسارعة بالمشي إلى اتباع الهوى، أو إلى أمرٍ يضرُّه بدينه، أو يؤذي أحداً من الخلق.

ثمرة الطهور

ومن كان طهوره على هذا المنوال لا يجيء منه إلَّا الخير للمخلوقين، والنفع في الأقوال والأفعال لجميع الآدميين، **فليتدبر**.

الشعبة الرابعة

الوضوء

وهو : الطهارة الصغرى .

باب المحاضرة مع الله تعالى .

إنما هو بابُ المحاضرة مع الله تعالى في أوقات العبادة له سبحانه بالصَّلاة المفروضة والسنن المطلوبة .

وحيث إن الصلاة هي مناجاة العبد مع الله تعالى ؛ فلا تقبل إلاَّ والعبد على وضوء ، ليصلح للوقوف بين يدي الله ، وليكن ذلك الوقوف في موضع طاهر ، وبَدَن طاهر ، وثوب طاهر .

حقيقة الطهارة

وحقيقة ذلك هي الطهارة من الأحداث والأوساخ ظاهراً ، ومن المخالفات باطناً .

وهناك تأمنُ الناسُ كلُّهم بوائقَه وتؤمِّل منافعَه .

الشعبة الخامسة

الصلاة

وهي: أكبر شُعَب الإيمان بعد كلمتي الشهادة.

أحكام الصلاة

ومنها فرائض، ومنها سنن وفضائل.

الفرائض

أما الفرائض التي هي كالصلوات الخمس فتركُها عَمْداً وجَحْداً كفرٌ.

تأديتها

وتأدية الصلاة يتمُّ بإقامة ركوعها وسجودها وتلاوتها والإتيان بأركانها في أوقاتها التي افترضها الله تعالى.

روح الصلاة

وروح الصلاة فَهْمُ معانيها، قال تعالى ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾[1]. فالقيام إلى الصلاة هو قيامُ القلب بخشية الجوارح وخضوع

---

(١) العنكبوت، آية (٤٥).

القالب كلِّه إلى محاضرة الحقِّ، فيتخلَّى المصلي عن جميع الوُجُودات بالفقر والفاقة إلى الله.

عهد الله وثمرته

ويجدِّد عهدَه بالصلاة مع الله خمس مرات في اليوم والليلة، فلا يغفل عن الله تعالى. وهناك فلا ينقض عهداً، ولا يتجاوز حدّاً، ولا يؤذِي من الخلقِ أحداً، ولا يمدُّ لغير الله يداً، ويعتمد على الله، ولا يلجأ إلاَّ إلى الله، ولا يخشى إلاَّ الله، ويتوكَّل في كلِّ أعماله على الله، ويصير بصحَّة هذا النظر كالغيث أين وقع نفع.

على أن خضوعَه وانحناءَ ظهره وتعفير جبهته بالتراب هو للهِ سبحانه وتعالى.

ومِن هذا فيكون المصلي في كل عمل يرجع إلى الله خاشعاً خاضعاً متواضعاً، متى طولب بالحقِّ خضع، ومتى ذُكِّر بالله خَشَع.

الشعبة السادسة

الزكاة

وهي نوعان: فريضة، ونافلة.

فالفريضة أربعة أقسام: أنواعها

الأول زكاة العين؛ كالذهب، والفضة، وما اتخذ منها من الحلية إلاَّ ما كان منها للقُنْية الجائزة، ومالا يجوز اقتناؤه ففيه الزكاة؛ إذا كان نصاباً فما فوقه وحال عليه الحول عند مالكه، هذا إذا كان ملكه صحيحاً.

والثاني زكاة الماشية.

والثالث زكاة الحرث.

والرابع زكاة الفطر.

وأما **النافلة**: فعامَّةٌ في كل شيء من وجوه البرّ.

وفي **معنى الزكاة** حَثّ على اقتناء المال وجمعِه معنى الزكاة

من الحلال بالصناعة والتجارة والعمل الطيِّب الصالح، ليملك النصاب وتحقَّ عليه الزكاة فيفيضها على المحتاجين والمستحقين لها من الأمة.

منع الزكاة

وتدبَّر فإنَّ الله جعل للفقراء حقوقاً في أموال الأغنياء، ليس لأصحاب الأموال فيها شيء، ولذلك وقع الوعيد الشديد على منعها. وقد قَرَنها اللهُ بالصَّلاة فحيث جاءت في كتاب الله جاءت مقرونة مع الصلاة[1]، فمن ذلك قوله تعالى ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾[2]. وتقدير هذا النظم المبارك: أقيموا الصلاة لي، وآتوا الزكاة للفقراء وأهلِ الحاجة إليها. وناهيك بهذا فخراً، فقد قَرَن الله حقَّ الفقراء والمحتاجين بحقِّه سبحانه.

وإذا تدبَّر اللبيب يرى أن الوجودَ كلَّه يتعبَّد لله بالزكاة عملاً بشريعة الإسلام، هذه الأرض التي هي أقربُ الأشياء إلينا تعطي جميع زكاتها من منافعها ونباتها، ولا تبخل على مَن على ظهرها بشيء ممَّا

---

(١) في حوالي ثلاثين موضعاً.
(٢) البقرة، آية (٤٣).

عندها في فصول العام، وكذلك النبات والأشجار والحيوان، والبحر والسماوات، والأفلاك والشمس والقمر والنجوم؛ الكلُّ لا يدَّخِر شيئاً من منافع جوهريَّته وفوائد مادَّته، متعاون بعضه مع البعض، يعطف بعضه على البعض في طاعة الله.

مانع الزكاة

فمانع الزكاة مخالفٌ لجميع الموجودات، بل للأرضين والسماوات، ولذلك وجب شرعاً قتالُه وقهره وإجبارُه على إيتاء الزكاة. **فتدبَّر سرَّ هذا الحكم وحكمته** يظهر لك شيء من جليل معاني الشريعة المحمَّدية؛ ففيها البلاغ.

* * *

الشعبة السابعة

صوم رمضان

تعريف الصوم

والتعبُّد به هو: إمساك الجسد عما يضادُّ الصوم؛ من أول الفجر إلى غروب الشمس.

معناه

والصوم وصفٌ من أوصاف الربوبية، وفي الحديث القدسي: «الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»(١). فقد دعا الباري إلى الاتصاف بصفته من معنى قول النبي ﷺ: «تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللهِ»(٢). وهو مِن أصعب

---

(١) عند البخاري: ١٨٩٤، ومسلم: ١١٥١، وابن ماجه: ١٦٣٨، والنسائي: ٢٢١٤، وأحمد: ٣/ ٩٧٢٠، ومالك في «الموطأ»: ١/ ٣١٠، وابن خزيمة: ٣/ ١٨٩٧، والبيهقي ـ واللفظ له ـ: ٤/ ٢٣٥.

(٢) جاء في «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي (١/ ٨٨): ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: «تخلَّقوا بأخلاق الله». =

الأشياء على النفوس، لأنها لا تقوم الأجساد إلّا بمادةٍ، بخلاف وجود الباري سبحانه؛ فإنه الغني المنزَّه عن الأعراض والموادّ والشهوات.

حكمته

وقد فَرَض الحقُّ الصوم كسراً لشهوات النفوس، وقطعاً لأسباب الاسترقاق للأشياء، فلا يكون الصائم رِقّاً لشيء ولا يسترِقُّ شيئاً، يرى الأشياء كلَّها لله وهو شيء منها ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾[1].

ثمرته

وإذا تحقَّق الصائم بالتخلُّق بأخلاق الله؛ فيكون رحيماً نزيهاً بَرّاً محسِناً كريماً حليماً، معطياً لله مانعاً فيما لا يرضي الله، رؤوفاً بخلق الله قهَّاراً لمن عادى الله، عدلاً محضاً بأوامر الله، جبَّاراً على مَن حادَّ الله، ضارّاً لمن يؤذي خلق الله، نافعاً لكلِّ ذرّة كونيَّة في ملك الله، طعامُه من الحلال وإطعامُه الغيرَ من الحلال.

= وعلَّق عليه الشيخ شعيب الأرناؤوط فقال: لا يعرَفُ له أصل في شيء من كتب السنة، وذكره السيوطي في «تأييد الحقيقة العلية»، ولم يَعْزُه لأحد. اهـ.

(١) البقرة، آية (١٥٦).

تكميل

وفي هذه الدقائق من الحثِّ على جمع المال من طرق الحلال مالا يخفى على ذي بصيرة، وفي إجاعة البطون وإظماءِ الأكباد ما يذكّر بحال أهل الفقر والفاقة، ويلزم بالرحمة لهم وبذل البِرِّ لكلِّ فرد منهم من أيِّ جنس كان ومِلَّة.

وفي الصوم معنى الانحياز عن كلِّ شيء إلى الباري سبحانه، فيكون الصائم حاضرَ القلب مع الله لا يرجو غيره ولا يؤمِّل إلاَّ خيره.

* * *

الشعبة الثامنة

الحج

وفرضُه مرَّة واحدة في العمر مع وجود الاستطاعة . فرضيته

وهو ركن من أركان الدين . رتبته

وقد شُبِّه البيت بالمؤمن، فمَثَل الحرم المحيط بالبيت مَثَل الجسد المحيط بالقلب، ومَثَل تحريم الحَرَم بأن لا يقطَع شجرُه ولا يُنَفَّر صيدُه مَثَل تحريم دم المؤمن وعرضِه وكلِّ شيء منه لأجل قلبه الذي هو محلُّ الإيمان بالله. وكما أن الحرم لا يؤوِي صاحبَ جريمة؛ بل تقام فيه حدود الله كذلك لا حرمةَ لمن أمر الشرع بأخذ الحقوق منه . شبه المؤمن

وفي الحج ١ـ معانٍ شريفة معنويةُ المنهاج؛ تؤول إلى الله . معاني الحج

٢ـ ومعانٍ ترجع إلى عمارة الدنيا وحراستها

بالطريق الشرعي المرعيِّ، فهي كثيرة؛

منها **الإحرام**: وهو التجرُّد إلى الله بكسوة يرضاها تشعر بالذلِّ والانكسار له سبحانه.

والتلبية: فهي إجابة لله، فإنه دعا الخلق إليه فرفعوا أصواتهم إجابةً لدعوته بالتلبية، وإعلاناً بذلك رغماً لمن لم يجب داعيَ الله. وفي هذا من التجرُّد بالقلب والقالب لنصرة الله وامتثال أوامره بلاغٌ.

المعاني الدنيوية

ومن المعاني الدالَّة على حراسة الدنيا:

الخروجُ عن الوطن والأهل لإيفاء أحكام الأوامر الإلهية، ومنها يفهَم تركُ الكلِّ لإقامة حفلة الدين، فإذا عورض المؤمن في أمر الدين انتصر لدينه بترك وطنه وأهله وقَبولِ كلِّ مشقَّة وهَجَر الأوطان وهاجر للرحمان.

وكونُ الحج لا يقبل إلاَّ بالاستطاعة فيكون المرء كاملَ الزاد والراحلة والمتاع، ويكون كلُّ ذلك من الحلال الطيب، وهذا كله يلزم باقتناء الحلال من المال، وهل يكون اقتناء المال من الحلال بالبطالة

والعطالة والكسل والجهل بأمر الدنيا؟! ، وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لَيْسَ الرَّجُلُ رَجُلَ الدُّنْيَا أَوْ رَجُلَ الآخِرَةِ، بَل الرَّجُلُ رَجُلُهُمَا»[1].

وهل ينفع جَمْع المال بالحيلة وخبث الوسيلة واقتناؤه كحاطب ليل مع إيراث الأذية بجمعه للمخلوقين، والإضرار بنفع الناس من مقتنيه لأجل نفعه؟! وما جامع المال من غير الحلال إلاَّ كمن يحمل العقارب ويتركها على جلده تلسَعُه وتؤذيه؛ وهو يكتم أمره عن الناس، حتى إذا تكاثرت عليه السموم صرخ وندم حيث لا ينفعه صراخه وندمه.

وفي الحج مزيَّةُ التعرُّف للناس؛ والتعارف معهم، والوقوف على أحوال الأمم، وبركة النظر

---

(١) قال في «كشف الخفا»: ٢/١٦٩: رواه ابن عساكر والدَّيْلمي عن أنس بلفظ: «ليس بخيركم مَن ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه حتى يصيب منهما جميعاً، فإن الدنيا بلاغٌ إلى الآخرة، ولا تكونوا كَلاًّ على الناس». وأخرجه أبو نعيم والخطيب في تاريخه، والديلمي من وجه آخر. اهـ.

رقم الحديث في «مسند الفردوس» للديلمي: ٥٢٤٩.

والاستدلال بالشؤون العمومية والمظاهر الكونية؛ فبرؤية العلماء من الناس ينهض لاقتناء العلم، وبرؤية أرباب المال والتجارة والصناعة يسمو عزمُه لمثل ذلك، وبرؤية الأتقياء ينتهض لخدمة الله، وبرؤية أهل الأدب والنفع للنوع الإنساني تتشوَّف همَّتُه لتلك المزايا العالية، وبرؤية أرباب القوَّة والمُكْنة تعلو أفكاره لمشاركتهم في وصفهم، وبرؤية أرباب الفاقة والذلِّ تتسلَّق عزيمته لدفع الفاقة والمذلّة عنه وعن إخوانه.

وفيه ذكر الحشر والنّشر والقدوم على الله، فيكون متنبّهاً لدنياه ولآخرته.

الحج على لسان مولانا القطب أحمد الرفاعي

ولذلك قال شيخ الرجال سلطانُ الأولياء الأبطال مولانا السيِّدُ أحمدُ الرفاعيُّ الكبير رضي الله عنه: مَن حجَّ؛ ولم تظهر عليه آثار البركة في عقله وعرفانه ودنياه وآخرته فكأنه لم يحجّ، بل طوى القيعان واكتفى برؤية الجدران وزمزمة الرُّكبان، وذلك حجُّ مَن لم يكشف حُجب المظاهر ويقف - لجهله - مع

الظواهر قصدُه البيت. وقصدُ العارفين ربُّ البيت، ولذلك تراهم في كل حكم من الأحكام في حضرة الفهم يستكشفون حكمته التي طواها فيه الحكيم العليم ﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾[1]. انتهى كلامه الشريف.

فتدبر أيها اللبيب أسرار الحج، **وافهم** ما هزّك إليه دينك، **واعلم** أنك لا تقدر على إيفاء فروضك إلَّا بقوَّة وازعة تمنع عنك أعداء الله وأعداءَك، وتحرس نفسك ومالَك، وتؤمّن لك الطريق وتنشِّط لك الرفيق. وكلُّ هذا لا يتمُّ إلا بوقوف الهيئة المجتمعة تحت الراية الحاكمة بحفظ حقوق الشرع، وكشف أسرار الأحكام بعزيمة الحكمة، وتأييد قانون الأمر الإلهي بكلِّ ما تقتضيه الحال من قوة وخيل ورجال، وهممُ الرِّجال تقلع الجبال.

---

(١) فصلت، آية (٣٥).

الشعبة التاسعة

الجهاد

والإجماعُ منعقد على أنه فرض، إلاَّ أنَّهم قالوا: فرضُ كفاية يحمله البعض عن البعض. وهذا الأصل لا يُخرجه عن كونه معلّقاً على الكلِّ، فإن العدو إذا غشي الأرض كلّها صار الجهاد فرضاً معيناً على جميع أهل الأرض.

فروض الجهاد

ومن فروضه ١ ـ حسن النية فيه، فيُجعل لتكون كلمة الله هي العليا، و٢ـ أن يكون في المجاهد قوة على القتال وأخذ السلاح والثبات عند اللقاء وترك الغلول.

والمراد من الجهاد: ما جاء في كتاب الله ﴿حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾[١]. والفتنة: إيقاع الشرّ والأذيّة في النوع الآدمي، وسلبُ راحة

---

(١) الأنفال، آية (٣٩).

المخلوقين، ومدّ الأيدي لاستلاب أموالهم وأوطانهم وهدم منافعهم، فعلى هذا يقاتَل فاعل ذلك حتى يرجع إلى الدين الحق الذي مهّد سبل النفع للنوع الآدمي مطلقاً، وصان الحقوق وعصم الدماء والأموال، وأقام الناس في مقام العدل على صعيد واحد. أو يعطي ذلك الجريءُ الجزية؛ وهو صاغر ليَقْوى بها حزب الله على وقاية حقوق خلق الله، وذلك الجريءُ المضر لخلق الله يضعف عن إيصال الأذيّة لأحد من المخلوقين. وهذا في أمر الجهاد نظام هذا الدين.

الأمر بالاستعداد للجهاد

وانظر ـ أيها المحبُّ ـ فإنك ترى أن كتاب الله أمرنا أن نستعدَّ كل الاستعداد للكفرة والمنافقين والخائنين والمارقين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون؛ بنص: ﴿وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل﴾[1]. والاستطاعةُ: غاية الجهد.

أقسام القوة:

والقوة على قسمين: معنوي ومادي.

فالمعنوي: أن لا يَدخلَ بواطنَ المسلمين الرعبُ

---

(١) الأنفال، آية (٦٠).

والوحشة، فبقدر ضعف تلك القوة يجد العدوّ إلى المسلمين سبيلاً ومدخلاً، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَىٰ عَلَيْكُمُ ٱلْأُمَمُ كَمَا تَدَاعَىٰ ٱلْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا» قال قائل: وَمِن قِلَّة نحن يومئذ؟! قال: «بَلْ أَنْتُم كَثِيْرُونَ، وَلَكِنَّكُم غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ ٱللهُ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُم ٱلْمَهَابَةَ مِنْكُم، وَلَيَقْذِفَنَّ ٱللهُ فِي قُلُوبِكُمُ ٱلْوَهَنَ». قال: وما الوهن؟ قال: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ ٱلْمَوْتِ»[1].

وتدبَّر قول الله تعالى في يوم حنين ﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً﴾[2]. فلولا العُجْب لما أصيبوا، وحيث إن النبي ﷺ في غاية النزاهة والبراءة من العُجْب هو ومَن كان حولَه؛ فقد أنزل الله سكينته ونَصْرَه عليه ﷺ، فهَزَم ـ بإذن الله ـ أعداءَه ونصره الله عليهم. وفي يوم أحد لمَّا عصوا الرسول وجد العدو مدخلاً عليهم بعصيانهم.

---

(١) رواه أبو داود: ٤٢٩٧، وأحمد: ٨/ ٢٢٤٦٠، وأبو نعيم في الحلية: ١/ ١٨٢.

(٢) التوبة، آية (٢٥).

تسلط العدو من المخالفات

فما سُلِّط على المسلمين العدوُّ يوماً إلاَّ بما يَحدُث منهم من المخالفات والعصيان وضعف العزيمة في القول والعمل؛ انحطاطاً عن مرتبة الاتباع الكامل والوقوف مع أسرار الشرع الشريف، ولذلك قال ﷺ: «لَنْ تَضِلُّوا مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِسُنَّتِي»(١). والأمر كذلك، فإنَّه ﷺ لم يَرْضَ لنفسه الطاهرة من هذه الدنيا الدنيّة إلاَّ البُلغة، واكتفى بالله، وبذل هِممه الشريفة لإعلاء كلمة الله ونجاة خلق الله، وقام بنفع النوع الآدمي، ووطَّد الراحة لكلِّ ذرة من ذرَّات العالم الكياني. فمن ضلَّ عن سنته السنيّة ضلّ وزلّ وأحاطت به الأسقام والعلل.

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، لكن روى مالك في الموطأ: ٨٩٩/٢: بلاغاً أن رسول الله ﷺ قال: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما مسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه». وروى الحاكم في المستدرك: ٩٣/١: من حديث طويل عن ابن عباس مرفوعاً، وفيه: «يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً كتاب الله وسنة نبيه. . . .» الحديث.

وأما **القسم المادي** فهو أن يقابل العدو بما يدفع كيده؛ من سلاح، وكُرَاع، ورجال، ومال، وعلم، ورأي، وسَداد عزم، وعزيمة. ولا يقوم ذلك إلاَّ بالقوة العلمية النظرية والصناعية.

فمن **النظرية** صحَّة الآراء المستندة للعلم الشرعي النيِّر الذي جمع المعقولات كلّها، وأوضح المناهج السياسية بصحيح الفراسة ورقائق التدبير الجيدة.

ومن **الصناعية** الحراثة والتجارة والاهتمام بكل صناعة لازمة، يستوي فيها ما يؤول للحرب والقتال وما يؤول للرَّفاه في العيش والحال. لذلك فقد جاء في الخبر الشريف: «إِنَّ اللهَ يَكْرَهُ ٱلعَبْدَ ٱلبَطَّالَ»[1].

---

(1) قال في كشف الخفا: ١/ ٢٥٠ ما ملخصه: قال الزركشي: لم أجده، ومثله في اللآليء وزاد: لكن روى ابن عدي عن سالم عن أبيه مرفوعاً: «إن الله يحب المؤمن المحترف». وأقول: ورواه أيضاً الطبراني والبيهقي والحكيم الترمذي عن ابن عمر. اهـ. وبالنسبة لحديث: «إن الله يحب المؤمن المحترف» =

زهد المسلمين

وما فرّق أهل الجهل بين زهد المسلمين وجليلِ أعمالهم، ولذلك لزم أن نبين زهد المسلمين مجملاً بما فيه الكِفاية؛ فنقول:

المسلم مأمورٌ أن يعملِ لنفسه عمَلَ مَن يرى الموت محيطاً به في كلِّ طَرْفة، وأن يعمل للأمَّة عمل مَن يجزم أنه لا يموت.

هذا لُبَابُ ما أَمَرَ به رسول الله ﷺ، ومضى عليه الخلفاء الراشدون، والآل الطاهرون، والأصحاب المرضِيُّون والعارفون والصدِّيقون.

فإذا جمع المسلم بين هذين السرَّين كان مسلماً ذا عمل جليل وزهد كامل واتباع صحيح، وإلاَّ فلا.

ولا ينصر الشرع الشريفُ جهل الجاهل ولا عَذْل العاذل. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

= فقد رواه البيهقي في الشُّعب: ٢/ ٨٨، وابن عدي في الكامل: ١/ ٣٦٩، والديلمي في مسند الفردوس: ٥٦٧، والحكيم الترمذي بنحوه في نوادر الأصول: ١٢٣، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد: ٤/ ٦٢، وقال فيه: رواه الطبراني في الكبير والأوسط.

الشعبة العاشرة

الهجرة

وهي والجهادُ مرتبطان، فإن الإنسان لا يجاهد إلاَّ مَن هجرهُ، وإلاّ إذا أحبَّه؛ ولم يهجره فلم يجاهده.

تعريفها

وهي: الفرار من الفتن، وأهمُّها الفتن الدينيّة.

الفرار بالدين

فالفرار بالدّين أشرفُ أقسام الهجرة، كالفرار من بين ظهراني المشركين، وذلك واجبٌ على كلِّ مسلم، وبعده تَرْكُ كلِّ موضع يخاف فيه الفتنة في الدين من ظهور بدعة سيئة، أو ما يجرّ إلى كفر في أيّ بلد كان؛ فالهجرةُ منه واجبةٌ إلى أرض الله الواسعة. قال تعالى ﴿قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾[1]. وعن النبي

---

(١) النساء، آية (٩٧).

ﷺ: «لا تَنْقَطِعُ ٱلْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مَغْرِبِهَا»[1].

الرجل الكامل

ولا يكون الرجل رجلاً كاملاً إلَّا إذا اقتدر على هجر الوطن والأهل، بل وجميع المألوفات لله تعالى، فقد قال شيخنا وملاذنا الإمام السيد أحمد الرفاعي الحسيني رضي الله عنه: مَن كان حِلْسَ[2] عادته لا يجيءُ منه شيء.

والرجل متى علت عزيمته وسَمَت همَّته إلى

---

(١) أخرجه أبو داود عن معاوية: ٢٤٧٩، والدارمي: ٢٥١٣.
وفي مسند الإمام أحمد: ١/ ١٦٧١: قال معاوية وعبد الرحمان بن عوف وعبدالله بن عَمْرُو بن العاص: إن النبي ﷺ قال: «إن الهجرة خصلتان، إحداهما أن تهجر السيئات، والأخرى أن تهاجر إلى الله ورسوله، ولا تنقطع الهجرة ما تُقُبِّلت التوبة، ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب، فإذا طلعت طُبِع على كل قلب بما فيه، وكُفِي الناس العمل».

(٢) حِلْس عادته؛ أي: ملازماً لها، يقال: استحلس الشيءَ لازمه.
وفي «القاموس»: هو حلس بيته إذا لم يبرح مكانه.

ترك الوطن والأهل في الله لا بدَّ؛ وأن يكون من أنصار الله الذين يعزون الحق ويخذُلون الباطل ويأبون الضيم.

❊ ❊ ❊

الشعبة الحادية عشرة

الاستقامة

تعريفها

وهي: ترك ما خالف المنهاج الأحمدي في الأقوال والأفعال؛ والاستقامة باللسان والجوارح على طريقته ﷺ. قال تعالى ﴿وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً﴾(١). فلا تميلُ النفس إلى الأغراض الذميمة والمذاهب المعوجَّة، قال تعالى ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾(٢). وقال سيدنا الفاروق الأعظم عمر رضي الله عنه ـ في معنى ﴿ثم استقاموا﴾ ـ: أي

---

(١) الجن، آية (١٦).
(٢) فصلت، آية (٣٠).

لم يَرُوغوا كرَوَغان الثعالب[1].

حقيقة الاستقامة ودرجاتها

وحقيقة الاستقامة: زوال الاعوجاج.

وفيها فريضة، وفضيلة.

فالفريضة: أن لا يدخُل في مذاهب المبتدعين والزائغين أهلِ الإلحاد الذين يدخلون على الدين الفساد، فهم الذين عناهم رسول الله ﷺ بقوله: «وَإِنَّ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً؛ اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي ٱلْجَنَّةِ»، فسئل عن تلك الواحدة، فقال [ﷺ]: «الَّذِيْنَ هُمْ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»[2].

---

(١) قال السيوطي في «الدر المنثور» ٥/٣٦٣: وأخرج ابن المبارك، وسعيد بن منصور، وأحمد في «الزهد» وعبد بن حُمَيد، والحكيم الترمذي، وابن المنذر؛ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾؛ قال: استقاموا بطاعة الله، ولم يروغوا رَوَغان الثعلب. اهـ.

(٢) أخرجه الترمذي: ٢٦٤٠، والبيهقي: ١٠/٢٠٨؛ عن أبي هريرة، كذلك وأخرجه أبو داود: ٤٥٩٦، والحاكم في «المستدرك»: ١/٦، وابن ماجه: ٣٩٩٢؛ عن عوف بن مالك، والدارمي: ٢٥١٨؛ عن معاوية،=

والفضيلة هي: تقويم الظواهر وتهذيبها بآداب الشرع حتى كأن المرء يمشي على صراط مستقيم، يقول فصلاً ويحكم عدلاً، ولا يكون فظّاً غليظاً؛ ولا مُشَادّاً للدين، فـ«ما شادّ الدينَ أحدٌ إلاَّ وغلبه»[1].

* * *

= وأحمد: ٤/١٢٢٠٩؛ عن أنس بن مالك.

وبالنسبة لقول النبي ﷺ: «ما أنا عليه وأصحابي» فهو في «سنن الترمذي»: ٢٦٤١؛ من حديث عبدالله بن عمرو.

(١) أخرج البخاري: ٣٩؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إن الدين يسر، ولن يشادّ الدين أحد إلا غلبه.....» الحديث، وأخرجه النسائي: ٥٠٣٤.

الشعبة الثانية عشرة

الجماعة

قال الله تعالى ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا﴾[1].

حبل الله

وحبل الله الذي أمرنا بالاعتصام به هو القرآن.

والقرآن بحر عميق لا يدرَك ساحله ولا تنقضي عجائبه، والمفسِّر لدقائقه والمبرِزُ لحقائقه رسولُ الله ﷺ، وقد قال تعالى ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[2]، فكل ما جاءنا عنه عليه الصلاة والسلام بواسطةِ آله وصحبه رضي الله عنهم؛ فهو دينُ الله وحكمُ القرآن، وله فيه الأمر وعلينا الامتثال. فإنَّ الآل والأصحاب

---

(١) آل عمران، آية (١٠٣).

(٢) الحشر، آية (٧).

خزائنُ علمه ـ عليه وآله الصلاة والسلام ـ فمن زاغ عن منهاجهم وأخذ بالتفرقة فهو ضالٌّ، إذ هم الجماعة الذين أُلزمنا أن نكون معهم.

اختلاف المذاهب

واختلاف أهل السنة بالمذاهب والفتوى ليس بالخلاف، بل هو من الاتساع وتركِ التضييق والحرج، ففي كتاب الله ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾[1]، وفي كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «اِخْتِلَافُ أُمَّتِي رَحْمَةٌ»[2].

---

(١) الحج، آية (٧٨).

(٢) عزاه في «كنز العمال»: ١٠/٢٨٦٨٦ إلى نصر المقدسي في «الحجة»، والبيهقي في «رسالته الأشعرية» بغير سند، وقال: أورده الحليمي والقاضي حسين وإمام الحرمين. وقال في «الإتحاف»: ١/٢٠٤: قال العراقي: ذكره البيهقي في «رسالته الأشعرية» بغير إسناد بهذا اللفظ، وأسنده في «المدخل»؛ من رواية سليمان بن أبي كريمة؛ عن جويبر، عن الضحَّاك، عن ابن عباس **رفعه** فذكر حديثاً:

«مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به لا عذر لأحد في تركه، فإن لم يكن في كتاب الله فسنَّة مني ماضية، فإن لم تكن سنة مني فما قال أصحابي، إن أصحابي =

الخلاف والاختلاف

إذ الخلاف: خلافٌ في الطريق وخلاف في المقصد، والاختلاف: اختلافٌ في الطريق وموافقةٌ في المقصد، لا بمعنى الاختلاف الذي هو الشَّتات والفُرْقة، وحيث اتَّحد القصد فلا عبرة باختلاف الطرق.

الآل والأصحاب

والآل والأصحاب إمامُهم رسول الله ﷺ، وهو ـ أرواحنا له الفداء ـ ساقَهم كلَّهم إلى الله، ودلَّهم على الله، وعلَّمهم الكتاب والحكمة، وأبعدهم عن الشقاق وقرّبهم من الوفاق.

= كالنجوم في السماء، فأيما أخذتم به اهتديتم، واختلاف أصحابي لكم رحمة».

وسليمان وجويبر ضعيفان جداً، والضحاك بن مزاحم مختلَفٌ فيه، وكان شعبة ينكر أن يكون سمع من ابن عباس.

قال السخاوي: ومن هذا الوجه أخرجه الطبراني والديلمي في «مسنده» بلفظه سواء.

قلت: وكذا أبو نصر السِّجزي في «الإبانة»، وقال: غريب، والخطيب وابن عساكر في «تاريخهما»؛ كذا في «الجامع الكبير» للسيوطي. . . . إلخ ما قال. اهـ.

وهو في «مسند الفردوس» برقم: ٦٤٩٧.

ولا زالوا حتى صاروا إخواناً بالله متقابلين على سُرُر الأمانة والصِّيانة، قائمين على الحق، لا يقولون إلاَّ حقّاً، ولا يحكمون إلاَّ عدلاً، ممتثلين قول الله تعالى ﴿وتعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾[1].

وحكمُ هذه الآية الكريمة نتيجةً الحثُّ على الجماعة. والموفِّق هو الله [تعالى].

* * *

---

(١) المائدة، آية (٢).

الشعبة الثالثة عشرة

النصيحة

وهي : إرادة الخير لمن تُبذَل له .

قال رسول الله ﷺ : «اَلدِّيْنُ النَّصِيْحَةُ، اَلدِّيْنُ النَّصِيْحَةُ، اَلدِّيْنُ النَّصِيْحَةُ» (قالها ثلاثاً) .

قالوا: لمن يا رسول الله؟ . قال [ﷺ] : «للهِ وَلِرَسُولِهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلأَئِمَّةِ ٱلْمُسْلِمِيْنَ وَعَامَّتِهِم»[1] .

---

(١) أخرجه الترمذي: ١٩٢٦، والنسائي: ٤١٩٩، وأبو داود: ٤٩٤٤ . وعند هؤلاء كرر لفظ : «الدين النصيحة» ثلاثاً .

وأخرجه البخاري (تعليقاً): ١/ ١٣٧، ومسلم: ٥٥، وأحمد: ١/ ٣٢٨١، والدارمي: ٢٧٥٤، وأبو يعلى: ٤/ ٢٣٧٢، وابن عدي في «الكامل»: ١/ ١٥٥، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد»: ١/ ٨٧، وقال فيه: رواه أحمد والبزار والطبراني في «الكبير»، ورواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح . اهـ. ولم يكرروا لفظه «الدين النصيحة» .

فعدَّ النبي عليه الصلاة والسلام النصيحةَ معظمَ الدين، كما يقال: «اَلْحَجُّ عَرَفَة»[1]، أي: معظم أركانه.

مطلب

القطب الرواس يشرح «النصيحة»

وملخص ما قال شيخنا القطب الكبير السيد محمد بهاء الدين مهدي (آل خُزَام) الصيادي الرفاعي الشهير بـ«الرَّوَّاس» رضي الله عنه؛ في معنى هذا الحديث الشريف في كتابه المسمى بـ «الحِكَم المهدوية»:

النصيحة لله تعالى: أن يُذكَر؛ ويُشكَر، ولا يُكفَر، وأن يعبَد؛ ويحمَد، ولا يشرك به شيء، وأن يطاع ولا يُعصى.

---

(١) هو حديث أخرجه الترمذي: ٨٨٩، والنسائي: ٣٠١٦، وابن ماجه: ٣٠١٥، وأبو داود: ١٩٤٩، والبيهقي: ٥/١٥٢، والحاكم: ٢/٢٧٨، والدارقطني في «السنن»: ٢/٢٤١، وابن خزيمة في «صحيحه»: ٤/٢٨٢٢.

والنصيحة لكتاب الله تعالى: أن يقدَّس ويصانَ، ويُؤمِن المرءُ به كلَّ الإيمان؛ يجتنب ما نهىٰ عنه، ويعمل ما أمَرَ به، وأن يُنصَر فلا يُخذل، ويُحفَظ فلا يُهمَل، ويُتلى باللسان ويُعتقدَ بالجنان.

والنصيحة لرسول الله ﷺ: أن يُطاع ويتَّبع ويحبَّ أكثرَ من النفس والأهل والمالِ والولد، وأن تُحْيَى سُنَّتُه ولا تمات، وأن يستقام على طريقته حتى الممات، وأن يُنصرَ أمرُه ويُشاعَ ذكره، وأن يُصَلَّى عليه صلى الله عليه وآله وسلم تعظيماً له وإعزازاً لشأنه، وأن يُحبَّ آلُه، ويعظَّم أصحابه وأنصاره وأتباعه وأشياعه ونوّابه في أمره ودينه وحاله إلى يوم الدين.

والنصيحة لأئمة المسلمين: أن يُعانوا على إعلاء كلمة الله، وتأييد سُنَّة رسول الله ﷺ وإعزازِ الدين وحراسةِ بلاد المسلمين، وتنكيل الظالمين وتوقير الصالحين، وهدم قواعد المبتدعين وإذلال الغاشّين والمفسدين.

ومن **النصيحة للأئمة**: قولُ كلمةِ الحقِّ لهم

بلسان الشرع الشريف، ليكون في الحقيقة الناصحَ الناطق هو المخبرُ الصادقُ عليه من المَلِك السلامِ أفضلُ الصلاة والسلام.

والنصيحة لعامّة المسلمين: التعاونُ معهم على البرّ والتقوى، وإبعادُهم عن الإثم والعدوان، وصفاءُ النية والبِشْرُ لكلٍّ منهم، وكفُّ الأذى عنهم وإرادةُ الخير لهم بشاهد «لَا يَكُونُ أَحَدُكُمْ مُؤْمِناً حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيْهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[1]. وليس الدينُ إلَّا مكارمَ الأخلاق، وتوحيدَ الخلَّاق، والاعتصامَ بسنَّة المصطفى ﷺ. انتهى ملخصاً.

ولعل الجاهل يفهم مِن حصر النصيحة لعامّة المسلمين عدمَ النصيحة لغيرهم، فيقع في وَهْدة[2] الغلط السقيم، فإنَّ النصيحة لله تعالى منها أن يطاع سبحانه فلا يعصى، وقد عرَّفنا رسوله الكريم سيدنا

---

(١) لفظه عند البخاري: ١٣ عن أنس رضي الله عنه، وكذلك عند مسلم: ٤٥، والترمذي: ٢٥١٥، والنسائي: ٥٠١٦، وابن ماجه: ٦٦، وأحمد: ٤/ ١٢٨٠١، والدارمي: ٢٧٤٠ «لا يؤمن أحدكم حتى يحب....».

(٢) الوَهْدة: الأرض المنخفضة، والهُوَّة في الأرض.

محمد الرؤوف الرحيم ﷺ: أَنَّ الخَلْقَ كُلَّهُمْ عِيَالُ اللهِ، وَأَحَبُّ الخَلْقِ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُم لِعِيَالِهِ[1]. فهذا الحديث الشريف أفصحَ عن إرادة النفع للمخلوقين جميعاً.

والنصيحة معناها إرادة الخير والنفع لمن تبذَل له النصيحة من الناصح، يؤيِّد ذلك قوله تعالى ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها﴾[2]. وهذا إلزامٌ برعاية الرَّحِم الإنساني والتوادُد والتحابُب للنوع الآدمي. وأشرف التوادد النصيحة وإرادةُ النفع في الأمرين؛ الدِّيني والدنيوي.

وهذا نظام الدين المحمَّدي. أيّد الله أحكامه ونشر في مُلكِه أعلامَه. آمين.

---

(١) أخرجه أبو يعلى في «مسنده»: ٦/ ٣٣١٥؛ عن أنس رضي الله عنه، وكذلك رواه البزار: ١٩٤٩ (كشف الأستار)، وابن عدي في «الكامل»: ٧/ ٢٦١٠، وعزاه ابن حجر في «المطالب العالية»: ٨٩٧ إلى الحارث وأبي يعلى، وهو في «مجمع الزوائد» للهيثمي: ٨/ ١٩١.

ونحوه في «حلية الأولياء»: ٤/ ٢٣٧؛ عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) النساء، آية (١).

الشعبة الرابعة عشرة والخامسة عشرة

الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر

فهما شعبتان؛ الواحدةُ منهما مرتبطةٌ بالأخرى لا تنفك عنها.

فالأمر بالمعروف يتضمن النهي عن المنكر وكذلك النهي عن المنكر يتضمن الأمر بالمعروف.

صورتهما

وصورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أن ينظر المرءُ نفسَه فيأمرَها بأنواع البرِّ والتقوى والعمل بها، وينهاها عن المنكر باطناً وظاهراً، ثم يتعدَّى إلى عياله وأهلِ داره فيأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ثم إلى جيرانه... وهلمَّ جرًّا.

تعريفهما

والمعروف: النفعُ الشامل للأمرين أمر الدنيا وأمر الآخرة.

والمنكر: الأذى الشامل للأمرين المذكورين.

ولذلك جاء في الخبر: «أَهْلُ ٱلمَعرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمْ أَهْلُ ٱلْمَعْرُوفِ في الآخِرَةِ»[1].

حكمهما

وكلٌّ من الشعبتين فرضٌ على كلِّ مسلم، فعلى المسلم إنْ رأى مُنْكَراً أن يُغَيِّرَهُ بيَدِه، فَإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِه، فَإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ ٱلإيْمَانِ[2].

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك»؛ عن أنس: ١/ ١٢٤، والطبراني في «الصغير»؛ عن أبي موسى: ١٩٩.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد»؛ عن قبيصة بن مرة الأسدي: ٧/ ٢٦٢، وقال: رواه الطبراني والبزار، وكذلك أوردَه عن أبي هريرة، وقال: رواه الطبراني في «الصغير» و«الأوسط». اهـ.

والحديث في «حلية الأولياء»: ٩/ ٣١٩، وفي «الكامل» لابن عدي: ٥/ ٢٠٠٢، وفي «مسند الشهاب»: ١/ ٢٠٠.

(٢) روى مسلم: ٤٩، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان». ورواه الترمذي: ٢١٧٢، والنسائي: ٥٠٠٨، وابن ماجه: ١٢٧٥، وأبو داود: ١١٤٠، وأحمد: ٤/ ١١٤٦٠.

هكذا عَرَّفنا وعلَّمنا نبينا الأعظم ﷺ.

وقال الكثيرُ من أئمة الدِّين رضي الله عنهم: تغيير المنكر باليد للأمراء، وباللسان للعلماء، وبالقلب للعامّة.

مناصرة الآمر والناهي

ويجب على كل فرد من أفراد الأمَّة الوقوفُ مع مَن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فيكون الكلُّ أعواناً له على مزيَّتَي الأمر والنهي المذكورين؛ عملاً بقول الله تعالى ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾[1].

واجب الآمر والناهي

ويجب على من يأمر وينهى أن لا ينسى نفسه؛ فيصيرَ هدفاً لسهام قوله تعالى ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾[2]. والهَمْزةُ مِن «أتأمرون» هي للتوبيخ.

سرٌّ آخر

وهنا سرٌّ آخر: يجب على الأمة نصرُ الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر من دون تجسُّس عليه، فيقول الجاهل له: أنت كذا وكذا فلِمَ تأمُر بكذا وتنهى عن كذا!!. وهذا من دسائس الشيطان، بل

(١) المائدة، آية (٢).

(٢) البقرة، آية (٤٤).

عليه أن يقفَ مع الحقِّ ويُعين أهله.

وعلى الآمر أن يتحقَّق بموافقة الحقِّ، وبالمباعدة عن ضدِّه. وكلٌّ يؤدِّي ما عليه.

ثمرة الأمر والنهي

وبالأمرالمعروف والنهي عن المنكر الحياةُ الطيِّبة للأمة، لأنه لا يكمل نظام الراحة للعامة إلَّا بهاتين الشعبتين، فهما عصامٌ لمصالحِ الأمة، بهما يأمن الضعيف بوائق القويِّ، ويسلَم المظلوم من شرِّ الظالم، وبهما تقف الناس عند الحدود وتصان المقادير، وتحمى المروءات ونواميس الأمَّة، وتعلو أحكام الشرع، ويسمو منار الدين، ويكبر شرف الإمامة الكبرى ويجلُّ مجدُ الخلافة العظمى، ويعزّ العلماء ويوقَّر الكُبَراء، ويأمن الضعفاء، وتطيب قلوب الأغنياء والفقراء.

وقد روى سيدنا علي الإمام الكَرَّار رضي الله عنه، عن ابن عمِّه سيِّد المخلوقين ﷺ أنه قال: «لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لَا يُؤْخَذُ فِيهَا لِلضَّعِيْفِ حَقُّهُ مِن القَوِيِّ غَيْرَ مُتَعْتَعٍ»[١].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في حديث طويل: ٢٤٢٦؛ عن أبي =

وهذا لا يكون إلَّا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾[1]. فقد أراد الله تعالى وتبارك ممَّن يمكِّنُهم في الأرض ويولِّيهم أمر الخلق إقامةَ الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبهذه الأوصاف الحميدة تدومُ مُكنَتهم وتعظُم شوكتهم وتنمو قدرتهم. وبالانفكاك ـ والعياذ بالله ـ عن هذه الأوصاف ضِدُّ المكنة؛ كالوهن والعجز. وفي هذا بلاغ.

= سعيد الخدري رضي الله عنه، وفيه: «إنه لا قُدِّست أمة لا يأخذ الضعيف فيها حقه غير متعتع».

ومعنى غير متعتع: أي من غير أن يصيبه أذى يقلقه ويزعجه. و«غيرَ» منصوب لأنه حال للضعيف.

وكذلك أخرج ابن ماجه: ٤٠١٠؛ عن جابر رضي الله عنه حديثاً طويلاً، وفيه: «كيف يقدس الله أمة لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم».

(١) الحج، آية (٤١).

الشعبة السادسة عشرة

العدل

وهو: ضِدُّ الظلم.

معنى العدل

ومعناه: إعطاءُ كلِّ ذي حقٍّ حقَّه.

وإيضاح ذلك الحكمُ بالحقِّ ووضعُ الحقوق مواضعَها؛ أي: لا يبخس أحداً من حقه شيئاً.

وللعدل معنىً لفظيٌّ؛ وهو الوسط بين الزيادة والنقصان، فالشهادة لا تكون إلاَّ بالعدالة، وهي أن لا يميل بها الشاهد إلى جانب؛ دون آخر.

وضدُّها: الزور، وهو الذي يميل به صاحبه عن الوسط.

والميزان العَدْل الذي يكون لسانه في وسط القبة.

عبودية العدل

وقد استعبد الله الخلق بذلك؛ أي: بأن يكونوا قائمين بين الله وبين مخلوقاته في شهادتهم لله

وللخلق بالقِسْط، فيعطوا الله حقَّه؛ وهو معنى الربوبية، والخلق حقَّهم؛ وهو العبودية.

فمن أضاف إلى المخلوقات شيئاً من معاني الربوبية، أو إلى الربوبية شيئاً من معاني العبودية فقد ظلم وانحرف عن العدالة إلى الظلم ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾[1].

ومتى أسقط الرجل عن نفسه اسم العدالة فقد سُمِّي باسم الظلم، لأنه وضع الشيء في غير محله.

العدل مع رسول الله ﷺ

ومن العدل: إعطاءُ النبي ﷺ حقَّه؛ وهو أن يُتَّبع ويطاع ويُنظَر بعين التوقير والإجلال والإعظام، ونراه في المرتبة التي جعله الله فيها، وهيهات مِن أين لنا ذلك!! وقد قرن الله اسمه مع اسمه؛ وقال ﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾[2]. فالذي رفع الله قدره عنده حتى تحبطُ أعمال الإسلام من أجل رفع الصوت

---

(١) لقمان، آية (١٣).

(٢) الحجرات، آية (٢).

عنده؛ لقد جَلَّ قدراً وعظم مقاماً، وعزَّ رتبة ومنزلة.

ومِن رفع الصوت رفعُ الآراء على سنَّته والتهاونُ بكلامه. فالأدب مُلْزِم بلحظ سنته المطهرة كما يلحظ شخصه الشريف الأطهر ﷺ.

ومن العدل في حقِّه كثرةُ الصلاة والسلام عليه، والإيثار له على كلِّ شيء دون الله تعالى، والقيام بنصر أمره وإعزازِ شأن شريعته، والمحبَّة لآله وذريته ولأصحابه وخُدّام شريعته، وللمستمسكين بسنَّته المتأدِّبين بآدابه في الأقوال والأفعال، الذابّين عما جاء به، المرغمين لأهل الزيغ والإلحاد أُولي الرّأي المؤدّي إلى الانحراف والفساد.

ومن العدل في حقِّه الحكمُ بما جاء به، فقد وَفَّت شريعته الطاهرةُ الآدميّةَ حقَّها، ولم تبخس شيئاً من أشياء الناس، بل ولم تهضم حقَّ ذرَّة من الذرَّات، وقد ألزمت المرءَ بأن يكون مع الناس كأسنان المشط[1]، لا يزحم منهم أحد على الآخر في

---

(١) أخرج ابن عدي في «الكامل»: ٣/١٠٩٩؛ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: =

الحقوق، فكلٌّ بنظر الوقاية ملحوظٌ، وكلُّ حقٍّ له مصونٌ ومحفوظ، لا يظلم ولا يحقر، ولا يهان بحق مهضوم، وكلٌّ له في قسط الشرع الأطهر مقامٌ معلوم.

فمن وفَّى المصطفى ﷺ حقَّه على هذا المنوال في الأقوال والأفعال فقد قام بالعدل الذي ينجيه غداً يوم القيامة، ويصونه من موجبات الخزي والندامة.

ومن العدل أيضاً العدلُ بالنفس والأهل، والولد والجار، والأرحام والمسلمين، وجميع الآدميين وذرَّات الوجود، وأصناف الحادثات في الكائنات؛ يقف مع كل ذرَّة مخلوقة بما يليق لها من حكم الصنع وسرّ الوضع.

ومن العدل أن يُبصِر بعين الإنصاف ما عليه كما يبصر مالَه، فلا يكلِّف أحداً ما لم يكن يرضيه أن يُكلَّف به، بل ولا ينظر إلى أحد من صنوف

= «الناس سواء كأسنان المشط، وإنما يتفاضلون بالعافية». . . . الحديث، وأخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخه»: ٧/ ٥٧.

المخلوقين نظرة لم يرد أن ينظر بمثلها من غيره، وعكس ذلك ظلمٌ ﴿وما للظالمين من أنصار﴾[1].

ومن العدل التأني عند تلاطم الشبهات في الشؤون، ففي الخبر: «اِدْرَأُوا ٱلحُدُودَ بِالشُّبُهَاتِ»[2]،

---

(١) البقرة، آية (٢٧٠). وآل عمران، آية (١٩٢).

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخه»: ٩/٣٠٣.

وعزاه السيوطي في «الدرر المنتثرة» ـ ٦٤ ـ إلى ابن عدي في جزء له؛ عن ابن عباس **مرفوعاً**، وإلى مسدَّد في «مسنده»؛ عن ابن عباس **موقوفاً**. وقال ابن حجر في «تلخيص الحبير»: ٤/٥٦: وأصحُّ ما فيه حديث سفيان الثوري؛ عن عاصم؛ عن أبي وائل؛ عن عبدالله بن مسعود قال: «ادرأوا الحدود بالشبهات، ادفعوا القتل عن المسلمين ما استطعتم.....».

وروي عن عقبة بن عامر ومعاذ أيضاً **موقوفاً**، وروي **منقطعاً وموقوفاً** على عمر.

ورواه أبو محمد بن حزم في كتاب «الإيصال»؛ من حديث عمر **موقوفاً** عليه بإسناد صحيح. اهـ.

أقول: وللترمذي: ١٤٢٤، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ادرأوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم».... الحديث، ورواه الحاكم =

وفي كلام الإمام الرفاعي رضي الله عنه: رَبُّ الشُّبهة يتطرّق الشبهة، والخَيِّر لا يظن إلاَّ خيراً. ومن لم يدرأ الحدَّ بالشبهة؛ فمِن دون ريب يقيم الحدَّ بالشبهة، وحينئذ يكون مخالفاً للآمر بالعدل النبيِّ العادل صلى الله عليه وآله وسلم، والله تعالى قال ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾[1].

* * *

= في المستدرك: ٤/ ٣٨٤، والبيهقي: ٨/ ٢٣٨.

(١) النور، آية (٦٣).

الشعبة السابعة عشرة



الأمانة

رتبتها

وهي: ضِدُّ الخيانة.

والنبي ﷺ نفى الإيمان عمن لم يكن بأمين، فقال: «لَا إِيْمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ»(١)، وقال عليه الصلاة والسلام: «كُلُّ خُلَّةٍ يُطْبَعُ عَلَيْهَا ٱلْمُؤْمِنُ إِلَّا الخِيَانَةَ وَٱلكَذِبَ»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد: ٤/ ١٢٥٦٨، والبيهقي: ٩/ ٢٣١، وابن عدي في «الكامل»: ٣/ ١١٩٢، وأبو يعلى في «مسنده»: ٥/ ٢٨٦٣، والبزار: ١٠٠، وابن حبان ١/ ١٩٤. كلُّهم؛ من حديث أنس رضي الله عنه.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد»: ١/ ٩٦؛ من حديث أنس، وعزاه إلى أحمد، وأبي يعلى، والبزار، والطبراني في «الأوسط».

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية»: ٣/ ٢٢٠؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو يعلى في مسنده: ٢/ ٧١١، والبزار: ١٠٢ من =

شرفها

والأمانة قدرُها عظيمٌ، وهي من أشرف الأخلاق التي يتَّصف بها أهل الهمم وأربابُ المروءات، يؤدِّي الرَّجلُ المتَّصفُ بها الشيءَ الذي اؤتمن عليه واستُودِعه.

ضروبها

وهي على ضروب؛ منها أمانة الله، وأمانة الرسول، وأمانة الخلق، قال الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾[1]. ومعنى الآية الكريمة: لا تخونوا الله فيما ائتمنكم عليه من الأمر والنهي، ولا تخونوا الرسول فيما ائتمنكم عليه من الدين وبلَّغكم إياه من الأحكام، ولا تخونوا بعضكم فيما اؤتمنتم عليه من كلام أو مال أو غير ذلك.

= حديث سعد رضي الله عنه. وروى الإمام أحمد: ٨/ ٢٢٢٣٢ من حديث أبي أمامة رضي الله عنه: «يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب». ونحوه في سنن البيهقي: ١٠/ ١٩٧ من حديث سعد. انظر إتحاف السادة المتقين: ٧/ ٥١٨.

(١) الأنفال، آية (٢٧).

وقد أمر الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بعدم المظاهرة والإعانة للخائنين، فقال سبحانه ﴿ولا تكن للخائنين خصيماً﴾[1].

وقد نفى الشارع الأمين صلى الله عليه وآله وسلم الإيمان عن الخائن والكذاب بنصِّ الحديث الشريف الذي تقدَّم.

فأمانة الناس مع بعضهم هي الودائعُ في الأموال والأهلين والأسرار. ومنها حفظ الحقوق والمقادير في الغيبة والحضور، وإنَّ من صفة المنافق إذا ائتمن خان[2].

فمن اتّصف بالأمانة يقف عند حدود الله، فلا ينقض عهداً، ولا يهدم للأمر والنهي ركناً، ويصون كلَّ فرد من أفراد خلق الله؛ إعظاماً لجلال الله، ويحفظ حقوق النبي ﷺ في دينه وشريعته المطهرة،

---

(١) النساء، آية (١٠٥).

(٢) أخرج البخاري: ٦٠٩٥؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان».

وذريته، وأصحابه، وخلفائه الكرام على توالي الأجيال والأيام، ويصون مقادير أُمَّته الكبير منهم والصغير.

وعلى المرء أن لا يخون نفسه بإضاعة حقوق الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

ومتى كَمُل له الاتصاف بالأمانة الشرعية - أعني أَمِن الناس كلُّهم بوائقه - كان مؤمناً أميناً متحلِّياً بأشرفِ شعبة من شعب الإيمان، وحينئذ يجيءُ يوم العَرْض على الله أميناً إن شاء الله والموفق الله.

* * *

الشعبة الثامنة عشرة

الصِّدق

النّدب إليه

قال الله تعالى: ﴿وكونوا مع الصادقين﴾[1].

وقال النبي ﷺ: «وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيْقاً»[2]... الحديث، ومن حديث آخر: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيكون المؤمن كذوباً؟ قال: «لا»[3].

---

(١) التوبة، آية (١١٩).

(٢) أخرجه مسلم: ٢٦٠٧ ـ واللفظ له ـ، والبخاري بنحوه: ٦٠٩٤، وأبو داود: ٤٩٨٩، والترمذي: ١٩٧١، والدارمي: ٢٧١٥، وأحمد: ٢/ ٣٦٣٨.

(٣) قال الإمام مالك في «الموطأ»: ٢/ ٩٩٠؛ وحدثني مالك عن صفوان بن سليم، أنه قال: قيل لرسول الله ﷺ: أيكون المؤمن جباناً؟ قال: نعم، فقيل له: أيكون =

والصدق هو ضِدُّ الكذب، فهو الحقُّ؛ والكذب هو الباطل. فالصادق في أقواله وأفعاله على حال ما اتَّصف به قلبه، وقد سأل الخليل عليه السلام ربَّه تعالى فقال: واجعل لي لسان صدق. فالصادق الحقيقي هو الذي عَرِي من النفاق، وطَهُر منه؛ فلم يبقَ فيه منه شيءٌ لاستواء ظاهره وباطنه. والمنافِق عكسُه لم يبقَ فيه شيء من الحقِّ لاختلاف ظاهره وباطنه.

وليتدبر فإنَّ مِن شرط النبي الصدق والعصمة من الكذب، فلولا صدقُ الأنبياء ما ظهر لهم برهانُ نبوة، ولذلك عُدَّت آخرُ درجات الصديقين أوَّلَ درجات الأنبياء.

والكذَّاب لا يكون أميناً ولا صديقاً، فإن الكذب روزنة[1] الخيانة، فمتى ارتفع الرجل إلى درجة الكذب سقط إلى الخيانة.

= المؤمن بخيلاً؟ فقال: «نعم»، فقيل له: أيكون المؤمن كَذّاباً؟ فقال: «لا». وهو حديث حسن مرسل. اهـ.

(١) في القاموس المحيط: الروزنة: الكُوَّة.

لطيفة: الكذب على الطفل والزوجة فيما يتطلّبانه من سَعة العيش الزائدة، وعلى الظالم للاستخلاص من ظلمه، وعلى ربِّ الدَّيْن بنيَّة الوفاء الجازمة، ولإصلاح ذات البين لم يعدَّه العلماءُ من الكذب. ومع ذلك فالصدقُ في كلِّ الشؤون دينُ الله. وكفى بالله وليّاً.

* * *

الشعبة التاسعة عشرة

الوفاء بالعهود والمواثيق

أقسام الوفاء

والوفاء بالعهد على ثلاثة أقسام:

الأول: في حقِّ الله عزَّ وجلَّ وحقِّ نبيِّه ودينه.

والثاني: في حقِّ المؤمنين.

والثالث: في حقِّ غيرهم من المخلوقين.

وفاء عهد الله

فالوفاء بعهد الله: الوقوفُ عند حدوده وتعظيمُ شعائره، وإجلال دينه وإعظام شأن نبيه ﷺ، والتمسُّك كلَّ التمسُّك بسنَّته، والتخلُّق بأخلاقه، والانتصار بالنفس والمال واللسان لأحكام شريعته، وإعزاز ولاة أمور الأمة مِن بعده؛ إعلاءً لكلمة الله وإجلالاً لشأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وفاء عهد المؤمنين

والوفاء مع المؤمنين فهو أن المؤمن إذا وعد أخاه المؤمن وعداً؛ أو عاهده عهداً عليه أن لا يُخلِفَه

بوجه إلاَّ عن عذر صحيح حائل بينه وبين الوفاء، وحينئذ فمن الوفاء بالعهد قبولُ العذر المقبول.

ومن العهد أن لا يعذر المؤمن بمؤمن فيظلمه في نفسه، أو ماله، أو أهله، فقد أوجب الدين على المسلمين أن لا يخادع بعضُهم بعضاً، ولا يمكُر بعضهم ببعض. فمن انفكَّ عن هذا الحكم وغدَر أخاه المؤمن، أو ظَلَمه، أو أراد خُذْلانه؛ فهو من المنافقين.

ومن الوفاء بالعهد: الارتباطُ ببيعةِ خليفة الزمان في كل آن، أعني به السلطان الذي اجتمع الناس على توليته في كل وقت. فمَن لم يرتبط ببيعته ويصدِّقْ له، ويكون ناصحاً له في دينه ونفسه وملكه؛ يكون ناقضاً لميثاق البيعة الذي ألزمه الشرع الشريف بحفظه، وذلك خروجٌ عن أحكام الشرع، حمانا الله والمسلمين.

ومن العهد: قيام العلماء في كل زمن ببيان حقائق الشريعة المطهرة وإفاضة سرِّ العلم الديني في الأمة، فقد أُخذ عليهم العهدُ لَيُبَيِّنُنَّه للناس ولا يكتمونه،

ولو أُوذوا في الله، فذلك من الوفاء بعهد الله ورسوله وأنبياء الله أجمعين.

فكما أن الأنبياء والمرسلين قد كلَّفهم الله تعالى تبليغ ما أَمرهم به إلى الأمم؛ فكذلك ورّاثهم العلماء مكلَّفون بإظهار العلم وعدم كتمانه وتعليمه للأمة، وقول الحقِّ ونَصْر الشرع، وإعزاز أوامر الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

وكلُّ ذلك عهدُ الله الذي عَهِد به إلى الأرواح قبل انتظامها بالقوالب، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ الأَرْوَاحَ قَبْلَ ٱلأَجْسَادِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»[١]. ففي عالم الأمر حين خلق

---

(١) أورد ابن الجوزي في «الموضوعات»: ١/٤٠١ حديثاً بلفظ: «إن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، ثم حَطَّها تحت العرش، ثم أمرها بالطاعة لي، فأول روح سلمت عليَّ روح عليٍّ».

ثم قال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع، قال الأزدي: في سنده عبدالله بن أيوب وأبوه كذَّابان لا تحلُّ الرواية عنهما. اهـ. أما اللفظ الذي أورده المصنف فلم أجده.

الله الأرواح استودعها عهده بأن تشهد أن لا إله إلا هو، ومتى وحّدت آمنت به سبحانه وبكتبه ورسله وملائكته. وتمَّت كلمة الله فقَوْمٌ حَجَبَهم كونُهم عن الحقِّ، وقومٌ غلبت شوارق أرواحهم على حجب قوالبهم فوقفوا بعد البروز مع الحق، وآمنوا بالله تعالى، وصدَّقوا رسله، ووفَّوا له بعَهْده؛ فهم مع الحَقِّ، لا مع الغرض، كلُّهم كالمطر النافع. وهدى الله هو الهدى.

وفاء المخلوقين

وأما **الوفاء في حقِّ غير المسلمين من المخلوقين**؛ كأهل الذمة والمعاهدين على الصلح والسِّلْم؛ فيجب لهم الوفاء بما عُوهدوا عليه، أو صولحوا من كل نصٍّ اشتمل عليه العهد، وحَرُم ظلمُهم ونقض العهد الذي عُوهدوا عليه، ويحرم ظلمُ غيرِ المسلمين كلِّهم. وقد أوجب الدينُ المحمَّدي أن لا يظلموا في أنفسهم ولا في أموالهم؛ خصوصاً المستأمِن منهم، فقد قتل النبي ﷺ رجلاً قتل ذمِّيّاً؛ وقال عليه الصلاة والسلام: «أَنَا أَوْلَى مَنْ وَفَّى بِذِمَّتِهِ»[1].

---

(1) هو في «سنن البيهقي»: ٨/ ٣٠ بلفظ: «أنا أحق من وفى =

وكلُّهم في الحقوق مع المسلمين بمنزلة واحدة؛ لهم ما لنا، وعليهم ما علينا، إلاَّ أن يتعدّوا حدودَ الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* * *

= بذمته». قال الحافظ في «الفتح»: ١٢/ ٢٦٢: أخرجه الدارقطني؛ من طريق عمَّار بن مطر، عن إبراهيم ابن أبي يحيى، عن ربيعة، عن ابن البَيْلَماني، عن ابن عمر قال: قتل رسول الله ﷺ مسلماً بكافر، وقال: «أَنَا أولىٰ من وفّىٰ بذمته». قال الدارقطني: إبراهيم ضعيف، ولم يروه موصولاً غيره، والمشهورُ عن ابن البيلماني مرسلاً.

وقال البيهقي: هو منقطع، وراويه غير ثقة.

وأخرجه أبو داود في «المراسيل» والطحاوي، وابن البيلماني ضعَّفه جماعة ووثق، فلا يُحْتَجُّ بما ينفرد به إذا وصل، فكيف إذا أرسل، فكيف إذا خالف؟ قاله الدارقطني. اهـ ملخصاً.

الشعبة العشرون

كفّ الأذى عن الناس

العبد الكامل

فالكاملُ لا يؤذي شيئاً من المخلوقات، لأن العبد إذا كَفَّ أذاه عن جميع المخلوقات كان كاملاً.

الاحتراز عنه

ويجب على العبد أن لا يؤذِيَ الله، ولا رسولَه، ولا أنبياءه، وأولياءه. وهنالك فلا ينسب لذاتٰ الله تبارك وتقدَّس مالا يليق به من مجانسة الحادثات، ومشابهة المصنوعات، وينزِّهَه سبحانه عما يستحيل عليه.

وأن لا يؤذي رسول الله ﷺ بهدم شيء من أحكام شريعته، ولا بظلم أحدٍ من أمَّته، أو بإحقار رجل من ذريته، وخُدَّام سنَّته، وأصحابه، وأنصاره، حياً كان؛ أو ميتاً.

وأن لا يؤذي نبياً من الأنبياء، ولا ولياً من

الأولياء، فإنَّ ذلك يغضِبُ الله، وفاعلُ ذلك يكون محارباً لله[1].

وعلى المسلم أن يكفَّ أذاه عن المسلمين، فقد قال رسول الله ﷺ: «اَلْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ ٱلْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»[2].

---

(١) يشير المصنف بهذا إلى ما أخرجه البيهقي: ٣/٣٤٦؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل قال: من عادىٰ لي ولياً فقد بارزني بالحرب». . الحديث.

ونحوه في سنن ابن ماجه: ٣٩٨٩؛ من حديث معاذ.

وأخرجه أبو يعلى في «مسنده»: ١٢/٧٠٨٧؛ من حديث ميمونة زوج النبي ﷺ. وأخرج البخاري: ٦٥٠٢ هذا الحديث؛ عن أبي هريرة بلفظ: «إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب». . . الحديث.

وللبزار: ٣٦٢٧؛ عن عائشة بلفظ: «قال الله تبارك وتعالى: مَن عادى لي ولياً فقد استحل محاربني».

(٢) أخرجه البخاري: ١٠، وأبو داود: ٢٤٨١، من حديث عبدالله بن عَمرو.

ومسلم: ٤١؛ عن جابر، والترمذيُّ: ٢٦٢٧؛ عن أبي هريرة، والنسائي: ٤٩٩٦؛ عن عبدالله بن عُمر.وأخرجه =

صنوف الأذى

والأذى على صنوف؛

منها: في الأموال؛ بالسرقة، والنهب، والسَّلب، والحيلة.

ومنها: بالسَّبِّ، والضرب، والقهر، والغمز، واللَّمز، والحسد، والغلّ، والبغضاء، والكبر، والفرية، وسوء الظنّ، وقلَّة الرحمة، والقسوة.

واجب المسلم

وعلى المسلم أن يَسلَم الناس من شرٍّ لسانه، ويده، وجوارحه، وأن تسلَمَ نفسُه من أن يؤذِيَها بكُفْران نعمة الله، والإيذاء لله، ولخلق الله.

ويقال: البَرُّ لا يؤذي الذرّ[1]. فمن تحقَّق بكفّ الأذى عن الناس لا بدّ؛ وأن يكون نافعاً للناس. وخيرُ الناس مَن ينفع الناس، وشرُّ الناس مَن يؤذي الناس.

= أحمد: ٢/ ٦٥٢٥، والدارمي: ٢٧١٦، والبيهقي: ١٠/ ١٨٧، والحاكم: ١/ ١٠ وهو قطعة من حديث عن أنس رضي الله عنه في «مجمع الزوائد» للهيثمي: ١/ ٥٤، وقال فيه: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار.

(١) النمل الصغير. أو الشيء التافه.

وفي الشرع: من علامات أهلِ النَّار أن يُخافَ الرَّجُل لِشرِّه، ولا بِذْع!! فمن علامات أهل السعادة إن شاء الله أن يُحبَّ الرجلُ لخيره وبرّه.

الشعبة الحادية والعشرون

البـرور

منازل البر

وأرفعها منزلة بِرُّ الباري سبحانه، وبرّ أنبيائه عليهم الصلاة والسلام، ثم برُّ الوالدين، ثم البرُّ العامُّ لكل ذرَّة مصنوعة.

فبرُّ الباري: هو الطاعة الخالصة له.

وبرور الأنبياء تعظيمُهم وتعظيمُ ما جاؤوا به.

وبرُّ الوالدين؛ ١ـ إن كانا حيَّيْن القيامُ بحقِّهما طولَ الحياة، وأن يحسِن إليهما بماله وقولِه، ويؤثرَهما على نفسه وزوجه وبنيه، وإن كانا محتاجين إليه في أمر الدين أن يعلِّمَهما ويُنَبِّهَهُما على كلِّ ما يضرُّهما وينفعهما برفق ورحمة، وأن يتأدَّب لهما غايةَ الأدب، ولا يرفع صوتَه عليهما، ولا يحدِّد النظرَ إليهما، وأن يتطلَّب في كل آنٍ رضاهما.

٢ـ وإن **كانا ميتين!!** فعليه أن يدعوَ لهما في كل وقت، ويتصدَّق عنهما، ويفعلَ ما يستطيع من الخير والبر؛ ويرسل ثوابه إليهما، ويحفظَ ودَّهما ويُدخِل عليهما السرور على التوالي بعد موتهما.

الأبوان الميتان

وإن كانا على غير الإسلام! فليُحسن إليهما مدَّة حياتهما بالطعام والشراب واللباس، وبكل ما يحتاجان إليه. هذا مع لين الكلمة والرِّفق بهما، وعليه رعايةً لحقَّيْهما أن يقدِّم لهما النصيحة باتباع الإسلام، والعمل بما جاء به سيِّد الأنام عليه وآله الصلاة والسلام، وإذا ماتا!! فليترك أمرَهما إلى الله تعالى.

الأبوان غير المسلمين

والبرّ العامّ أن يعمل جهده بإيصال النفع منه للذرات إعظاماً لشأن الخالق القديم، وعملاً بشريعة نبيه سيدنا محمد النبي الكريم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

البر العامّ

الشعبة الثانية والعشرون

صلة الرحم

قال رسول الله ﷺ: «لَا يَدْخُلُ ٱلجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ»(1).

أقسام الرحم وهي ـ أعني الرَّحِم ـ على قسمين: ١ـ رحمُ قرابة وولادة.

و٢ـ رحم إيمان وإسلام.

---

(١) لفظ المصنف رواه مسلم: ٢٥٥٦، وأبو داود: ١٦٩٦، وأبو نعيم في الحلية: ٧/ ٣٠٨.
وقد رواه البخاري: ٥٩٨٤، لكن بلفظ: «لا يدخل الجنة قاطع»، وكذلك رواه الترمذي: ١٩٠٩، وأحمد: ٥/ ١٦٧٣٢، والبيهقي: ٧/ ٢٧.
وراوي الحديث هو سيدنا جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنهما.

رحم القرابة

ورحم القرابة أيضاً على قسمين: الأول: يرث، والثاني: لا يرث.

ومنهم مَن تجب نفقته مثل الآباء والأبناء، ومنهم مَن لا تجب بالحُكْم مثل الإخوة والأخوات والخال والخالات وسائر القرابات، ولكن بالصِّلَة والإحسان.

رحم الإيمان

وأما **رحم الإيمان! فهي أُخُوَّة الإسلام والإيمان،** قال تعالى ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾[1].

كيفية الصلة

والصِّلَة تكون بالمال، والزيارة، والإحسان، وبالصفح في الأقوال، وبالعون في الأفعال، وبالألفة والمحبة، وقطع التَّقَاطع والتَّدَابُر، وترك الهجران، إلاَّ مَا أباحه الشرع، وتعليمهم وتنبيههم وإعانتهم على الخير.

ولو تدبَّرت هذه الموجودات رأيتَها كلَّها متعبِّدَةً لله بصلة الرَّحِم الكوني، فلا تجد شيئاً إلاَّ معِيْناً للشيء الآخر؛ الماء بريّه، والطعام بمادّته، والنسيم

---

(١) الحجرات، آية (١٠).

بسَرَيانه، والضياء بلمعانه، وكلّ شيء بحكم جوهرِيَّته القائمة بذاته.

و٣ـ من أقسام الرحم: قسمُ الرحم الإنساني المَعْنِيُّ بقوله تعالى ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾[1]. فعلى المرء أن يصل الرحم الإنساني بالشفقة والنصيحة، وإرادة الخير الديني والدنيوي، فإذا فعل ذلك عُدَّ رجلاً كاملاً. والله [تعالى] المعين.

* * *

---

(١) النساء، آية (١).

إكرام الجار

قال رسول الله ﷺ: «وَاللهِ؛ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ».

قيل: من يا رسول الله؟.

قال: «الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»(١). فقد نفى الشارع العظيم ﷺ الإيمان عن الذي لم يتحقَّق بهذه الشُّعبة.

---

(١) أخرجه البخاري: ٦٠١٦؛ من حديث أبي شريح، وأحمد: ٥/ ١٦٣٧٢، والحاكم: ١/ ١٠، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد»: ٨/ ١٦٩.

وأخرج مسلم: ٤٦؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه».

البوائق: جمع بائقة، وهي الغائلة والداهية والفتك.

إكرام الجار

وإكرام الجار فرضٌ واجبٌ على الجار، وذلك أن لا يؤذِيَه، ولا يضرَّه، ويكفَّ عنه بصره وشرّه، وكلَّ حال يسيئه، وأن يُحسن إليه ويصلَه بما قدر، ويأمُرَه بالمعروف وينهاه عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة، ويقابِلَه بالبشر ولين الكلمة، وإذا لم يقدر على الإحسان فلْيَكُفَّ عن الأذى، قال ﷺ: «مَا زَالَ جِبْرِيْلُ يُوصِيْنِي بِالجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ»[1]. ومِن هذا النصِّ المبارك يتعيَّن وجوب رعاية الجار وإكرامه. وفيه الكفاية.

---

(١) البخاري: ٦٠١٤؛ من حديث عائشة، وابن عمر رضي الله عنهم، ومسلم: ٢٦٢٥؛ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وأبو داود: ٥١٥٢؛ من حديث عبدالله بن عَمْرو رضي الله عنهما، والترمذي: ١٩٤٢، وابن ماجه: ٣٦٧٣، وأحمد ٢/ ٥٥٨١، والبيهقي: ٦/ ٢٧٥، وأبو نعيم في الحلية: ٣/ ٣٠٦، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد»: ٨/ ١٦٥، وعزاه إلى البزار، والطبراني في «الكبير» و«الأوسط».

الشعبة الرابعة والعشرون

إكرام الضّيف

قال رسول الله ﷺ: «مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ ٱلآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَه»، قالوا: وما جائزته؛ يا رسول الله؟! قال: «يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَٱلضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّام، فَمَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ، وَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَثْوِي عِنْدَهُ حَتَّى يُحْرِجَهُ وَيُؤْثِمَهُ» قالوا: كيف يؤثمه؟ قال: «يُقِيمُ عِنْدَهُ وَلَيْسَ عِنْدَهُ مَا يُقْرِيْهِ بِهِ»[1].

---

(١) أخرجه البخاري: ٦٠١٩، ومسلم: ٤٨، وأبو داود: ٣٧٤٨، والترمذي ١٩٦٧، وابن ماجه: ٣٦٧٥، ومالك: ٢/٩٢٩، والدارمي: ٢٠٣٥، والحاكم: ٤/١٦٤، والبيهقي: ٩/١٩٧، وابن حبان: ٧/٣٤٨، والقضاعي في «مسند الشهاب»: ١/٢٨٨. وألفاظهم متقاربة.

الشعبة الخامسة والعشرون

الصّمت إلاّ عن الخير

قال ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَٱلْيَومِ ٱلآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً، أَوْ لِيَصْمُتْ»(١).

أقسام الكلام

والكلامِ قسمان: خير، وشرٌّ. والكلام مِن العمل لا يكون إلاَّ فيما يَعني.

ويجب على العبد العاقلِ أن يصونَ لسانَه من الكذب والزّور، والهمز والاستهزاء، والنميمة والبهتان، والغيبة والفرية على الناس، وأن يضبطَ لسانه ويحفظَه كحفظه سائر الجوارح، ولا يتكلَّم إلاَّ بما فيه الخير.

---

(١) أخرجه البخاري: ٦٤٧٥، ومسلم: ٤٧، والترمذي: ٢٥٠٠، ومالك: ٢/ ٩٢٩، وابن ماجه: ٣٩٧١، والبيهقي: ٨/ ١٦٤، وأحمد: ٣/ ٧٦٣٠.

كلام العاقل

ومن العقل أن يكون كلام المرء مبنيّاً على الحكمة.

مضحكات العارفين

وقد رأيتُ بعض العارفين يتكلَّم بالمضحكات واللَّطائف من الكلمات، فسألته عن ذلك، فقال: يا ولدي؛ هذا زمانٌ ساءت فيه الأخلاق على الغالب، فترى الناس يستلِذُّون بالقال والقيل وغيبة بعضهم، والبهتان أمام بعضهم، والكذب على بعضهم، والجدال مع بعضهم، فَلِحَسم هذه المفاسد رأيتُ إمرارَ الوقت بالمزاح اللطيف الذي يرتاض به الفكر ولا يتعلَّق بأحد. فعجبتُ لذلك السرّ وأمعنت النظر به فرأيته من أشرف الأسباب لسدِّ تلك الأبواب. **فليتدبر**.

لسان المؤمن

والمؤمن لا يستخدِمُ لسانه إلَّا بذكر، أو شكر، أو قولٍ صالح؛ يرجع إلى نفع الناس كنصيحة في أمر الدين، أو في أمر الدنيا، ونشرِ علم طيّب، وبثّ حكمة؛ أو موعظة حسنة.

وعلى المؤمن أن لا يسكتَ عن الحقِّ ليظهر بسلطان الحقِّ على أهل الباطل، سيّما أربابَ الزيغ

والضلالة الذين يدسُّون على الدين، ويفسدون في الأرض ولا يصلحون، فعلى العبد إن قَدَرَ أن يظهر زيغهم وزيفهم، وأن يدفع بالحق باطلهم، ويدلَّ الخلق على الحقّ.

وسكوت مثل ذلك العالم العارف لا يجوز، بل يجب عليه الكلام، وإلاَّ! فيتوجَّه عليه الملام.

* * *

الشعبة السادسة والعشرون

الغَيْرة

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَغَارُ، وَإِنَّ ٱلْمُؤْمِنَ يَغَارُ»[1]. وقد جعل الرسول عليه الصلاة والسلام الغَيْرة من صفة الله تعالى.

أقسام الغيرة

والغيرة على أقسام:

منها لله تعالى، ولرسوله، ولدينه، ولكتابه.

ومنها غيرةُ الرجل على حريمه، ومروءته، وما يؤول لنفسه.

ومنها غيرتُه لقومه، وأهله، ووطنه.

---

(١) أخرجه مسلم: ٢٧٦١؛ عن أبي هريرة، والترمذي: ١١٦٨، وأحمد: ٣/ ١٠٧٤٠، والبيهقي: ١٠/ ٢٢٥، ونحوه البخاري: ٥٢٢٣.

وكُلُّ هذه الأقسام محمودٌ.

مراتب الغيرة

وأشرفُها: الغيرة لله تعالى ولرسوله ﷺ، فمتى تحقَّق العبد بالغَيْرة لله انتصر لأحكام دينه، وانتهض لإعزاز أمره، ودوامه في ملكه، **وبالغيرة للرسول** ﷺ: الهيامُ بجنابه، والقيامُ بإعلاء شأنه، ونشرِ ذكره وتأييد شريعته.

ومن هذا القسم الشريف: بيانُ أسرار الشرع بما تبلُغُه عقول السامعين، ولا يعييهم فهمه، قال ﷺ: «لَا تُحَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا لَا تُدْرِكُهُ عُقُولُهُم، أَتُحِبُّونَ أَن يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُه!!؟»(١). وقال عليه الصلاة

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، لكن للبخاري في «صحيحه»؛ عن علي **موقوفاً**: حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله. (فتح الباري: ١/ ٢٢٥).

وأخرج مسلم في مقدمة «صحيحه» ص١١: أن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة».

وأخرج الديلمي في «مسند الفردوس»: ٧٣١٢؛ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما **مرفوعاً**: «لا تحدثوا أمتي من أحاديثي إلا ما تحمله عقولكم».

والسلام: «لَا تُؤْتُوا ٱلحِكْمَةَ غَيْرَ أَهْلِهَا فَتَظْلِمُوهَا، وَلَا تَمْنَعُوهَا أَهْلَهَا فَتَظْلِمُوهُم»[1]. وهذا كلُّه من الغيرة على الحكمة الشرعية، والأسرار الدينية.

وغيرة الرجل على حريمه وأهله: أن يوقِفَهم موقفَ الأدب، ويصونهم مما يشين شأنهم، ويمسّ مروءتهم، فيلزمهم بأمر الدين والتمسُّك بسنَّة سيِّد العالمين عليه صلوات البرِّ المعين.

وغيرته لنفسه فلا يُذِلُّها إلَّا لله.

وغيرته لقومه وأهل قرابته ووطنه فيصون مجدَ قومه بالسُّلوك الحَسَن والمشرَب الحميد، ويحفظ لأهله مجدَهم، ولوطنه حاله واستقباله؛ بالآراء الصحيحة والمساعي الممدوحة، فقد قال سيدنا الفاروق الأعظم عمر أميرُ المؤمنين رضي الله عنه:

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ. وفي معناه ما أخرج ابن ماجه: ٢٢٤، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم، وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب».

والله لو سَقَطَ جَدْي على جسر في العراق لخِفْتُ أن يسألني الله عنه.

فخذ ـ أيها اللبيب ـ من أسرار الشريعة المطهَّرة، وأخبار سادةِ الصحابة ما يُثلج صدرَك وانتفع به. والله وليّ المتقين.

* * *

الشعبة السابعة والعشرون

ترك ما لا يعني

ففي الحديث الشريف: «مِن حُسْنِ إِسْلَامِ ٱلْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيْهِ»(١). وهذا النصُّ النبوي مؤيَّد بالبراهين النظرية والحجج الاستدلالية، فإنَّ مَن اشتغل بما لا يعنيه يفوتُه بالطبع ما يعنيه. وأهمُّ ما يعني المرءَ الأمرُ الذي يتعلق بالدين، ثم ما يؤول إلى نفسه.

وأهل الارتباط الصحيح بالحق يُعرَفون بهروب

---

(١) أخرجه الترمذي: ٢٣١٧، وابن ماجه: ٣٩٧٦، ومالك: ٢/ ٩٠٣.

وأخرج أحمد: ١/ ١٧٣٢؛ من حديث الحسين بن علي رضي الله عنهما: «إن من حسن إسلام المرء قلَّة الكلام فيما لا يعنيه».

خالصٍ عن المشاغل الكاذبة، وتقوم وتقعد هممُهم مع كلٍّ ما يعني، ولا يلتفتون إلى مالا يعني.

ما يعني المرء

ومما يعني المرءَ شأنُ أهله ووطنه وإخوانه في الدين، وبعدَهم شأنُ غيرهم من الآدميين، فعليه أن يسعى بنفع نفسه في الأمرين الديني والدنيوي، ثم ينفعُ أهله ووطنه وإخوانه من المؤمنين، ثم ينفع الآدميين على طبقاتهم؛ واختلاف أجناسهم ومذاهبهم.

مالا يعني

وأما الَّذي لا يعني! فهو إشغالُ نفسه بحال زيدٍ؛ ومعيشة عبيد، أو بطعام خالد؛ ولباس بكر، فكلٌّ هذا من الجهل وقصر الفكر.

وعلى هذا[1] دَرَج أهلُ الهمم من العلماء الذين هم ورثة الأنبياء عليهم السلام.

---

(١) أي: على ترك مالا يعني والاشتغال بما يعني.

الشعبة الثامنة والعشرون

التقوى

قال الله تعالى ﴿واتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾[1]، فقد علَّق الإيمان بشرط التقوى؛ وهي: الخوف من الله خوفاً يجعل المرء متحرِّزاً، حَذِراً من الوقوع في المخالفات.

والتقوى في كل شيء عامٌّ ظاهر في أمور الدين والدنيا، وباطن في الموت وما بعده من أمور الآخرة كلِّها.

نجاة المتقين ومقامهم

وقد وعد الله المتقين بالنجاة، ففي كتاب الله ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾[2]. ونوّه على رفيع منزلتهم

---

(١) المائدة، آية (٥٧).

(٢) مريم، آية (٧٢).

وأنَّهم أكرمُ الناس عنده سبحانه بنصٍّ ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[1].

وهذا هو الكرم الذَّاتي الذي هو أفضلُ من الكرم الفعلي الذي هو السخاء.

والكرم الذاتي من قولك: فلان عليّ كريم. فأهل التقوى المبرَّؤون من دَنِيَّات الأفعال ظاهراً وباطناً مكرَّمون عند الله. فالخير كلُّه هو الإطاعة والشرُّ كله هو العصيان.

وحيث إن المتقين قد جعلهم الله مظاهر الخير وحماهم من صوادم الشرِّ؛ فهم عند الله تعالى وعند الخلق خيرُ البريّة، وهم للناس نفعٌ عامٌّ ينفعون الناسَ بأقوالهم وأحوالِهم وأفعالهم، وبهذا ثبتت لهم الخيريّة، فإنَّهم تزوّدوا خير الزّاد، واستعدوا في هذه الدار الفانيةِ ليوم الميعاد. جَعَلنا الله منهم، ولا أبعدنا عنهم. آمين.

---

(١) الحجرات، آية (١٣).

الشعبة التاسعة والعشرون

الورع

قال رسول الله ﷺ: «اَلْحَلَالُ بَيِّنٌ وَٱلْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاس. فَمَن ٱتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدَ ٱسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ»[1]. فاتّقاء الشبهات هو الورع الذي يستبريء المرء به لدينه وعرضه.

ملاك الدين

رأى الإمام الحسن البصري رضي الله عنه شابّاً من أولاد أمير المؤمنين سيِّدنا علي ـ كرّم الله وجهه، وأتحفه برضوانه وسلامه ـ قد أسند ظهره إلى الكعبة؛ وهو يعظ الناس، فوقف عليه الحسن وقال

---

(١) أخرجه البخاري: ٢٠٥١، ومسلم: ١٥٩٩، وأبو داود: ٣٣٣٠، وابن ماجه: ٣٩٨٤، والدارمي: ٢٥٣١، وأحمد: ٦/ ١٨٣٧٥، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٤/ ٧٣: رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط».

له: ما ملاكُ الدين؟ فقال: الورع.

وقال ﷺ: «فَضْلُ ٱلعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ فَضْلِ ٱلعِبَادَةِ، وَخَيْرُ دِيْنِكُمُ ٱلوَرَعُ»[(١)].

ولا يخفى أن الورع لُبَاب التقوى، لأن التقوى في الحرام كُلِّه، والورع في الشبهات كلِّها. فالرجل المتحلِّي بالورع إذا عَرَضَت له كلمة مشتبهة لا يدري؛ أهي غيبة، أم لا!! يكفّ عنها، وعلى ذلك فَقِسْ.

جوامع الورع

وقد جمع كلَّ أحكام الورع قولُ النبي ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ»[(٢)]. ولا بدع؛ فالذي

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك»: ١/ ٩٣؛ عن حذيفة رضي الله عنه، وابن عدي في «الكامل»: ٤/ ١٥١٤، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد»: ١/ ١٢٠، وقال فيه: رواه الطبراني في «الأوسط»، والبزار.

(٢) أخرجه الترمذي: ٢٥١٨، والنسائي: ٥٧١١، والبيهقي: ٥/ ٣٣٥، وأبو داود الطيالسي: ١١٧٨، وأبو يعلى الموصلي: ١٢/ ٦٧٦٢، والدارمي: ٢٥٣٢، وابن حبان: ٢/ ٥٢، والحاكم ٢/ ١٣ وصحَّحه؛ ووافقه الذهبي. كلُّهم من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما. =

يتَّقي الشبهات لا يُقدِم على ما هو فوقها من المنهيّات، ويكفّ عن الإقدام بغير بيان؛ أو برهانٍ كتابيٍّ أو عقلي على مطلق قول أو فعل.

قلَّة الورع تورث البدع

وتدبّر ترى أن جميع ما وقع فيه الزائغون أهل العقائد الفاسدة من هضم حقوق الأنبياء والأولياء، والتجرّي على المخالفة في الأحكام التي أجمع عليها علماء الدين وأئمة المسلمين، والقول بنفي الصفات والقول بخلق القرآن وبالتشبيه ـ والعياذ بالله ـ والقول بحدوث الصفات والفوقيّة والتحتيّة، والحطّ على الصالحين والانحياز عن طرق السلف الصالح، وغير ذلك من آرائهم المجانبة لاعتقاد أهل الحقِّ من أهل السنة إنما كان من قلة الورع والإقدام بتأولاتهم الكاذبة وآرائهم السقيمة على المشتبهات، فشَقُّوا الغبار عنها بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير. حمانا الله والمسلمين أجمعين.

= وأخرجه أحمد: ٤/ ١٢١٠٠؛ عن أنس، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد»: ١/ ٢٣٨، من حديث وابصة بن معبد رضي الله عنه، وقال فيه: رواه الطبراني في «الكبير».

الشعبة الثلاثون

القناعة

قال رسول الله ﷺ: «كُنْ وَرِعاً تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاس، وَكُنْ قَنِعاً تَكُنْ أَشْكَرَ النَّاس»[1]. فقد جعل القنَاعة أفضلَ مقامات الشكر، وإنمَا الشكر نصفُ الإيمان، وقال عليه الصلاة والسلام: «اَلْقَنَاعَةُ كَنْزٌ لَا يَفْنَى»[2].

---

(١) أخرجه ابن ماجه: ٤٢١٧، ولفظه: «يا أبا هريرة؛ كن ورعاً تكن أعبد الناس، وكن قنعاً تكن أشكرَ الناس، وأَحِبَّ للناس ما تحبُّ لنفسك تكن مؤمناً، وأحسن جوار مَن جاورك تكن مسلماً، وأَقِلَّ الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب». وأخرجه أبو نعيم في «الحلية»: ١٠/ ٣٦٥، وهو في «كنز العمال»: ١٥/ ٤٣٤٩٨، وعزاه إلى الخرائطي في «مكارم الأخلاق»، وإلى البيهقي في «الشُّعَب».

(٢) قال السيوطي في «الدر المنثور» ١/ ٣٦١: وأخرج البيهقي في «الزهد»؛ عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: =

والقناعة: ضدُّ الطمع والحرصِ والشَّرَه على الدنيا.

زلق فهم

وقد تزلق أفهام البعض فيظنون أن القناعة هي البطالة والكسل وترك العمل، وهذا غَلَط سقيم، إنما القناعة سرٌّ يُستودَعُ في القلب مع العمل والجدِّ والاشتغال، يستغني به المرء عن غير الله، فقلبه بسبب ذلك السرِّ شبعان، ولسانُه شاكرٌ، ونفسه مطمئِنَّةٌ، خلافاً لمن يكون مشتَّت الفكر، مشغولَ القلب بطلب الزيادة، متّبعاً للهوى مؤثِراً للدُّنيا على الآخرة.

حال القانع

فالقانعُ بما فتح الله به عليه وقَسَمه له الذي لا يريد إلاَّ الحلال، ولا يتشوَّق إلاَّ للطيِّب من

= قال رسول الله ﷺ: «القناعة كنز لا يفنى».

وقال في «كشف الخفاء» ٢/١٠٢: «القناعة مال لا ينفد وكنز لا يفنى» رواه الطبراني والعسكري؛ عن جابر، وكذا القضاعي؛ عن أنس، لكن بدون «وكنز لا يفنى»، قال الذهبي: وإسناده واهٍ. اهـ. والحديث في «مسند الشهاب»: ١/٧٢، وفي «الكامل» لابن عدي: ٤/١٥٠٧.

الأرزاق، لا يجيء منه للنوع الإنساني أذيَّةٌ؛ ولا ضرر، بل كلُّه في شغله وعمله نفع.

حال الطامع

والحريص الطامعُ الغير القانع يتطلَّب الزيادة مِن كل طريق، ويعمل الحيلة لاستحصال الزيادة بكلِّ وجه، لا يرقبُ في ذلك سؤالاً إلهياً، ولا يستحيي من الناس، بل ربما ساقه حرصُه لأجل شَرَهه ولحصول غرضه فتجرَّأَ على إتلاف النفوس وهدم النواميس الشرعية وتَخَوَّضَ بأضرار الخلق، يريدُ بذلك ـ على ما يزعم ـ نفعَ نفسه، فمَثَل ذلك الرجل مَثَلُ الحيوان المفترس، ولا فرق بينه وبين الكلب الأكلب الذي تجب إزالته، فإنَّه كلَّه في شغله وعمله ضررٌ للناس محضٌ.

وكم نرى بين ظهراني الأمَّة من هذا النوع أُناساً اختطفهم شَرَهُهم وحرصهم فأضرُّوا بالخلق وهدموا أركان منافع الناس لأغراضهم ولصيد أطماعهم، حتى ضاقت بالناس سُبُل المعيشة، وكلَّ يوم وهم على نسق من إظهار البدع وبثّ الفتن والمحن في الأمة.

وأنين القلوب يرفع شكوى النوع الآدمي منهم إلى حظيرة قدس الله تعالى، وهم في بحبوحة الإمهال، يـزعمـون الإمهـال إهمـالاً، وإنهـم لمفتـونـون، ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾[1].

* * *

---

(١) الشعراء، آية (٢٢٧).

الشعبة الحادية والثلاثون

تصديق القلب بما أقرَّ به اللسان من الإيمان بالله

وسرّ ذلك: أن يستغرق الإيمانُ بالله القلبَ خاشعاً لجلال الله، خاضعاً لعظمته، ذليلاً لسلطانه.

وقد عرَّفنا ذلك شيخُنا إمامُ الأولياء وحكيمُهم السيد أحمد الرفاعي الحسيني رضي الله عنه وعَنَّا به، فقال: التوحيدُ وجدانُ تعظيم في القلب يمنع عن التعطيل والتشبيه.

وقال شيخنا القطب الجليل السيِّد بهاء الدين محمد مهدي (آل خُزَام) الصيادي الرفاعي رضي الله عنه في «الحِكَم المهدوية» ما نصُّه:

التوحيد ظاهر البرهان، ربُّك لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير. اِنحجب عنكَ بلطفه، فلا تُكَيِّفْ وتُشَبِّهْ ما لم تكن تدرك

فتكذب، وهنالك تعبد ما شبَّهت، فاجعل هيبتَه فيك قائمة، وهمَّتَك من الوَهْم سالمة، وآياتِ ذكره بلسانك دائمةً، وأنت حينئذ من الآمنين. استودعك لطائفَ تعرفُ وجودَها فيك، ولا يدركها بصرك، لتعرف سرّ لطفه، فدع عنك ظلمة طبعك وضع خدّك ذلاً لربك على التراب واتبع سبيل من أناب. انتهى.

وقد جمع دَلَّ أقوال العارفين والحكماء والصدّيقين والبلغاء المحققين قولُ سيِّد العالمين حبيب الله صادق الوعد الأمين ﷺ بنصّ: «تَفكَّرُوا فِي خَلْقِ اللهِ، وَلاَ تَتَفَكَّرُوا في ذَاتِ اللهِ»[1]. فهذا

---

(١) قال في «الإتحاف» ١/ ٣٢٠: وقد روى الأصبهاني في «ترغيبه»، وأبو نعيم في «الحلية» عن طريق شهر بن حَوْشب؛ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ﷺ خرج على أصحابه فقال: «مَا جَمَعَكُمْ»؟ فقالوا: اجتمعنا نذكر ربنا ونتفكَّر في عظمته، فقال: «تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللهِ، ولا تَتَفَكَّرُوا فِي اللهِ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَقْدِرُوا قَدْرَهُ».

وقال أيضاً في الإتحاف: ١٠/ ١٨٠: حديث: «تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في ذات الله». رواه ابن النجار =

الحديث الشريف يأمر بالتفكُّر في آلائه ومصنوعاته وخلقه سبحانه، وينهى عن التفكُّر في ذاته لاستحالة إحاطة الحادث بالقديم، والميت بالحي، والمعدوم بالواجب الوجود.

وكلٌّ ما سوى الله مخلوقٌ؛ لَطُف أو كثف، كبر أو صغر. أما ترى سرّ الله في خلق الأرواح، فخلقتُها أغربُ وأعظم من غيرها من الأجسام والنفوس، لأنها بسيطة لطيفة جداً، وهي صادرة عن أمره سبحانه، فإذا تدبَّرْتها وفهمتَ لطفها علمت ما عليها من آثار الحدث، فتنفي عن الخالق المنزَّه عن سِمات الحادثات أن يكون من قبيل الأرواح والعقول، وتشهد على كل شيء سوى الخالق بالحدث.

وقد ضلَّ خلق كثير في الأرواح والنفوس فقالوا بقدمها، وآخرون قالوا بقدم الكلِّ؛ جسداً كان، أو غيره، حتى عطّل بعضهم ـ والعياذ بالله تعالى ـ وقال بنفي الصانع.

= والرافعي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «ولا تتفكروا في الله».

وكلٌّ ذلك من ظلمة الجهل وعدم صحَّة النظر، إذ الواجبُ الوجود موجودٌ، ولكن ليس كشيء من الموجود، ولا ذاتُه كالذَّوات.

دليل قدمه تعالى

وقدَمُه سبحانه لا يحتاج إلى دليل، ومع ذلك **فالدليل قوله** سبحانه ﴿هو الأول﴾[1]، **ومن العقل**: استحالةُ التسلسل، وإذا بطل التسلسل ثبت القدم للواحد القديم.

دليل بقائه تعالى

ودليلُ البقاء قولُه سبحانه ﴿كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾[2]، **ودليله من العقل**: ما ثبت قدمه استحال عدمه.

دليل مخالفته للحوادث

ودليل مخالفته ـ جلّت قدرته ـ للأشياء، وأنه ليس بجوهر، ولا جسم، ولا عرض.

فمن النقل قولُه تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾[3]، والأشياء لا تخلو عن هذه الثلاثة أشياء أعني الجسم

---

(١) الحديد، آية (٣).

(٢) الرحمن، آية (٢٦ـ٢٧).

(٣) الشورى، آية (١١).

والجوهر والعرض.

والدليلُ من العقل أن الجوهر هو الموضوع في الحيّز، المحصورُ فيه، فقد ظهرت فيه صورةُ الوضع في حيِّزه بسكونه، والسُّكون عَرَض حالٌّ معه بحدوثه في الحيّز بعد الحركة التي صار بها إلى الحيّز وحينئذ سكن في الحيّز، فقد ظهر أن **الجوهر** مفعولٌ لغيره بالبرهان.

وأما **الجسم!** فإنَّه لو كان جسماً لكان مؤلفاً من جواهر كثيرة ولم تكن تلك الجواهر مؤتلفة إلاَّ بعد افتراقها، فقد ظهرت في الجسم صورة التأليف والمؤلَّف مفعول لغيره.

وأما **العَرَض!** فلو كان عرضاً لكان حالاً في الأجسام والجواهر، لأن العرض لا يكون موجوداً بانفراده، إنما يوجد اللون والحركة وغير ذلك من الأعراض في الجواهر والأجسام، فإذا كان حالاً فيهما لا يوجد إلاَّ معهما، فقد ظهرت فيه الصنعة كما ظهرت في الجسم والجوهر.

دليل عدم الجهة

ودليلُ أنه ليس مختصَّاً بجهة قولُه سبحانه ﴿الله

خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل﴾[1] و﴿وهو معكم أينما كنتم﴾[2]، **ودليله من العقل**: أنه لو كان في جهة لغابت عنه الجهة الأخرى، لكونه محدوداً.

دليل استغنائه عن المكان

والدليلُ على أنه ليس مستقراً على مكان؛ ولا حالاًّ في شيء **قولُه تعالى** ﴿لا تدركه الأبصار﴾[3] ولا يحيطون به علماً.

ومن العقل: أنه لو كان على شيء، أو في شيء لأدركته الأبصار، والأوهام، والأمكنة، والحواسُّ، وأحاطت بما يليها منه، وهو منزَّه عن كل ذلك ﴿قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد﴾.

---

(١) الزمر، آية (٦٢).
(٢) الحديد، آية (٤).
(٣) الأنعام، آية (١٠٣).

الشعبة الثانية والثلاثون

الإيمان بالصفات والأسماء

وهي شعبة لا بدَّ من التصديق بها، فإن عَدَم التصديق بها يؤدِّي إلى تكذيب الكتاب العزيز، وأخبارِ الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم، فإنَّ الله تعالى أثبت لنفسه في كتابه الكريم صفةَ الكلام، والعلم، والرَّحمة، والسمع، والبصر. والقرآنُ والحديث وأهل السنة وعلماء الصحابة وأئمة المذاهب والمتكلِّمون كلُّهم أثبتوا لنا ذلك، ونقلوا إلينا أخبار الصفات ونطقوا بها، فتكذيبُهم يستلزم هدم الشريعة ـ والعياذ بالله ـ.

سرٌّ صفات العبد

وهنا سرٌّ؛ وهو أن الله سبحانه أحسن للمخلوق بالسمع المقيَّد، والحياة المقيدة، والبصر المقيد، والكلام المقيد. . .، وأمثال ذلك من الصفات

المقيَّدة يَستدلُّ بها على سمع بارئه المطلَق، وبصره المطلق، وكلامه المطلق، وحياته المطلقة، وسائر صفاته المقدَّسة المطلقة، فأسماؤه سبحانه وصفاته كلُّها قديمةٌ بقدمه تعالى، لا يجوز أن يقال شيءٌ منها محدَث، ومِن هذا لا يلزم القول بتعدُّد القدم، بل صفاته وأسماؤه سبحانه قائمة به قديمة بقدمه.

أقسام أسمائه تعالى

وليتدبر؛ فإن أسماءه سبحانه تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ـ **قسمٌ يدلُّ على الذات**؛ كشيء، وموجود، ومذكور، وما كان مثل هذا فهو **يدلُّ على المسمَّى** نفسِه.

٢ـ **وقسم يدلُّ على ذاتٍ وصفاتِ ذاتٍ**؛ كالحي، والعالم، والقادر، والسميع، والبصير، فهذا **يدلُّ على ذات وصفةِ ذات**، وهي الحياة، والعلم، والقدرة. . . وغير ذلك.

٣ـ **وقسم يدلُّ على ذاتِ وصفةِ فعلٍ**؛ كالمميت، والخالق، والرازق، فالمميت هو اللهُ سبحانه؛ والصفةُ هي الموت والإماتة؛ وهي فعل الله

عزَّ وجلَّ، فهي صفةُ فعلٍ لا يرجع إلى الذات منها شيءٌ، ولو جاز ذلك لدلَّ على أن الخلق والموت وكلَّ صفةِ فعلٍ قائمٌ كلُّها بذات الباري سبحانه، والله تبارك وتعالى منزّه عن كل ذلك، فعلى هذا وجب علينا الإيمان بصفاته وأسمائه التي أثبتها لنفسه وشهد بها العقل والدليل، وحسبنا الله ونعم الوكيل.



الشعبة الثالثة والثلاثون

الإيمان بالأقدار

والقضايا الجارية على الخلق، فإن القَدَر فعل الله يتصرَّف به في خلقه، له الحكم وإليه ترجعون.

وفي حديث جبريل ـ الذي مرّ ـ: «وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»(١).

قال ابن عمر رضي الله عنهما: والذي يحلِفُ به ابن عمر؛ لو أن لأحدهم مثلَ أُحُد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ما قبل الله منه حتى يؤمِن بالقدر(٢).

وفي حديث: «لِكُلِّ أُمَّةٍ مَجُوسٌ، وَمَجُوسُ هٰذِهِ

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث ص٣٤.

(٢) كلام سيدنا عبدالله بن عمر رضي الله عنهما مروي في صحيح مسلم: ٨، وعند أبي داود: ٤٦٩٥، والترمذي: ٢٦١٠.

الأُمَّةِ الَّذِيْنَ يَقُولُونَ: لَا قَدَرَ»[1]. وذلك لأنهم يجحدون قدرة الخالق وقوَّة سلطانه في الخلق، وما ذلك إلَّا مِن غفلتهم في الوقت، وإلَّا! لو تفكَّروا إبرازهم من عالم الغيب إلى عالم الشهود بغير علم منهم؛ ولا رأي، ولا عزم، ولا عزيمة، وإصعادهم من مرتبة الطفولية إلى مرتبة الشيخوخة، ثم إرجاعهم من منزلة الوجود إلى منزلة العدم، وإقامةُ أسرار القَدَر حالَ حياتهم فيهم في كل حال من

---

(١) أخرجه أبو داود: ٤٦٩٢؛ من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، وتتمته: «مَنْ مَاتَ منهم فلا تشهدوا جنازته، ومن مرض منهم فلا تعودوهم، وهم شيعةُ الدجَّال، وحقٌّ على الله أن يلحقهم بالدجال». وأخرجه أحمد: ٢/ ٥٥٨٨؛ عن عبدالله بن عمر، وابن عدي في «الكامل»: ٦/ ٢٣١٧؛ عن أبي هريرة ونحوه عند ابن ماجه: ٩٢؛ عن جابر. وأورد الهيثمي في «مجمع الزوائد»: ٧/ ٢٠٧ من حديث سهل بن سعد يرفعه بلفظ: «لِكُلِّ أمة مجوس ولكل أمة نصارى ولكل أمة يهود، وإن مجوس أمتي القدرية، ونصاراهم الحشوية، ويهودهم المرجئة»، وقال فيه: رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه يحيى بن سابق وهو ضعيف. اهـ.

أحوالهم، حتى في خواطرهم وقيامهم وقعودهم ونومهم ويقظتهم وأدركوا سرَّ ذلك وسَرَيانه فيهم لآمنوا كلَّ الإيمان بالقدر، إجلالاً لعظمة سلطان المقدِّر الذي هو على كل شيء قدير، فإنَّ الاستطاعة والقوَّة المنسوبةَ إلى النفوس والأرواح على اكتساب الحركات والسَّكَنات إنما إضافَتُها إلى الخلق مجازٌ، والذي أعطاها في الحقيقة هو الله يعطي القوة والاستطاعة، ويخلقها ويخلق المقدور بالذي تقع عليه القدرة، والقوة في الملكوت والجبروت؛ سواء كان المقدور فعلاً للنفوس، أو نظراً للعقول. . . أو غير ذلك.

وفي كلام الإمام الرفاعي رضي الله عنه: قال قوم: صادَفَت الأسباب فظهرت الحوادث، فقل لهم: هذا هو القَدَر لو كنتم تعقلون.

وأفعال العباد اختيارية واضطرارية، فالاختيارية تحت نفوذ الإرادة الجزئية التي وهبها للخلق خالقهم، فهم عنها مسؤولون ومثابون أو معاقبون وعن الاضطراريات غير مسؤولين، والحكم لله رب العالمين.

الشعبة الرابعة والثلاثون

الإيمان بالأنبياء والرسل

بالقلب؛ جزماً، واعتقاداً صحيحاً، وإيماناً خالصاً، فإن الله تعالى لا يقبل الإيمان به إلَّا مقروناً بالإيمان بالرسل. والمخالِف في هذا يكفر ـ والعياذ بالله ـ ولولا الرسول لبقيت العقول في عمىً، وكلُّ عقل لم يتَّبع الرسل فهو في عمى الشكوك والأوهام حائرٌ، يقوم ويقعد في مهامِهِ[1] خطئه وشكّه حتى يموت.

الحاجة إليهم

وحيث لم يكن عن المرسلين ـ عليهم الصلاة والسلام ـ غنىً وجب تمييزهم عن غيرهم ومعرفتُهم حقَّ المعرفة، وهم ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ

(١) مهامه: جمع مهمهة: المفازة البعيدة، والبلد المقفر. كذا في «القاموس المحيط».

من البشر، عُرِفُوا بالمعجزات التي أَعجزوا بها الخلق.

تأييدهم بالمعجزة

ولما أتوا بما ليس في طاقة البشر الإتيان بمثله ـ وهم من البشر ـ علم أن ذلك المعجز من عند الله، وهم رسل الله إلى خلق الله، فوجب الإيمان بهم.

معرفة المعجزة

ومعرفة المعجزة: تعتبر بأمرين:

الأول صلاح الرسول في نفسه وفضله على غيره وعصمته من الكذب والمعاصي.

والثاني: التحدّي بالمعجزة وادِّعاؤه أن الخلق على كثرتهم ومعارفهم وعلومهم التي اشتملوا عليها لن يأتوا بمثل ما هو يأتي به، وقد يوقف الخلق العجز الضروري عن الإتيان بمثل معجزة الرسول، فلذلك وجب اتباعه وحرمت معصيته.

المعجزة والسحر

والفرق بين المعجزة والسحر أمران:

الأول: أن السِّحر لا يظهر إلاَّ على يد رجل فاسد.

والثاني: أنه يُتوصَّل إليه بالتعلُّم ويبطل عند ظهور الحقّ عليه، ولا يبقى لأنه يتخيَّل والخيال

يبطل إذ تظهر عليه الحقيقة.

الكرامة والسحر

والفرق بين الكرامة والسحر وبينها وبين المعجزة:

الأول: أن الكرامة لا تكون إلاَّ على يد ولي، ولا تظهر على يد عدو.

والثاني: أن الوليَّ مقرٌّ بأن كرامته بركة من بعض النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الذي اتبعه؛ واستنّ بسنته، وآمن به، ولو ادّعى الاستقلال بالكرامة يكذب وتبطل كرامته، ولو ادَّعى النبوة يردُّ فاسقاً مغضوباً عليه ـ والعياذ بالله ـ.

مزايا الأنبياء فيه ﷺ

وقد جمع الله مزايا الأنبياء وفضائلهم بخاتمهم المصطفى الأعظم نبينا وسيدنا محمد ﷺ، فيجب الإيمان بخاتميته للأنبياء، وأنه أفضلهم، وكلُّهم إخوانه محبَّتُهم وإجلالهم جميعاً إيمانٌ، وبغضُهم وانتقاصهم كفرٌ.

ولما كان الحبيب الأعظم نبيُّنا الأكرمُ ـ ﷺ ـ أوفرَهم حكمة، وأرجحهم عقلاً، وأنفعهم منهاجاً، وأكملهم حجة، وأوضحهم محجَّة، وشرعُه الشرعَ الجامع لجميع شرائعهم وطريقه الطريق المشتمل

على كل مقاصدهم الطاهرة ومنافعهم. وقد أتى بخيري المعاش والمعاد، ولم يغادر من منفعة المخلوقين؛ لا صغيرة ولا كبيرة إلاَّ واشتمل عليها شرعه الطاهر في الباطن والظاهر؛ فلذلك كان دينُه المبارك ناسخاً للأديان، وشرعُه الشريف هو المتَّبَع بأمر الملك الديان، لا يجحد هذا إلاَّ من غلبته نخوة نفسه فأخذ بزمام التعصُّب على العمياء، أو مَن أسدل حجاب الجهل على بصيرة قلبه وعلى عين عقله؛ فأعماه عن الضياء.

ومن جُمَل هذه الرسالة الوجيزة يدرك اللبيب أسرارَ الأحكام التي جاء بها رسول الله ﷺ، فهي عماد الدين الذي أفاضه في العالمين، ولا يستريب ذو عقل بأن المتمسِّك بها يكون في أمري الدين والدنيا رجلاً كاملاً يعوَّل عليه ويرجع إليه، وكلما ارتقى بفهم أسرار هذا الدين المحمَّدي اتَّسع مجال عقله، وعلا منار فضله، وأصبح نفعاً عامَّاً للمخلوقين، وبركة خاصَّة للموقنين، ولا عدوانَ إلاَّ على الظالمين.

وقد أيَّد الله مفاخر الأنبياء والمرسلين بخاتمهم النبيِّ الأمين عليهم جميعاً صلوات رب العالمين، فقد أعظمَ منارهم وأعلى فَخَارهم ونبَّه القلوب والعقول على ما امتنَّ الله به عليهم، فهو لهم في المنهاج إمامٌ، وفي النظم ختامٌ؛ عليه وعليهم وعلى آلهم وصحبهم الصلاة والسلام.



الشعبة الخامسة والثلاثون

الإيمان بالكتب الإلهية

الكتب المنزلة

المنزلة من عند الله على أنبياء الله عليهم صلوات الله وتسليماته.

فالكتب المنزلة هي النبوَّة والوحي، والأشخاصُ المنزَّل عليهم هم الأنبياء.

وجملة الكتب المنزلة مئة كتاب وأربعة، يجب الإيمان بها.

تفصيل الكتب

فعلى شيث عليه السلام خمسون صحيفة، وعلى أخنوخ عليه السلام ثلاثون صحيفة، وعلى إبراهيم عليه السلام عشر صحائف، وعلى موسى عليه السلام قبل التوراة عشر صحائف، وأنزل التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان.

حكم الإيمان بالكتب

فالإيمانُ بجميع ما أنزل الله على جميع الأنبياء واجبٌ، لأنه وحي من عند الله، ويجزيء من ذلك كلِّه الإيمان بالقرآن العظيم، إذ بالإيمان به الإيمان بكل الكتب المنزلة.

سرٌّ عظيم

وبهذا الإيمان سر عظيم؛ وهو اتباع أوامر الله والعملُ بما جاء به أنبياء الله وخاتمهم رسول الله عليه وعليهم صلوات الله أجمعين، والمتَّبع لكتاب الله لا بدَّ؛ وأن يكون مجتنباً للآراء الفاسدة والأقوال الكاذبة. ويعلم أن المفسِّرَ لكتاب الله رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلا يفسر كتاب الله برأيه فيضلَّ، وعن الصواب يزل.

الإيمان بالقرآن

ومتى آمن بالكتاب آمن بأنه كلام الله، وأنه قائم بذاته وصفةٌ من صفاته؛ يتكلَّم به أزلاً وأبداً، وأنه تبيانٌ لكل شيء احتوى على علوم الأولين والآخرين، وما يعلم تأويله إلاَّ الله والراسخون في العلم؛ وهم الأنبياء الذين آمنوا بالله واجتذبوا الخلق إلى الإيمان بالله، فهم أخذوا تأويل كلام الله عن الله.

زعم فاسد

ومَن زعم أنه يصل إلى معرفة الحقائق القدسية

والدقائق الغيبية بعقله، ويستغني عن الكتاب المبين والنبيِّ الأمين!! فهو سقيم العقل فاسدُ الرأي خَبْل؛ لا يعتمد له على قول، وما هو إلَّا كالأنعام بل أضل، ومن أولئك قوم حرَّفوا الكتب التي نزلت على الأنبياء، ومِن ثَمَّ فقد نرى الاختلاف في كتبهم وشرائعهم، ولهذا فإنَّا نقبل ما وافق الحقَّ من كلامهم، ونردّ ما لم يوافق الحقّ، والله الهادي إلى سواء السبيل.

* * *

الشعبة السادسة والثلاثون

الإيمان بالملائكة

حكم الإيمان بهم

فالإيمان بالملائكة واجب كالإيمان بالرسل، والجاحد لهم يكفر ـ والعياذ بالله ـ لأنه يصير مكذِّباً لكتب الله ورسله. وعددهم لا يحصيه إلَّا الله، والمُلْكُ كلُّه؛ علويّه وسفليّه معمورٌ بهم لا يخلو منهم مكان.

أعمالهم

فمنهم موكَّلون بالأرض والجبال، ومنهم موكَّلون بالبحر والهواء وما بين الأرض والسماء، ومنهم سكان السماوات السبع، ومنهم موكَّلون بالمطر، ومنهم موكلون بنفخ الأرواح في الأجساد، ومنهم موكَّلون بخلقة النبات وتصريف الرياح، ومنهم حفظةٌ على أعمال العباد، ومنهم موكلون بحفظ المخلوقين وحراستهم. . إلى غير ذلك.

لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، وأوصافهم الحميدة شريفةٌ جامعة لكل فضيلة؛ أوصافهم

وهي ستة أوصاف: **الأول**: العلم، **والثاني**: العفة الكاملة عن الشهوات، **والثالث**: الاجتناب عن المعاصي، **والرابع**: الطاعة الكاملة لله تعالى، **والخامس**: الذكر الدائم، **والسادس**: الأخلاق الحميدة الحسنة.

لا تحاسد بينهم، ولا شحناء، ولا استطالة من بعضهم على بعض، ولا شيء يستقبح، رحماء، نافعون للخلق، محسنون لهم بضروب المنافع والإحسان. أخلاقهم

وقد وهب الله لهم الأعمار الطويلة، والذوات القوية على الخدمة، نورانِيُّون، لا يوصفون بالذكورة؛ ولا بالأنوثة، كلُّهم عليهم السلام أتقياء أنقياء، إن هذا لَهُو الفضل المبين. فالمؤمن بهم يتشبَّه بأوصافهم ليكون آدميَّ الخلقة؛ مَلَكي الخلق، والتوفيق من الله. صفاتهم

الشعبة السابعة والثلاثون

الإيمان بوجود الجنّ والشياطين

وجوب الإيمان بوجودهم

فقد نصّت على وجودهم الكتب الإلٰهية، وأخبر عن ذلك النبيون والمرسلون، فيجب الإيمان بأنهم أشخاص وأمم لا يعلم عددهم إلاَّ الله، خلافاً لمن يقول لسقم رأيه: إن القول بذلك من أخلاط السوداء.

منكر الجن

ومن زعم ذلك فقد كذَّب القرآن وجَحَد العيان، فكم رآهم من الصحابة والتابعين وأكابر الصديقين راءٍ، بل ورآهم من عامة الناس في الحضر والبادية قومٌ لا يحصى عددهم.

صفات الجن

وصفة غير المسلمين من الجن كصفةِ الشياطين، وتلك المكرُ، والغدر، والخديعة، والكذب، وتزيين القبيح؛ وتحسين السيىء، والحسد،

والحقد، والغيظ، والكبر، والبخل، والإصرار على الباطل، وإضرار الناس؛ والأذيَّةُ لهم.

فيجب على من آمن بوجودهم أن يطهِّر نفسه من التخلُّق بأخلاقهم لعلمه أن الله تعالى غضب عليهم لِمَا قام فيهم من الأخلاق الذميمة.

والمتخلق بأخلاقهم من الناس يكون آدميَّ الخِلقة شيطانيَّ الأخلاق ـ والعياذ بالله ـ فينحطّ إلى عالم الشياطين، وتصير لَذَّاته الباطنة في أُفُقهم، فلا يسمع باطنُه إلاَّ كلامهم وزخرف القول من وحيهم، وتشكيكهم، وأمرهم له بالمنكر والفحشاء؛ وطول الأمل، والوسوسة، والخواطر الرديئة، وسوء النية، وفي هذا المقدار كفايةٌ، والله المعين.

الشعبة الثامنة والثلاثون

الكفُّ عمَّن قال لا إله إلا الله، وعدمُ التكفير بالذنوب

قال تعالى ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[1].

طبقات الكفر

والكفر على طبقات:

أقبحُه وأشدُّه الكفرُ بالله، وبما جاء من عند الله.

ودونَه كفرانُ النعمة، وقد جاء في الخبر الشريف: «كُفْرَانُ النِّعْمَةِ كُفْرٌ»[2]، وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام في النساء يكفرن، قيل: يكفرن بالله؟! قال: «يَكْفُرْنَ ٱلإِحْسَانَ، وَيَكْفُرْنَ ٱلعَشِيْرَ»[3]. فهذا كفرٌ دون كفر.

---

(١) النساء، آية (٤٨).

(٢) لم أجد هذا الخبر.

(٣) أخرجه البخاري: ١٠٥٢، من حديث طويل؛ عن ابن =

والذي يطلَق عليه التكفيرُ الغليظ إنما هو الذي كفر بآيات الله، وكذَّب رُسُل اللهِ، وجحد كتب الله، وحرّم ما أحلّ الله، وأحلّ ما حرّم الله.

ولو أنَّ كلَّ مَن وقع منه ذنب يكفر التكفير الغليظ لما دخل الجنة أحد.

والعجب من الفرقة التي تكفِّر بالذنب؛ وهي أكثر الخلق ذنوباً، فهم يُكفِّرون الأئمة ويَرَون الخروج عليهم، ويقتلون عباد الله بغير حق، ويبيحون ما حرم الله، ولا يرون كلَّ ذلك من الذنوب؛ والحال أن ذلك من الكفر ـ والعياذ بالله ـ.

يشهد لذلك قولُه تعالى ﴿فيحلوا ما حرّم الله زين

= عباس رضي الله عنهما، وفيه: «وأُريت النار فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع، ورأيت أكثر أهلها النساء، قالوا: بِمَ يا رسول الله؟ قال: بكفرهن، قيل: يكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنتَ إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئاً قالت: ما رأيت منك خيراً قط». وأخرجه النسائي: ١٤٩٣، ومسلم بنحوه: ٩٠٧، ومالك: ١/ ١٨٧، والبيهقي: ٣/ ٣٢١، وأحمد: ١/ ٢٧١١.

لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين﴾[1].

وأما الكفّ عمن قال لا إله إلا الله!! فقد عدّه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أصل الإيمان[2]، والمؤمن ملزَم بامتثال أوامر نبيه عليه الصلاة والسلام.

* * *

(١) التوبة، آية (٣٧).

(٢) لعل المصنف أشار بهذا إلى ما رواه البخاري: ٢٥، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله».

ورواه مسلم: ٢١، والترمذي: ٢٦٠٦، والنسائي: ٣٠٩٠، وابن ماجه: ٣٩٢٧، والدارمي: ٢٤٤٦، وأحمد: ١/ ٦٧.

الشعبة التاسعة والثلاثون، والأربعون

النية والإخلاص

أما النية فكلُّ أعمال الإيمان والبرِّ والخير وما يؤول إلى الله تعالى فمَنُوطٌ بها، ففي الحديث الشريف: «إِنَّمَا ٱلأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ ٱمْرِىءٍ مَا نَوَى»[1].

الفرق بين النية والإخلاص

وقد جعل قوم النية والإخلاص شيئاً واحداً، وفرّق آخرون بينهما وهو الصحيح، فإن العمل يحتاج إلى النية، والنية تحتاج إلى الإخلاص؛

---

(١) أخرجه البخاري: ١؛ من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومسلم: ١٩٠٧، وأبو داود: ٢٢٠١، والترمذي: ١٦٤٧، والنسائي: ٧٥، وابن ماجه: ٤٢٢٧، ومالك في «موطأ محمد»: ٩٧٣، وأحمد: ١/ ١٦٨، والبيهقي: ٢/ ١٤، وابن خزيمة: ١/ ١٤٢، وغيرهم.

لتكون صحيحة صادقة.

والإخلاص روحُ النيَّة، والنيَّةُ روحُ العمل، ومن هذا وقع الاسم على النيات كلِّها بلفظ واحد في حقِّ المؤمن والكافر، والمرائي والمخلص؛ واختلف لفظ الإخلاص والرياء والشرك والسمعة، وهذه أسماء تصحِّح النية وتفسدُها، وسمِّي من صحَّح النية بالإخلاص مخلصاً، ومَن أفسدها بالرياء مرائياً، ومن ربطها بالطمع طامعاً، ومن دَنَّسها بالشرك مشركاً.

والنية من أعمال السرِّ تدركُها الملائكة عليهم السلام، والإخلاص من مُستودَعات سرِّ السرّ لا يدركه أحدٌ إلاَّ الله عزَّ وجلَّ.

وفي الفرق بين النية والإخلاص قال شيخنا القطب الكبير العلامة النحرير السيد محمد مهدي بهاء الدين (آل خزام) الصيَّادي الرفاعي الشهير بـ «الرواس» رضي الله عنه:

النية تُصْرَف للخير، وللشرِّ، وللمباح، وللواجب، وللحلال، ولفضائل الأعمال، ويجازى

صاحبُ النيَّة بنيَّته، والإخلاص لا يُصرف إلاَّ لله تعالى.

قال الحسن البصري رضي الله عنه: سألت حذيفة عن الإخلاص: ما هو؟، قال: سألت النبي ﷺ عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت جبريل عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت ربَّ العزَّة عن الإخلاص: ما هو؟ قال: هُو سِرٌّ مِنْ سِرِّي ٱسْتَوْدَعْتُهُ قَلْبَ مَنْ أَحْبَبْتُهُ مِن عِبَادِي[1].

فالنية الصحيحة بالإخلاص قد اقترنت معه؛ فلذلك عبَّر مَن عبَّر عن الإخلاص بالنية، وهذا في

---

(١) قال في «الإتحاف» ١٠/٤٣: قال العراقي: رُوِيْنَاه في جزء من مسلسلات القزويني مسلسلاً، يقول كل واحد من رواته (سألت فلاناً عن الإخلاص)، ورواه أبو القاسم القشيري في «الرسالة»؛ من حديث علي بن أبي طالب بسند ضعيف. اهـ.

قلت: [أي الزبيدي]: ورُوِيْناه في جزء من المسلسلات للحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي، وهو أيضاً في مسلسلات الحافظ أبي مسعود سليمان بن إبراهيم الأصبهاني. اهـ مختصراً.

لسان العرب جائز، يسمَّى الشيء باسم الشيء إذا جاوره أو شاكله، ويلي هذا عند العرب جوازُ الإضافة لأدنى ملابسة.

سرٌّ لطيف

وفي هاتين الشعبتين **سرٌّ لطيف**؛ وهو أن الواجب على العبد حسنُ النية وصفاؤها بحقِّ كلِّ أحد من المخلوقين، والإخلاص بكل نية يجري بها عمل يؤول إلى رب العالمين.

* * *

الشعبة الحادية والأربعون

التوبة

وهي: الرجوع من جميع أضداد شعب الإيمان إلى شعب الإيمان، وقدرُها عظيم، فإن الله سبحانه وتعالى جعل بابها مفتوحاً لا يغلق إلى طلوع الشمس من مغربها، وإلى طلوع شمس النَّفْس وقت الغرغرة، ووعد معها المغفرة لكلِّ نوع من أنواع المخالفات لكيلا يقنط العباد من رحمته سبحانه، ولينهض المذنب قبل فوات وقت الوعد بالتوبة إلى الله تعالى مشمِّراً عن ساق الجدِّ فيما يؤول إلى الله بالعبودية، وفيما يؤول إلى النبي ﷺ **بالاتباع الصحيح**، وفيما يؤول إلى الخلق **بالبرّ وكفّ الشر**.

الذنوب التي يتاب منها

والذنوب التي يُتَاب منها لا بد وأن تكون من أربعة أشياء: شرك، أو بدعة، أو معصية، أو غفلة،

وأقبحُها الشركُ ـ والعياذ بالله ـ ودونه البدعة، ثم المعصية، ثم الغفلة عن الله تعالى.

التوبة من الذنب

ومجملها ينقسم إلى نوعين:

الأول: في حقِّ الخالق؛ وهو على قسمين: كفر، ومعصية.

والثاني: في حقِّ المخلوق؛ وهي المظالم.

فما كان في حقِّ الخالق يُغفَر بمجرَّد التوبة الخالصة، والإتيان بالفرائض؛ كالصلاة، والزكاة، والصوم، وبالإقلاع عن المعاصي بالكلية.

وأما المظالم التي تتعلَّق بالمخلوقين! فلا بدَّ من ردِّها إلى أربابها، وهي: إما مالية، أو عِرْضية، أو بَدَنيَّة.

فالمال يردُّ إلى صاحبه، إن كان حياً، وإلى ورثته، إن كان ميتاً.

وأما العرض فيستحلُّ منه.

وأما القتل والضرب وقطع الأطراف.. وغير ذلك فيعطي القصاص من نفسه له؛ إن كان حياً،

وإن لم يقدر على شيء من ذلك! فليستغفر للمظلوم مكثراً من الاستغفار له، فلعله يكون إن شاء الله سبباً للغفران.

الدعاء لمظلومه

وقد رأيت بعض مشايخنا ومنهم سيِّدي الوالد ـ قدَّس الله روحه ـ يأمر محبِّيه ومريديه بالإكثار من قول: أستغفر الله العظيم لي ولوالديّ ولأصحاب الحقوق الواجبات عليّ وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات.

سرّ التوبة

ومن **تدبّر** سرّ التوبة وما جاء بشأنه في هذه الشريعة المحمدية يعلم عناية هذا الدين المبارك بنفع المخلوقين وإرادة الخير لهم ويعرف عظم أحكامه الكريمة، ولا محيص له عن الإقرار بعلوّ شأنها وسموّ رتبتها، والله وليّ المتقين.

الشعبة الثانية والأربعون

الصَّبر

معناه

فالصبر معناه: التثبت، والوقوف في مواطن الاختبار والامتحان.

فضله

قال عليه الصلاة والسلام: «اَلصَّبْرُ نِصْفُ الإِيْمَانِ»[1]، وقال ـ أرواحنا له الفداء ـ: «الصَّبْرُ

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية»: ٥/ ٣٤؛ عن ابن مسعود رضي الله عنه، والديلمي في «مسند الفردوس» ٣٨٤١، والقضاعي في «مسند الشهاب»: ١/ ١٢٧، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد»: ١/ ٥٧؛ موقوفاً على ابن مسعود، وقال فيه: رواه الطبراني في «الكبير»، ورجاله رجال الصحيح. اهـ.

وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: ١/ ٦٦ إلى البيهقي؛ عن ابن مسعود مرفوعاً، ثم قال: وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، والطبراني، =

كَنْزٌ مِن كُنُوزِ ٱلجَنَّةِ»[1]، وقد سئل ﷺ عن الإيمان؟، فقال: «اَلصَّبْرُ وَالسَّمَاحَةُ»[2].

= والبيهقي؛ عن ابن مسعود **موقوفاً** مثله، وقال البيهقي: إنه المحفوظ. اهـ.

ولفظ الحديث بتمامه: «الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله».

(١) قال في «الإتحاف»: ٩/ ٥: قال العراقي: غريب، لم أجده. اهـ.

قلت: ـ الزبيدي ـ ربما يشهد له ما رواه سعيد بن منصور، والخطيب؛ من حديث علي رضي الله عنه: «أربعة من كنز الجنة، إخفاء الصدقة وكتمان المصيبة وصلة الرحم وقول لا حول ولا قوة إلا بالله»، وهذا لأن كتمان المصيبة من جملة الصبر، ويحتمل أن يكون من كنوز الخير بدل من كنوز الجنة، وقد روي ذلك من قول الحسن البصري رضي الله عنه: الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده. اهـ.

(٢) أخرجه أبو يعلى في «مسنده»: ٣/ ١٨٥٤؛ عن جابر رضي الله عنه، وهو بنحوه في «مسند الإمام أحمد»: ٨/ ٢٢٧٨٠؛ عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد»: ١/ ٥٩، وعزاه إلى أبي يعلى. =

لزوم الصبر

وعلى العبد أن يصبر ويشهد الصبرَ من إحسان الله عليه، وهو الذي يفيضه له، **يدلُّ** على ذلك قول الله تعالى: ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله﴾[1].

وقد أنبأنا القوم أهلُ الله العلماء بالله: أن الصبر مستلزم حكم المعية الخاصة الإلهية بشاهد ﴿إن الله مع الصابرين﴾[2].

العناية حال المحنة

وفي كلام سيدنا الإمام السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه وعنا به: المؤمن لا يزال؛ وهو في محنته نُصبَ عينه قول الله تعالى ﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا﴾[3]، فإذا تلا هذه الآية الكريمة صابراً راضياً محتسباً كان في عين الله؛ أي: في حفظه ووقايته وحرزه وأمانه وضمانته.

= وعزاه ابن حجر في «المطالب العالية»: ٣/ ٣١٢٢، إلى أبي بكر بن أبي شيبة، وقال: إسناده حسن. اهـ. وهو كما قال في «مصنف ابن أبي شيبة»: ٧/ ٢٢٢.

(١) النحل، آية (١٢٧).

(٢) البقرة، آية (١٥٣).

(٣) الطور، آية (٤٨).

النعم والصبر

قلت: وعلى العاقل أن يصبِّر نفسه في أوقات الرخاء، وكثرة السَّعَة، وازدياد النعم الدنيوية، فلا يستعين على المعاصي بالنعم، **يدلُّ على هذا** قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه ولا تَعْدُ عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا﴾[1].

منافع الصبر

ولا بِدْع ففوائد الصبر كثيرة تشتمل على منافع وفيرة مما يؤول إلى الدين والدنيا، **يؤيِّد هذا** قول الله سبحانه ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾[2]. وفي الخبر الشريف: «الصَّبْرُ نِصْفُ الإِيْمَان، وَٱلْيَقِيْنُ ٱلإِيْمَانُ كُلُّهُ»[3]، وفي حديث آخر: «ٱلصَّبْرُ مِنَ الإِيْمَانِ بِمَنْزِلَةِ ٱلرَّأْسِ مِنَ ٱلْجَسَدِ»[4]، وقال عليه وآله الصلاة والسلام:

---

(١) الكهف، آية (٢٨).

(٢) الزمر، آية (١٠).

(٣) تقدم تخريجه ص١٧٢.

(٤) أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس»: ٣٨٤٠؛ عن =

«اِنْتِظَارُ ٱلفَرَجِ بِالصَّبْرِ عِبَادَةٌ»[1].

ومن كلام سيدنا الغوث الأكبر الرفاعي رضي الله عنه: من ادَّرع بدرع الصبر سَلِم من سهام العجلة.

ومن الدَّقائق المطويَّة في الآيات الفرقانية وفي كلام خير البرية عليه أفضل الصلاة والسلام والتحية

= أنس بن مالك رضي الله عنه، وذكره في «فيض القدير»: ٥١٣٦، وزاد في عزوه للبيهقي في «الشُّعب»؛ عن علي **موقوفاً**، ورمز له بالضعف، قال المناوي: قال الحافظ العراقي: فيه يزيد الرقاشي وهو ضعيف. اهـ.

(١) أخرجه القضاعي في «مسنده»: ١/ ٦٢ـ٦٣؛ عن ابن عمر، وابن عباس رضي الله عنهم. وعزاه السيوطي في «الدرر المنتثرة» ـ ٤٥ ـ إلى الخليلي في «الإرشاد»؛ عن أنس دون قوله «بالصبر». وقال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء»: ٤/ ٧٢: أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب»؛ من حديث: ابن عمر، وابن عباس، وابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدَّة»؛ من حديث علي دون قوله «بالصبر»، وكذلك رواه أبو سعيد الماليني في «مسند الصوفية»؛ من حديث ابن عمر وكلُّها ضعيفة، وللترمذي من حديث ابن مسعود: «أفضل العبادة انتظار الفرج». اهـ. رقم هذا الحديث عند الترمذي: ٣٥٧١.

في هذا المقام ما يُثلج صدر العارف، وقد **قلت** من هذا الأسلوب المرغوب:

تَدَرَّعْ بِدِرْعِ الصَّبْرِ يَا قَلْبُ وَاتَّئِدْ
فَكَمْ مِحْنَةٍ دَهْمَاءَ تُكْشَفُ بِالصَّبْرِ
وَخَلِّكَ صَبَّاراً فَتِلْكَ مَزِيَّةٌ
بِهَا نِعْمَةٌ عُظْمَى تُقَابَلُ بِالشُّكْرِ
وَلاَ تَكُ طَيَّاشاً عَجُولاً فَكَمْ وَكَمْ
دَهَى ٱلْمَرْءَ سَهْمُ الطَّيْشِ مِنْ حَيْثُ لاَ يَدْرِي

وقد قال الله تعالى؛ وهو أصدق القائلين: ﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾[1]. و«صبَّار» على وزن «فعَّال»، وتدبَّر، فقد أضاف تعالى الفعل الكثير إلى العبد لتفعله الصبر وتطلّبه إياه، وفي هذا بلاغ.

رسالة في الصبر للمؤلف

وقد كنتُ كتبت رسالة خاطبت بها بعض المحبين جعلتها له صحيفةَ سلوانٍ لأمر صَدَمه من وقائع الأكوان، والفعل للملك الديَّان، وسميتها «لمعة

---

(١) إبراهيم، آية (٥).

النصر في لزوم الصبر» استوفت الكثيرَ من مباحث الصبر ومنافعه، **فلتراجع**، وما الصبر إلاَّ بالله، وعلى كل حال الحمد لله.



الشعبة الثالثة والأربعون

الشكر لله سبحانه وتعالى

وهو لُبَاب التوحيد، فإن الثناء عليه سبحانه والإقرار بنعمته ورؤية النعمة منه؛ لا من غيره هو التوحيد بعينه.

لطائف الشكر

ومن لطائف أحكام الشكر: أن تشكرَهُ ـ جلَّت قدرته ـ على النعمة، وعلى دفع النقمة وعلى تركيبك؛ وصبغة هيكلك، وما أحسن لك في صورتك من المنافع، ودفع بتركيبها عنك من المضارّ، وأفاض فيك نورَي الروح والعقل، وألهمَك التقوى وجعلك مُذعِناً لأوامره؛ متبعاً لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم، محبّاً للحق؛ كارهاً للباطل، تريد نفع الناس، وتكره إضرارهم، وأمدَّك مع كل لحظة وطرفة عين بأنواع كثيرة من النعم

الباطنة والظاهرة، الأرضية والسماوية، وفي كلِّها سخَّرك لشكره، ولمعرفة قدر نعمته عليك.

ومن لطائف الشكر: أن تُحسِن إلى مَن أساء إليك وتعفوَ عمَّن ظلمك، وأن تجير مَن استجارك، وأن تولي الذرَّات على اختلاف أجناسها بِرَّك وإحسانك بما يصلُه إمكانك وتَبْلُغُه قدرتك، وأن تشكر لأجل الله تعالى مَن يُسدي إليك برّاً أو يداً، ففي الخبر الشريف: «لَمْ يَشْكُرِ ٱللَّهَ مَنْ لَمْ يَشْكُرِ ٱلنَّاسَ»[١].

---

(١) أخرجه الترمذي: ١٩٥٥؛ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ولفظه: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»، وقال حديث حسن صحيح، وأخرجه أحمد: ٤/ ١١٢٨٠، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد»: ٥/ ٢١٧، في حديث طويل؛ عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، وقال فيه: رواه عبدالله بن أحمد، والبزار، والطبراني ورجالهم ثقات. اهـ.

وقال في «الإتحاف» ٤/ ١٥٦: أخرجه الترمذي، وأحمد، والضياء في «المختارة»، وابن جرير في «التهذيب»، والحارث بن أبي أسامة؛ كلهم من حديث أبي سعيد مرفوعاً. اهـ مختصراً.

ومن عِناية الله بالشاكرين أنَّ الله سبحانه يزيدهم نِعَماً وإحساناً بشاهد قوله تعالى ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾[1].

عنايته تعالى بالشاكرين

ولمَّا كانت مرتبة الشكر عزيزة جدّاً قال تعالى ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾[2]، وأمر بشكر المنعم من المخلوقين، قال تعالى ﴿أن اشكر لي ولوالديك﴾[3].

الشكر للمخلوقين

وجَحْد النِّعَم الجزئية الواصلة إلى العبد من أشباهه وأمثاله من المخلوقين دليلٌ على جحد النعم الكليَّة الواصلة إليه من ربِّ العالمين.

جحد النعم

وعدمُ الشكر غِلظةٌ في الطبع تنشأ عن قسوة قلبية صارفة عن الاعتراف بالحقِّ، والمؤمن المنوَّر بنور الإيمان لا ينصرف عن الحقِّ، بل يدور مع الحقِّ حيث دار. وقد قُلت فيما يناسب هذا الأسلوب:

---

(١) إبراهيم، آية (٧).
(٢) سبأ، آية (١٣).
(٣) لقمان، آية (١٤).

قَالُوا: عُبَيْدٌ عَلَى زَيْدٍ لَهُ مِنَنٌ
وَرَاحَ زَيْدٌ يَجْحَدُ ٱلبِرَّ خَنَّاسَا
فقُلْتُ: خَلُّوهُ لَا رَاجَتْ بِضَاعَتُهُ
لَمْ يَشْكُرِ ٱللهَ مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَا

* * *

الشعبة الرابعة والأربعون

الزهد

وهو: ضِدُّ الحرص والطمع.

معناه

ومعناه أن يُلقيَ الرجل الأطماعَ عن قلبه، فلا تكون هذه الدنيا الدنيَّةُ الفانية غايةَ همِّه ومبلغ علمه، إذ الحرص بابُ المضرَّات ومفتاح السيِّئات، والحريصُ المبتلى بالطَّمَع يُبَلِّغُه طمعُه وحرصه على الحطام لكل قبيحة؛ فيكذب، ويفتري، ويخوض بالناس، ويحلف كاذباً، ويختلَق الزور، ويحرِّف الحقوق، ويرتكب إضرار الخلق، ولا يكون صديقَ أحد، بل هو عبدُ مطامعه وأغراضه، يخبِطُ في عيشه بين الحلال والحرام، ومِثْلُ ذلك الرجل لا تؤمَن بوائقه، ولا ترضي اللهَ؛ ولا العباد خلائقه.

حال الزاهد

والزاهد القلب لا يمكُر، ولا يخدع، ولا يكذب

لأجل هذه الدنيا الزائلة، ويقف مع الحقِّ.

سرٌّ لطيف

وهنا **سرّ لطيف** تقدَّم الكلام على شيء منه، وذلك أن الزاهدين من أكابر هذا الدين على قسمين:

الزاهدون على قسمين

قسم منهم؛ وهم الكمَّلُ زهدوا الدنيا بحذافيرها فيما يؤول إلى أنفسهم، فعملوا فيما يؤول إليهم عملَ من يترقَّب الموت في كلِّ طرفة عين، وانتهضوا لمصلحة الأمة، فعملوا فيما يؤول إلى الأمَّة عملَ من يجزم أنه لا يموت، ومن هؤلاء أمَّةٌ من السَّادة الأكابر آلِ النبي الطاهر، وأصحابه شموس المفاخر رضي الله عنهم.

ومنهم مَن زهد في نفسه، وترك الدنيا وأهلها وقصرَ زهدَه على خُوَيصَة نفسه وترك الكلَّ لله، فمرتبة مثل هذا دونَ مرتبة الكمال، إذ مرتبة الكمال هي من شروق نور النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأكمل آله وأصحابه إفاضةً وتعليماً.

وقد تتفاوت مراتب الهمم والعقول، فالأكمل استوفى مرتبة الزهد، كفّ بالزهد عن الناس شرَّه، وأفاض بالهمَّة للناس خيرَه، والذي دونَه أبلغته همَّتُه

ترك الدنيا زهداً، يريد بذلك خدمةَ الله في خلقه، فكفَّ شرَّه عن الناس واكتفى بالله.

وقد أشار إلى الزهد بهذه الجيفة الزائلة سيِّدُ الحكماء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيْبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيْلٍ، وَعُدَّ نَفْسَكَ مِنْ أَهْلِ القُبُورِ»[1]، وقال تعالى ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾[2].

وحيث إِنَّها دار زوال، وحطامُها وما فيها ضربٌ من الخيال؛ فالحرص عليها من أكبر الخَبَال.

والدنيا اشتقاقها من الدَّناءة؛ تميل إلى كل دني، وتميل عن كل تقي نقي، ولا عبرة بوجودها بعض الأحيان بأيدي الأكابر من الصالحين والصدِّيقين والمرسلين!!! فأولئك عرفوها وأعطوها من

---

(١) أخرجه الترمذي: ٢٣٣٣؛ عن ابن عمر، وابن ماجه: ٤١١٤، وأحمد: ٢/ ٤٧٦٤، وأبو نعيم في «الحلية»: ١/ ٣١٣، وهو عند البخاري: ٦٤١٦، دون قوله: «وعُدَّ نفسك من أهل القبور».

(٢) الحديد، آية (٢٠).

الإهمال بالقلوب حقَّها، وأفاضوا منايحها على المستحقين، وجعلوها غنيمة للمخلوقين، فما غرّتهم، ولذلك ما أضرّتهم. إذ الزهد لم يكن بلُبس المرقَّعات والتقشُّف في الحركات والسكنات، إنما هو بفراغ القلب من الدنيا، وعلى هذا فوجودها في يد الكامل لا يضره أبداً.

وكون الأيام فيها قصيرة والهموم بها كثيرة، وما هي إلاَّ كما قال سيدنا الإمام الرفاعي رضي الله عنه: إن أقبلتْ كانت مَشْغَلة، وإن أدبرت كانت حسرة، فلذلك كلُّ الراحة بتجريد القلب منها وسلخه عنها.

ورحم الله سيِّدنا القطب السيد سراج الدين الصيَّادي الرفاعي المعروف بـ«المخزومي» رضي الله عنه فإنَّه قال:

أَذَانُ النَّاس حِيْنَ الطِّفْلُ يَأْتِي
وَتَـأْخِيْـرُ الصَّـلاَةِ إِلَـى الـوَفَـاةِ
يشِيْـرُ بِـأَنَّ عُمْـرَ ٱلْمَـرْءِ شَـيْءٌ
كمَـا بيْـن الأَذَانِ إِلَـى الصَّـلاَةِ

الشعبة الخامسة والأربعون

التوكل

توكل أهل الكمال

وتوكُّل أهل الكمال من الأصحاب الرجوعُ إلى الأسباب في الظاهر، والخروجُ منها في الباطن، فيستوي حالُهم مع الله في أخذ السبب وتركه، ولا يشاهدون في الحالين إلَّا اللهَ تعالى، ويقطعون الركون بقلوبهم إلى الأشخاص والأسباب، وإن تشبَّثوا بها في الظاهر حفظاً للنظام الكوني وتفاوت الهمم؛ علماً منهم بأن الأسباب لا تضرّ ولا تنفع، والمؤثر في الحالين هو الله لا غيره.

وقد درجوا على الجمع بين هذين الأدبين فأعطوا الظواهر حقَّها، والبواطنَ حقَّها، فكانوا يكسبون، ويتطيَّبون، ويغلقون بيوتهم، ويعملون ما نعمل من الأسباب، **يدلُّك** على ذلك قولُ النبي ﷺ للرجل

الذي سأله في ناقته: «اِعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ»[1].

حال أهل القوة

وأما أهل القوة الذين قطعوا برازخ الظواهر من الأنبياء وعظماء الصديقين فلهم الوقوف مع حالهم الباطني بطرح الحال الظاهري بالكلية، وكفى بالنبي ﷺ، فقد وقف على رأسه الشريف كافرٌ؛ والسيف في يده، والنبي عليه الصلاة والسلام نائم تحت شجرة ففتح عينيه، فقال له الكافر: أتخافني؟! قال: «لا»، قال: من يمنعك مني؟. قال: «اللهُ». فارتعدت يدُه

---

(١) أخرجه الترمذي: ٢٥١٧، عن أنس؛ وأبو نعيم في «الحلية»: ٨/ ٣٩٠. وأخرجه ابن حبان: ٢/ ٥٦؛ عن عَمْرو بن أمية الضَّمْري.

قال في «الإتحاف»: ٩/ ٥٠٧: قال العراقي: رواه الترمذي؛ من حديث أنس، ورواه ابن خزيمة في «التوكل»، والطبراني؛ من حديث عمرو بن أمية الضمري بإسناد جيد بلفظ: «قَيِّدْها». اهـ.

قلت: [الزبيدي]: ورواه الترمذي في «الزهد» وفي «العلل»، وابن أبي الدنيا في «التوكل»، والبيهقي في «الشُّعَب»، وأبو نعيم في «الحلية»، والقشيري، وابن عساكر، والضياء. اهـ باختصار.

بالسيف؛ ولم يصنعْ شيئاً![1].

وسيدنا الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام أتاه جبريل؛ وهو في كِفَّة المنجنيق، فقال له: ألك حاجة؟ فقال: «أمّا إليك فلا»[2]، فكفاه الله وجعل النار عليه برداً وسلاماً.

الجمع بين الأدبين

ومن أين للضعفاء التسلُّق إلى مراتب الأقوياء، ومع ذلك فالجمع بين أدبَي الباطن والظاهر داخل تحت أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو الذي يجب به العمل، والله وليُّ الأمر.

---

(١) قال السيوطي في «الدر المنثور» ٢/٢٩٩: وأخرج ابن حبان، وابن مردويه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا إذا صحبنا رسول الله ﷺ في سفر تركنا له أعظمَ دوحة وأظلَّها؛ فينزل تحتها، فنزل ذات يوم تحت شجرة وعلَّق سيفه فيها، فجاء رجل فأخذه فقال: يا محمد؛ مَن يمنعك مني؟ فقال رسول الله ﷺ: «اَللهُ؛ يَمْنَعُنِي مِنْكَ، ضَعْ عَنْكَ السَّيْفَ» فوضعه. فنزلت: ﴿والله يعصمك من الناس﴾.

(٢) قال السيوطي في «الدر المنثور» ٤/٣٢٣. وأخرج ابن جرير، عن معتمر بن سليمان التميمي، عن بعض أصحابه قال: جاء جبريل إلى إبراهيم وهو يوثَق ليلقى في النار، قال: يا إبراهيم؛ ألك حاجة!؟ قال: «أما إليك فلا».

الشعبة السادسة والأربعون

الرضا من الله تعالى

ففي الحديث القدسي: «مَنْ لَمْ يَرْضَ بقَضَائي فَلْيَتَّخِذْ رَبّاً سِوايَ»[1]، وفي الخبر: «مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبّاً فَقَدْ وَجَدَ لِلإِيْمَانِ طَعْماً»[2].

---

(١) قال في «الإتحاف» ٩/ ٦٥١: روى الطبراني في «الكبير»، وابن حبان في «الضعفاء»؛ من حديث أبي هند الدَّاري: «مَنْ لم يرض بِقضائي ويصبر على بلائي فليلتمس ربّاً سواي» وإسناده ضعيف، وكذلك أبو نعيم في «الصحابة»، وابن عساكر.

وروى البيهقي، وابن النجار؛ من حديث أنس: قال الله عز وجل: «من لم يرض بقضائي وقدري فليلتمس رباً غيري»، ورواه الخطيب بلفظ آخر مقارب. اهـ مختصراً.

(٢) روى مسلم: ٣٤؛ من حديث العباس بن عبد المطلب =

معناه

ومعنى الرضا: ركون القلب بخالص التسليم لله سبحانه وتعالى فيما يقضيه على العبد في هذه الدار من محبوب ومكروه؛ اعتماداً على اختيار الله تعالى له.

أسرار الرضا

وللرضا أسرار يجبُ التنبيهُ إليها؛

فمن **أهمها** أن يرضى بما يكون موجباً لرضاء الله سبحانه، وإلَّا! فإذا وقع في المعاصي وزعم بها الرضا فهو جاهل مؤاخَذ ـ والعياذ بالله ـ.

ومن أسرار الرضا: إفساحُ الخاطر في النوازل والحوادث التي تبرزها الأقدار، كذهاب مال ونقص أنفس. . . وأمثال ذلك.

ويلحق إفساحَ الخاطر التسليمُ لله بخالص الرضا منه سبحانه؛ اعتماداً عليه، ورجوعاً إليه، وفي هذا الشأن راحةٌ للقلب، وسلامةٌ للدّين، وطمأنينة للخاطر، ورياضةٌ للعقل، وغَلَبة على الشيطان،

= رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً». ورواه الترمذي: ٢٦٢٣، وأحمد: ١/ ١٧٧٨.

وسلطانٌ على الوساوس التي تحدِثُها خديعة الشيطان، أو شماتة أولي العدوان.

ومن أسرار الرضا: انفتاحُ روزنة[1] الفكر لحُسْن التدبير بشأن ما جرت به المقادير، وذلك الانفتاح من إحسان الفتاح ﴿ألا إلى الله تصير الأمور﴾[2].

* * *

(١) في «القاموس المحيط»: الروزنة: الكُوَّة.

(٢) الشورى، آية (٥٣).

الشعبة السابعة والأربعون

الخوف من الله سبحانه وتعالى

وهذه الشعبة من أعظم شعب الإيمان، ففي الآثار: «رَأْسُ ٱلحِكْمَةِ مَخَافَةُ اللهِ»[1].

---

(١) أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» ١/ ١٠٠، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»: ٢٧١.

وقال في «الإتحاف» ٨/ ٤٤٨: وأخرج الحكيم في «النوادر» وابن لال في «مكارم الأخلاق»؛ عن ابن مسعود مرفوعاً: «رأس الحكمة مخافة الله»، وفيه الحسن بن عمارة ضعيف، ورواه البيهقي؛ من طريق الثوري، عن ابن عباس ووقفه، وروى البيهقي في «الدلائل»، والعسكري في «الأمثال»، والديلمي؛ عن عقبة بن عامر قال: خرجنا في غزوة تبوك، فذكر حديثاً طويلاً فيه قول النبي ﷺ: «أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الزاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله . . . . .». اهـ باختصار.

والحديث بتمامه في «الدر المنثور» للسيوطي: ٢/ ٢٢٤.

ثمرة الخوف

وبالخوف تكون التقوى، والورع، والزهد، والخشوع، والذلُّ لله والخضوع، وهو **أصل لكل فضيلة**، فإن مَن خاف الله أَمِن منه الناس، ومَن لم يخف الله لم تأمن الناس بوائقَه.

والخوف من الله يلزم العبد بالخوف من الجراءة على كل قول؛ أو عمل لا يرضي الله، وقد طفح الكتاب العزيز بالأمر بالتقوى؛ وهي الخوف، ومحلُّها ـ أعني التقوى ـ القلب، فإذا حلَّ القلبَ خوفُ الله تعالى انتشر سرُّ ذلك على الجوارح؛ فكان لها قيداً عن المنهيّات، وجاذباً لها إلى المرضيّات، وحاجزاً عن المحذورات، فيخاف لذلك السرِّ الخائفُ من الله جوارحه كما يخاف المرء الأسد؛ يخاف لسانه ويده، ورجله وعينه، وسمعه وبطنه، وما ظهر منه وما بطن أن يوقعه شيء من كلِّ ذلك فيما لا يرضي الله من قول؛ أو فعل.

وببركة سرّ الخوف من الله سبحانه يكون مصون الجوارح، فلا يؤذي بجارحة من جوارحه ذرة كونيَّة من خلق الله، ويصرف قدرته كلَّها في منفعة ذاته،

وفي منافع خلق الله امتثالاً لأوامر الله.

شأن المؤمن

وهذا شأن المؤمن الذي يخاف الله ويقتدي بسيِّد الخلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وله على ذلك الجنة، قال تعالى ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾[1].

* * *

(١) النازعات، آية (٤٠ـ٤١).

الشعبة الثامنة والأربعون

الرجاء من الله

قال تعالى ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾[1].

والرجاء: هو حسن الظن بالله تعالى، ففي الحديث القدسي: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، إِنْ ظَنَّ بِي خَيْراً فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ بِي شَرّاً فَلَهُ»[2].

---

(١) الكهف، آية (١١٠).

(٢) أخرجه أحمد بنحوه: ٤/ ١٣١٩١؛ عن أنس، والبخاري: ٧٤٠٥؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني. . . . .» الحديث.

ورواه مسلم: ٢٦٧٥، والترمذي: ٢٣٨٨، وابن ماجه: ٣٨٢٢، دون زيادة المصنف: «إن ظن بي خيراً فله. . . . .»، =

ومن مناجات الأمير المرتضى سيدنا علي كرم الله وجهه ورضي عنه وعنَّا به: مناجاة علوية

إلٰهي لَئِنْ عَذَّبْتَنِي أَلْفَ حِجَّةٍ
فَحَبْلُ رَجَائِي مِنْكَ لَا يَنْقَطِعُ
إلٰهِي لَئِنْ أَقْصَيْتَنِي أَوْ رَدَدْتَنِي
فَمَنْ ذَا الَّذِي أَرْجُو وَمَن ذَا أَشْفَعُ

آداب الرجاء

وآداب الرجاء: العمل الصالح، والإخلاص بالعمل لله وحده، وحسنُ الظنِّ بالله، وقطع الأمل من غيره سبحانه.

الرجاء في كلام الإمام الرفاعي

وفي كلام الإمام السيد أحمد الرفاعي الحسيني رضي الله عنه: صحيحُ الرجاء بالخالق يمنع عن الرجاء بالمخلوق، ومَن صحّ عملُه انقطع من سوى الله أملُه.

وقال رضي الله عنه: الرجل المتمكِّن لو نُصب له سِنان على أعلى جبل شاهق في الأرض وهبت عليه

= والدارمي: ٢٧٣١، والحاكم ٤/ ٢٤٠، وعندهما: «فليظن بي ما شاء».

رياح الليالي الثمان[1] ما غَيَّرت منه شعرة واحدة. يريد أنه لا ينفك بكلٍّ تلك الأهوال عن بارئه ذي الجلال ﴿ألا إلى الله تصير الأمور﴾[2].

سرٌّ لطيف

وهذا الشأن من علوِّ الهمَّة؛ وهي من الإيمان، وفي هذا المعنى **سرٌّ لطيف**؛ فإن الذي يرجو الله يعظِّم كلَّ شيء يؤول إلى الله، فيحبُّ الله، ورسولَ الله، وأنبياءَ الله، وأولياء الله، ومَن يذكر الله؛ ويذكُر بالله، ويكره أعداءَ الله، ومَن يشغل عن الله؛ ويشتغل بغير الله، وينتصر لأوامر الله، ويكفّ عن كلِّ مغضب لله، ويقف في بحبوحة الآداب التي تلحق بالله، ولا يستعين إلاَّ بالله، ويجعل أعوانه أولياءَ الله، وأنصارَه أنصارَ الله، ويشهد الفعل والعون والنصر كله من الله، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله.

---

(١) أراد الحسوم التي سخرها تعالى على عاد.

(٢) الشورى، آية (٥٣).

الشعبة التاسعة والأربعون

الحُبّ في الله

قدره

وقدرُ هذه الشعبة عظيمٌ، فإنَّ الحبَّ في الله يقطع عروق الأغراض ويمحَق أهويةَ النفوس ومطامِعَها، وهو أسٌّ عظيم للأخلاق الحميدة.

ثمرته

ومتى تحقَّق العبد بهذا الخلق الكريم يقفُ في كلِّ أحواله عند ما يرضي الله، فلا يتكلَّم كلمة، ولا يطرف طرفة، ولا يرفع قَدَماً، ولا يحرِّك عزمَ عزيمةٍ إِلاَّ لله، لا ينظر إلى الجنسية، ولا إلى العصبيـة والقـوميـة، ولا تستميلـه الأوهـام ولا تستخفُّـه الأحـلام ولا تُطِيشُـهُ المطـامـع، ولا تضعه وترفعه عوامل الحطام، يحب الله، ويحب مَن أحب الله، وبغيتُه رضاءُ الله، قال تعالى ﴿يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً

لله﴾[1]، وفي الخبر: «أَحِبُّوا اللهَ لِمَا يَغْذُوكُم بِهِ مِنْ نِعَمِهِ»[2].

ومن محبة الله تعالى محبةُ من يحبّه الله تعالى، حتى الأرض، يؤيِّد ذلك ما جاء في الحديث الشريف: «أَحَبُّ البِقَاعِ إِلَى اللهِ ٱلْمَسَاجِدُ، وَأَبْغَضُ البِقَاعِ إِلَى اللهِ أَسْوَاقُهَا»[3].

تيقظ وانتباه

فإذا كان الأمر كذلك فبالأولى محبَّةُ كتاب الله، وأنبياء الله، وسيِّدهم محمَّد رسول الله وأولياء الله،

---

(١) البقرة، آية (١٦٥).

(٢) أخرجه الترمذي: ٣٧٨٩، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وتتمة الحديث: «وأحبوني بحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي»، ورواه الحاكم: ٣/ ١٥٠، وصححه ووافقه الذهبي، ورواه أبو نعيم في الحلية: ٣/ ٢١١، والخطيب البغدادي في تاريخه: ٤/ ١٦٠.

(٣) أخرج مسلم: ٦٧١، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «أحبُّ البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها»، ورواه البيهقي: ٣/ ٦٥، وابن خزيمة: ٢/ ١٢٩٣، وهو في «كنز العمال»: ٧/ ٢٠٧١٩، وعزاه إلى الطبراني في «الكبير»؛ عن جبير بن مطعم.

وأنصار الله الذين همُّهم الله، وهممهم طائرة إلى الله ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾[1]، وبسرّ إرشاداتهم تيقّظ وانتبه.

وفي الخبر: «وَهَل الدِّيْنُ إِلَّا الحُبُّ فِي اللهِ وَٱلبُغْضُ فِي اللهِ»[2]، على أن الحبَّ في الله يوقِف العبدَ مع مرضاة الله، والبغض في الله يُبعدُه عمَّا يبغضه الله. وحينئذ هو في أمان الله.

* * *

---

(١) الأنعام، آية (٩٠).

(٢) أخرج أبو داود: ٤٥٩٩، عن أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً: «أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله».

الشعبة الخمسون

البغض في الله

وتلك سنَّة رسول الله ﷺ، فإنه كان عنده القريب والغريب في الله سواء، لا يحبُّ ولا يبغض إلاَّ لله، وقد قال ـ أرواحنا له الفداء ـ [ﷺ]: «مَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي ٱلْجَنَّةِ»[1].

حب سيد الخلق ﷺ

وحبُّه صلى الله عليه وآله وسلم أحسنُ الحسنات بعد محبة الله، ولا يكمُل إلاَّ بإعلاء منار سنَّته.

---

(١) أخرجه الترمذي: ٢٦٧٨؛ عن أنس رضي الله عنه، ولفظه بتمامه: قال لي رسول الله ﷺ: «يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل، ثم قال لي: يا بني وذلك من سنتي، ومن أحيا سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة»، والحديث في كنز العمال: ١/ ٩٣٣، وعزاه إلى السجزي عن أنس.

السنة

ومن أعظم أركان سنَّته السَّنِيَّة البغضُ في الله. وقد ورد: «إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى ٱلإِيْمَانِ الحبُّ فِي اللهِ، وَٱلبُغْضُ فِي اللهِ»[1]، وقال الله تعالى ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم﴾[2]، وقال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾[3].

ويجب على المؤمن المتحلّي بالآداب المرضيّة أن يُبغِض أهلَ الزَّيْغ والضلالة، وأرباب الظلم والفساد والبغي والعناد، والطغاة، وأهل الأضرار المؤذِيْن للخلق، وأن يبغض شياطين الإنس والجن فيكون بعيداً عنهم، ومتى وادَّ من حادَّ اللهَ ورسولَه؛

---

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي: ٧٤٧؛ عن البراء بن عازب، وأحمد كذلك: ٦/ ١٨٥٤٩ بلفظ: «إن أوسط عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله».

وأخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه»: ٧/ ٢٢٩؛ عن ابن مسعود.

(٢) المجادلة، آية (٢٢).

(٣) الممتحنة، آية (١).

فقد انخرط في سلكهم وصار منهم، ففي الخبر: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»[1]، وفي خبر آخر: «ٱلْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»[2].

ممن يُبغَض في الله تعالى

ومِن الذين يجبُ بغضُهم في الله قومٌ من سفهاء الناس قاموا في هذه الأيام يخبِطون بالأحكام الشرعية ويُضلُّون الناس، يريدون بذلك الشهرة؛

---

(١) أخرجه أبو داود: ٤٠٣١؛ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد»: ١٠/ ٢٧١؛ من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، وعزاه إلى الطبراني في «الأوسط».

(٢) أخرجه البخاري: ٦١٦٨؛ من حديث ابن مسعود، وبرقم: ٦١٧٠؛ عن أبي موسى، ومسلم: ٢٦٤٠؛ عن ابن مسعود، و٢٦٤١ عن أبي موسى.

وأخرجه أبو داود: ٥١٢٧؛ عن أنس، وكذلك الترمذي: ٢٣٨٥، وأبو يعلى الموصلي: ٥/ ٢٨٨٨.

ورواه أحمد: ٢/ ٣٧١٨؛ عن ابن مسعود، وكذلك أبو داود الطيالسي: ٢٥٤، وأبو نعيم في «الحلية»: ٤/ ١١٢؛ عن أبي موسى، وكذلك رواه ابن حبان: ١/ ٣٨٤، وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد»: ١٠/ ٢٨٠، إلى البزار، والطبراني؛ في الثلاثة.

ولو بالمكَفِّرات، ويزعمون أنهم على شيء. وقد أشار إليهم رسول الله ﷺ وهو الصادق الأمين بقوله عليه الصلاة والسلام: «يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حَدَثَةُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ أَقْوَالِ خَيْرِ ٱلْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيْمَانُهُم حَنَاجِرَهُم، فَإِذَا لَقِيْتُمُوهُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرَاً لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ»[1].

ومثل أولئك أهلُ الأهواء الذين يبغضون آل النبي ﷺ ويؤذونهم، ومنهم الآن بين ظهراني الأمة قومٌ كلُّهم على نَسَق يزيد؛ ولا تزيد، فهم بأذية الآل، أو بأذية فرد منهم مؤذون لرسول الله ﷺ، وهم ملعونون بالنصوص؛ على العموم والخصوص.

ومثلهم الذين ينتقصون الشيخين الخليفتين

---

(١) أخرجه البخاري: ٣٦١١؛ عن علي رضي الله عنه، وأبو داود: ٤٧٦٧، والبيهقي: ٨/ ١٨٧، وأحمد: ١/ ٦١٦، ونحوه عند الترمذي: ٢١٨٨؛ عن ابن مسعود رضي الله عنه، وكذلك عند ابن ماجه: ١٦٨.

المكرَّمين رضي الله عنهما، والذين يبغضون أصحاب النبي ﷺ.

ويليهم أهل الفساد والعصيان، والمجرمون، والظلمة، والباغون، والمفسدون، والعصاة المجاهرون، وقطاع الطريق، والخارجون على إمام الوقت ـ أيَّده الله ـ، والخوَّاضون الذين يفترون على الله وعلى عباده الكذب، والمحرِّفون للحقوق، والذين يضرُّون بمنافع الخليقة، ويسيئون بالأضرار الخليقة، وأهل الأطماع بأموال الأمة، وأربابُ النميمة والغيبة، والانحرافِ عن الطريق الشرعي المرضي الذي أمر الله عباده بسلوكه، والمراؤون، والكذَّابون، والمرتكبون للكبائر، والمستخِفُّون بأهل الدين، والمحقِّرون للصالحين، والذين يحرِّفون الكَلِم عن مواضعه، والذين يخيفون الناس، ويخشاهم الناس لشرِّهم، وكفَّار النعم، قلّت؛ أو جلّت، والذين يستهزؤون بالناس، ويستخِفُّون بالأحكام، وقلوبهم مَشُوبة بالأمراض، يرمون المسلمين بسهام الطُّعُونات، ويريدون مؤاخذة الخلق بالشُّبُهات، وهم أشرُّ الناس قِيْلاً،

وأسوأُهم سبيلاً، فبغضُهم وأمثالهم من البغض في الله، والموعدُ اللهُ، ولا إله إلا الله.

* * *

الشعبة الحادية والخمسون

الحياء

قال النبي ﷺ لرجل من الأنصار ـ وهو يعِظُ أخاه في الحياء ـ: «دَعْهُ؛ فَإِنَّ ٱلْحَيَاءَ مِنَ ٱلإِيْمَانِ»[1]، وفي الخبر: «لَا إِيْمَانَ لِمَن لَا حَيَاءَ لَهُ»[2]، وقال

---

(1) أخرجه البخاري: ٢٤؛ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وكذلك أبو داود: ٤٧٩٥، والنسائي: ٥٠٣٣، وأحمد: ٢/٥١٨٣، ومالك: ٢/٩٠٥، وأبو نعيم في «الحلية»: ٦/ ٣٥٢.

(2) قال في «الإتحاف» ٨/ ٣٠٨: وفي لفظ: «الحياء شعبةٌ من الإيمان، ولا إيمان لمن لا حياء له»، رواه ابن لال في «مكارم الأخلاق»؛ عن مجمع بن حارثة، عن عمه. اهـ. والحديث في «الترغيب والترهيب» للمنذري: ٣/ ٤٠٠، وقال فيه: رواه أبو الشيخ ابن حبان في «الثواب»، وفي إسناده بشر بن غالب الأسدي مجهول. اهـ.

صلى الله عليه وآله وسلم: «اِسْتَحْيُوا مِنَ الله حق الحياء، قالوا: يا نبي الله إنا نستحيي من الله والحمد لله!!. قال: «لَيْسَ كَذَلِكَ؛ وَلٰكِنَّ الاِسْتِحْيَاءَ مِنَ اللهِ حَقَّ ٱلحَيَاءِ أَنْ يَحْفَظَ ٱلرَّأسَ وَمَا وَعَى وَٱلبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَيَذْكُرَ ٱلمَوْتَ وَٱلبلَى، وَمَن أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِيْنَةَ ٱلدُّنْيَا، وَآثَرَ ٱلآخِرَةَ عَلَى ٱلأُولَى، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَد ٱسْتَحْيَى مِنَ اللهِ حَقَّ ٱلحَيَاءِ»[1].

ثمرة الحياء

ومن غمس الله طينته بماء الحياء يزعجه الحياءُ من الله تعالى لستر فضائح ذنوبه بالتوبة والإنابة إلى الله، فتراه قلق القلب لا يهدأ خاطره إلاَّ بالتوبة، ويكون مراعياً لحقوق الله وحقوقِ خلق الله.

فضله

وفي كلام سيدنا علي أمير المؤمنين رضوان الله

---

(١) أخرجه الترمذي: ٢٤٥٨؛ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وأحمد: ١/ ٣٦٧١، والحاكم: ٤/ ٣٢٣ وصحَّحه، ووافقه الذهبي.

وروواه أبو نعيم في «الحلية»: ١/ ٣٥٨؛ من حديث الحكم بن عمير، وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد»: ١٠/ ٢٨٤، إلى الطبراني في «الأوسط»؛ من حديث عائشة رضي الله عنها.

وسلامه عليه: كلُّ الخير في الحياء، وفي الخبر: «لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ ٱلْأُولَى إِلَّا إِذَا لَمْ تَسْتَحِي فَٱصْنَعْ مَا شِئْتَ»(١)، هذا ما ورد عن النبي ﷺ، وكلُّ البركة والخير والنفع في كلامه الشريف وأحاديثه التي هي روح السعادة ومعدن الإفادة.

مسلك القوم

قال الإمام سهل التُّسْتَري رضي الله عنه: مذهبُنا الاقتداءُ بالنبي ﷺ في الأخلاق والأفعال.

---

(١) أخرج البخاري: ٣٤٨٤؛ عن أبي مسعود رضي الله عنه يرفعه: «إنَّ مما أدرك الناس من كلام النبوة: إذا لم تستحي فاصنع ما شئت». وأبو داود: ٤٧٩٧، وابن ماجه: ٤١٨٣، ومالك: ١/ ١٥٨، وأحمد ٦/ ١٧٠٨٩، والبيهقي: ١٠/ ١٩٢، والقضاعي في «مسند الشهاب»: ٢/ ١٨٧، وابن أبي شيبة في «مصنفه»: ٦/ ٩٢، وأبو نعيم في «الحلية»: ٤/ ٣٧٠.

ورواه ابن عدي في «الكامل»: ٧/ ٢٥٠٨؛ عن حذيفة، وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد»: ٨/ ٢٧، إلى أحمد، والبزار؛ من حديث حذيفة رضي الله عنه، وإلى الطبراني في «الأوسط»؛ من حديث أم الطفيل رضي الله عنها.

وقال الجنيد رضي الله عنه: مذهبنا مقيَّد بالكتاب والسنة.

وقال الإمام السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه: طريقي صحيحُ الاستناد إلى الله، والتمسُّك بسنَّة رسول الله ﷺ ونفعِ عباد الله، وما توفيقي إلا بالله.

وقال رضي الله عنه: كلُّ طريقة خالفت الشريعة فهي زندقة. وقال نفعنا الله بعلومه ومدده: المؤمن مبرقَعٌ بالحياء، ينظمه الحياء بسلك الصالحين المقتدين بسيِّد المرسلين عليه صلوات رب العالمين، وإنه ليستحيي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يخالف أوامره الشريفة؛ ولو بحرف واحد، وها هي سنَّتُه الكريمة وأقواله المطاعة المتَّبعة في الصدور والسطور، وهو الواسطة العظمى والوسيلة الكبرى، فالموفَّقون متِّبعوه، والمغبونون مخالفوه، وهو البرزخ الوَسَط؛ الفارق بين المخلوق والخالق ﷺ. انتهى كلامه الشريف.

قواعد حديثية على لسان القوم

وهنا جملة مباركة في تفصيل قواعد الحديث استطردتُ ذكرَها تبرُّكاً بالجناب الرفيع ﷺ.

الحديث الصحيح: هو ما رواه الملازمون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من الرجال والنساء.

والمرسل: ما روي عن شابّ من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم.

والمسنَد: ما رُوي عن شيخ من الصحابة عليهم رضوان الله.

والقويّ: ما قاله عليه السلام وقَرَأَ آية.

والحَسَن: ما يفهمه كل أحد.

والمرفوع: هو ما رفع إلى واحد من الصحابة وأُلحِق بالجناب العالي.

والمحكم: ما ليس يحتاج إلى التأويل.

والمتصل: ما رُوي عن غير معروف، ثم روي عن معروفٍ ونهي إثباته.

والمنفصل: ما قاله أو فعله، ثم نهى عنه ﷺ.

والمتواتر: ما ليس بمعرفةِ رواتِه حاجةٌ لشهرتهم.

والمتشابه: ما هو محتاج إلى التأويل.

والسقيم: ما هو غير موافق للكتاب العزيز.

والضعيف: ما روي ولم يعرَف له راوٍ.

والمفرد: ما تفرَّد به واحد من الثقات.

والمنقطع: ما قاله ﷺ مرَّة واحدة؛ ولم يسمع منه مرَّة أخرى.

والموضوع: الذي له شَبَه بالآثار.

والغريب: ما نُقل عن غير الصحابة.

والموقوف: ما اختلف فيه الأئمة؛ ولم يرفع.

والمشهور: ما سمع وسلَّم به جميع الملل.

والناسخ: ما قاله ﷺ في آخر عمره.

والعام: ما أراد به جميع الخلائق.

والخاص: ما اختص به واحدٌ من الخلق.

والمردود: ماله ظاهر؛ وليس له معنى.

والشاذّ: ما ليس للفروع فيه دخل.

وحديث الآحاد: ما يسند إلى واحد.

والمفترى: ما قاله مسيلمة الكذاب ـ لعنه الله ـ[1].

---

(١) هذه التعريفات التي أوردها المصنف رحمه الله، يستحسن الرجوع إلى كتب مصطلح الحديث للتثبت من صحتها =

عؤذ حسن

الحياءُ صفة من صفات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقد كان أحيى من العذراء في خِدْرها[1].
ورضي الله تعالى عن شيخنا السيد محمد مهدي الصيادي الرفاعي نفعنا الله بعلومه، فإنه قال مِن قصيدة:

إِرْتَـدِ الـدَّهْـرَ بِجِلْبَـابِ ٱلْحَيَـا
فـإِمَـامُ السَّـادَةِ ٱلـرُّسْـلِ حَيِـيّ

= والتوسع في فهم معانيها.
وإلا! فإن كثيراً من تعاريفها لا ينطبق على ما حدّه أهل هذا الفن رحمهم الله تعالى.

(١) أخرج البخاري: ٣٥٦٢، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ أشدَّ حياء من العذراء في خدرها»، ومسلم: ٢٣٢٠، وابن ماجه: ٤١٨٠، وأحمد: ٤/١١٧٤٨، والبيهقي: ١٠/١٩٢، وابن أبي شيبة في «مصنفه»: ٦/ ٩٢.
وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد»: ٨/٢٦، إلى البزار؛ عن أنس رضي الله عنه.

الشعبة الثانية والخمسون

حسن الخُلُق

فضله

قال النبي ﷺ: «أَكْمَلُ ٱلْمُؤْمِنِيْنَ إِيْمَاناً أَحْسَنُهُم خُلُقاً»[1]، وبرواية الإمام الحسن البصري؛ عن الإمام الحسن (السِّبْط الأعظم) رضي الله عنهما، عن أمير المؤمنين سيدنا عليّ المرتضى كرّم الله وجهه وأكرمه بتحياته وسلامه؛ أن النبي ﷺ قال:

---

(١) أخرجه الترمذي: ١١٦٢؛ عن أبي هريرة.
وأخرجه أبو داود: ٤٦٨٢، وابن حبان: ٦/ ١٨٨، وأحمد: ٣/ ٧٤٠٦، والدارمي: ٢٧٩٢، وابن أبي شيبة: ٦/ ٨٨، والحاكم: ١/ ٣، وأبو نعيم في «الحلية»: ٩/ ٢٤٨، والبزار: ١/ ٣٤؛ عن جابر.
والطبراني في «المعجم الصغير»: ٦٠٦؛ عن أبي سعيد الخدري، وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد»: ٨/ ٢١، إلى الطبراني في «الأوسط» و«الصغير».

«إِنَّ أَحْسَنَ ٱلحَسَنِ ٱلخُلُقُ ٱلحَسَنُ»[1].

وقال كرّم الله وجهه: أعقلُ القوم أحسنُهم خُلُقاً، وفي الآثار أن أبا ذر رضي الله عنه قال: يا رسول الله؛ أيُّ المؤمنين أفضلُ؟ قال: «أَحْسَنُهُم خُلُقاً»[2].

معناه

ومعنى الخلق الحسن: اتصاف المرء بالأوصاف التي أمر بها الشرع، كان ذلك جِبِلَّة، أو رياضة وكسباً، وفي الخبر عن النبي الأطهر ﷺ قال: «بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ ٱلأَخْلاَقِ»[3].

---

(١) أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب»: ٢/ ١٠٩، وهو في «كنز العمال»: ٣/ ٥١٥٢، وعزاه إلى المستغفري في «مسلسلاته»، وابنِ عساكر؛ عن الحسن بن علي رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك»: ٤/ ٥٤٠؛ في حديث طويل؛ عن ابن عمر رضي الله عنهما، وصحَّحه ووافقه الذهبي، ونحو هذا الحديث في «مجمع الزوائد»: ٨/ ٢٥، وعزاه إلى الطبراني عن ابن عمر.

(٣) أخرجه أحمد: ٣/ ٨٩٦١؛ عن أبي هريرة، ومالك في «الموطأ» **بلاغاً**: ٢/ ٩٠٤، والبيهقي: ١٠/ ١٩٢، والحاكم: ٢/ ٦١٣، والقضاعي في «مسند الشهاب»: ٢/ ١٩٣، وألفاظهم متقاربة.

وقد أثنى الله تعالى على رسوله عليه الصلاة والسلام بقوله جلّت قدرته ﴿وإنك لعلىٰ خلق عظيم﴾[1]، وقال عليه صلوات الله وتسليماته: «حُسْنُ ٱلخُلُقِ خُلُقُ اللهِ ٱلأَعْظَمُ»[2]، وقال أيضاً [ﷺ]: «حُسْنُ ٱلخُلُقِ نِصْفُ الدِّيْنِ»[3]، وقال ـ أرواحنا له الفداء ـ [ﷺ]: «خِيَارُكُم أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاَقاً»[4]، وقال [ﷺ]: «خَيْرُ النَّاسِ أَحْسَنُهُمْ

---

(١) ن، آية (٤).

(٢) أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد»: ٨/ ٢٠؛ من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه، وقال فيه: رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، وفيه عَمْرو بن الحُصَين وهو متروك. اهـ. وهو عند أبي نعيم في «الحلية»: ٢/ ١٧٥.

(٣) رواه الديلمي في مسند الفردوس: ٢٧١٢، عن أنس، ورواه الخطيب البغدادي في تاريخه: ١٢/ ١١، وقال في الإتحاف: ٨/ ١٦٥: روى العسكري والطبراني وابن لال عن أنس: «الاقتصاد نصف العيش وحسن الخلق نصف الدين» اهـ ملخصاً.

(٤) رواه أحمد: ٣/ ١٠٠٢٩، عن أبي هريرة، وتتمته: إذا فقهوا، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٢/ ٧٦، إلى الخرائطي عن ابن عباس، وعزاه في مجمع الزوائد: =

خُلُقَاً»[1]، وقال [ﷺ]: «خَيْرُكُمْ إِسْلَامَاً أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقَاً»[2]، وقال عليه الصلاة والسلام: «اَلْخُلُقُ الْحَسَنُ لَا يُنْزَعُ إِلَّا مِنْ وَلَدِ حَيْضَةٍ، أَوْ وَلَدِ زَنْيَةٍ»[3]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «خَصْلَتَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ؛ الْبُخْلُ وَسُوءُ الْخُلُقِ»[4].

= ٨/ ٢١، إلى البزار من حديث ابن مسعود، وقال: في إسناده صدقة بن موسى وهو ضعيف. اهـ.

(١) هو في كنز العمال: ٣/ ٥١٦٨، وعزاه إلى الطبراني في الكبير عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أحمد: ٣/ ١٠٠٧٢؛ عن أبي هريرة، بزيادة: إذا فقهوا. والبخاري في «الأدب المفرد»: ٢٨٥.

(٣) رواه الديلمي في مسند الفردوس: ٢٩٩٢، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه الترمذي: ١٩٦٢، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ورواه أبو يعلى: ٢/ ١٣٢٨، والبخاري في الأدب المفرد: ٢٨٢، وأبو نعيم في الحلية: ٢/ ٢٥٨، وأبو داود الطيالسي: ٢٢٠٨. وقال في الإتحاف: ٨/ ١٩٣: رواه الترمذي والطيالسي وعبد بن حميد والبخاري في الأدب والبزار وأبو يعلى وابن جرير في تهذيبه والبيهقي في الشُّعب. اهـ.

ولله درّ القائل في مدح النبي الكامل صلى الله عليه وآله وسلم:

يَا مُصْطَفَى مِنْ قَبْلِ نَشْأَةِ آدَم
وَالكَوْنُ لَمْ تُفْتَحْ لَهُ أَغْلَاقُ
أَيَرُومُ مَخْلُوقٌ ثَنَاءَكَ بَعْدَ أَنْ
أَثْنَى عَلَى أَخْلَاقِكَ ٱلخَلَّاقُ

وللقطب الكبير شيخ الإسلام السيِّد الشيخ سراج الدين الرفاعي المخزومي رضي الله تعالى عنه:

إِنَّ ٱلشَّرِيْفَ إِذَا تَرَوْنَقَ شِيْمَةً
قُرَشِيَّةً طَابَتْ بِهَا ٱلأَعْرَاقُ
وَأَرَادَ بَاغٍ قَطْعَ نِسْبَةِ عِزِّهِ
شَهِدَتْ لَهُ ٱلأَطْوَارُ وَٱلأَخْلَاقُ

وحيث إن معنى الخلق اتصافُ المرء بالأوصاف التي أمر بها الشرع؛ وهي الأوصاف الكريمة والأخلاق الحميدة، والاتصاف بها انسلاخٌ عن الأخلاق السيئة والأوصافِ الذميمة، فنتيجتُها النفع العامُّ لكلِّ الأنام. والسلام.

الشعبة الثالثة والخمسون

اعتقاد المرء أن الله تعالى ناظر إليه

يراه في كلِّ أحواله، ويَطَّلع على كلِّ خفيٍّ وجليٍّ من أقواله وأفعاله. فمتى علم ذلك علماً جازماً؛ واعتقدَه اعتقاداً قاطعاً يقف عند حدود الله تعالى، وإذا همّ بمعصية؛ كَبُرت، أو صغرت أزعجه علمُه بأن الله تعالى يراه فأحجم عن المعصية، وهاب جلال الله تعالت قدرته، وكذلك إذا ابتدر لفعل مرضي من عبادة؛ أو برّ، أو صدقة، أو إغاثة ملهوف، أو نصر مظلوم وعلم أن الله تعالى يراه أخلصَ في فعله وقصد به وجه الله، وتخلَّص من ظلمة رؤية الأغيار، فكانت كلُّ أعماله وحركاته وسكناته لله. وكفى بالله ولياً.

الشعبة الرابعة والخمسون

اعتقاد المرء في أعماله بأنه يرى الله سبحانه

وهذه المنزلة من هذه الشعبة أرفعُ وأسمى من التي قبلها، وهي أشمخُ مراتب الإحسان. ففي حديث جبريل قال النبي ﷺ: «اَلإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[1].

أسرار المراقبة

وفي هذين المقامين سِرَّان:

الأول: أن ترى أنك تنظر الله في عملك وكلِّ حالك، فتأخذك المراقبة له عن غيره.

والثاني: أن ترى أنه ينظر إليك من مضمون قوله تعالى: ﴿إن الله كان عليكم رقيباً﴾[2]؛ فتسلخك مراقبته لك في كل حال لك؛ أو عمل أن تشرِك

---

(١) تقدم تخريج هذا الحديث في ص٣٤.

(٢) النساء، آية (١).

بعبادته أحداً. وهذا ملخَّص ما تكلَّم به أهل العلم والعرفان في هذا المقام. وحسبنا الله وكفى.

* * *

الشعبة الخامسة والخمسون

ترك اليأس والقنوط

فإن اليأس والقنوط من الله سبحانه كفرٌ، قال تعالى ﴿ولا تيأسوا من رَوْحِ الله﴾[1]، وقال ﴿لا تقنطوا من رحمة الله﴾[2].

حكم اليأس

وحكم اليأس: قطعُ الأمل من واهب الفضل.

معناه

وهو: ضدُّ الرجاء، وفيه انصراف عن شهود كرم الله تعالى في جعل العسير يسيراً، والقليل كثيراً، والغضب رحمة، والشدة رخاءاً، وذلك من الجهل بقدرة الله وعدم العلم بنفوذ سلطانه وباهر فعله، وأنه يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد.

---

(١) يوسف، آية (٨٧).

(٢) الزمر، آية (٥٣).

ورحم الله القائل:

وكَمْ للهِ مِنْ لُطْفٍ خَفِيٍّ
يدِقُّ خَفَاهُ عَنْ فَهْمِ الذَّكِيِّ
وكَمْ هَمٍّ تُسَاءُ بِهِ صَبَاحاً
وتَأْتِيكَ ٱلمَسَرَّةُ فِي العَشِيِّ

وقال الآخر:

أنَا عَبْدُ رَبٍّ لَهُ قُدْرَةٌ
يهُونُ بِهَا كُلُّ أَمْرٍ عَسِيْرْ
وإِنْ كُنْتُ عَبْداً ضَعِيْفَ ٱلقُوَى
فرَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْر

الشعبة السادسة والخمسون

ترك الحسد

معناه

وهو: إرادة زوال النعمة عن المحسود، وهو من صفات إبليس، حَسَد آدم عليه السلام فتكبَّر عليه؛ وقال: أنا خير منه. وجرَّه الحسدُ للكذب؛ فحلف له ولحوَّاء عليهما السَّلام قائلاً ﴿إني لكما لمن الناصحين﴾[1]. فالحسودُ لا يكون إلَّا متكبِّراً وكذَّاباً.

والحَسَد وصف ذميم تترفع عنه العقول العالية. ورضي الله تعالى عن سيدنا الإمام الأكبر السيد أحمد الرفاعي الحسيني رضي الله عنه، فإنه كتب لأحد حُسَّاده:

أَقُولُ لِمَنْ جَاءَنِي حَاسِداً
أَتَدْرِي عَلَى مَنْ أَسَأْتَ الأَدَبْ!!

---

(١) الأعراف، آية (٢١).

أَسَـأْتَ ظُنُـونَـكَ فِـي خَـالِقِـي
كَأَنَّكَ لَمْ تَرْضَ لِي مَا وَهَبْ
فَكَـــانَ جَـــزَاؤكَ أَنْ زَادَنِـــي
وَسَـدَّ عَلَيْـكَ طَـرِيْـقَ الطَّلَـبْ

وكان الأمر كذلك ـ كما قال ـ زاده الله نعمة وفضلاً، وسدَّ الطريق على حاسده، فهام على وجهه؛ فما علم به أحد إلى أين ذهب.

صفة الحاسد

وقد قيل «الحَسُودُ لا يسودُ»[1]، وقال النبي ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَٱلحَسَدَ، فَإِنَّ ٱلحَسَدَ يَأْكُلُ ٱلحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ ٱلحَطَبَ»[2]، وعنه عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللهَ يَقُولُ (اَلْحَسُودُ عَدُوُّ نِعْمَتِي)»[3]، وقال أيضاً [ﷺ]: «لَيْسَ مِنِّي ذُو حَسَدٍ، وَلَا نَمِيمَةٍ، وَلَا كَهَانَةٍ،

---

(١) قال في «كشف الخفاء» ١/٣٥٩: من كلام بعض السلف؛ كما في «رسالة القشيري»، ويحكى عن ذي النون. اهـ. ومعناه: لا يكون سيّداً. قال السخاوي: معناه صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود: ٤٩٠٣؛ عن أبي هريرة، والبيهقي في «الشُّعب»: ٥/٦٦٠٨.

(٣) عزاه العجلوني ـ تبعاً للسخاوي ـ إلى بعض الكتب الإلهية. بلفظ «الحاسد عدو نعمتي».

وَلاَ أَنَا مِنْهُ»، وتلا رسول الله ﷺ ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً﴾[1].

وقال تعالى ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله﴾[2]!!.

وكون الحسد يجرُّ إلى أذية الناس وإضرارهم، وارتكاب الفرية في حقهم، وإشاعة الفاحشة فيهم، ونشر ما يشينُ عنهم، فلذلك كان تركُه من شُعَب الإيمان، والتحلِّي به ـ والعياذ بالله ـ من شُعَب الكفر والطغيان. والله المستعان.

---

(١) أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد»: ٨/ ٩١؛ عن عبد الله بن بُسر رضي الله عنه، ثم قال: رواه الطبراني، وفيه سليمان بن سلمة الخبائري وهو متروك. اهـ. والآية في هذا الحديث من سورة الأحزاب. آية (٥٨).

(٢) النساء، آية (٥٤).

الشعبة السابعة والخمسون

المداومة على ذكر الله تعالى

أفضل شرائع الإسلام

فالذكر إيمانٌ على إيمان. روى سيِّدُنا عبد الله بن بُسر رضي الله عنه أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنَّ شرائع الإسلام قد كَثُرت عليّ، وإني كبرت، فأخبرني بشيء أتشبّثُ به!!. قال: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْباً مِنْ ذِكْرِ اللهِ»[1]، فقد دلّه ـ أرواحنا له الفداء ـ [ﷺ] على أفضل شرائع الإسلام.

الحض على الذكر

وعنه عليه الصلاة والسلام: «أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا

---

(١) رواه الترمذي: ٣٣٧٥، وابن ماجه: ٣٧٩٣، وأحمد: ٦/ ١٧٦٩٦، والبيهقي: ٣/ ٣٧١، والحاكم: ١/ ٤٩٥ وصححه ووافقه الذهبي، وابن حبان: ٢/ ٩٢، وأبو نعيم في الحلية: ٩/ ٥١، وابن أبي شيبة في مصنفه: ٧/ ٧٢.

وَٱلنَّبِيُّونَ مِنْ قبلي: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ»[1]، وقال تعالى للنبي ﷺ ﴿قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾[2]، وقال تعالى ﴿فاذكروني أذكركم﴾[3]، وفي الحديث القدسي: «مَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُ»[4]، والذكر مذكِّرٌ بالله، وبآيات الله، والذاكر لا بدَّ؛ وأن يكون خائفاً من الله يرجوه ويخشاه.

سرُّ الذكر

ومن سرّ **الذكر** صحَّةُ الاتباع للنبي ﷺ، إذ لا يكفي مجرَّدُ الذكر من دون اتباعه عليه وآله

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ»: ١/ ٤٢٢؛ عن طلحة بن عبيد الله بن كريز، وكذلك رواه البيهقي: ٥/ ١١٧.
وروى نحوه الترمذي: ٣٥٨٥؛ عن عَمْرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّه.

(٢) الأنعام، آية (٩١).

(٣) البقرة، آية (١٥٢).

(٤) رواه أحمد: ٣/ ٨٦٥٨، عن أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ من الناس ذكرته في ملأ أكثر منهم وأطيب...» ونحوه عند البخاري: ٧٤٠٥، والترمذي: ٣٦٠٣.

الصلاة والسلام، فإنَّ الذكر من علامات الحبِّ لله، والله تعالى قال ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾[1].

ومتى تحقَّق الذاكر لله بصحَّة الاتباع لجناب رسول الله ﷺ فقد تحقَّق بالنفع للناس، وبحسن الحال في نفسه؛ وصار خيراً محضاً.

* * *

(١) آل عمران، آية (٣١).

الشعبة الثامنة والخمسون

تعلُّم العلم وتعليمه

فإن جميع الأعمال الإيمانية ظاهراً؛ إن لم تكن بعلم فهي لغوٌ وباطل.

فضيلته

والعلم: هو الفرض العامُّ، الواجبُ على كل مسلم، بدليل قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «طَلَبُ ٱلْعِلْمِ فَرِيْضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»[1].

والعلم ضِدُّ الجهل، وقد حثَّ النبي عليه الصلاة

---

(١) أخرجه ابن ماجه: ٢٢٤؛ عن أنس رضي الله عنه، وأبو يعلى: ٥/ ٢٨٣٧، وأبو نعيم في «الحلية»: ٨/ ٣٢٣، والطبراني في «المعجم الصغير»: ٢٢، وابن عدي في «الكامل»: ٢/ ٧٧٩، وعزاه في «مجمع الزوائد» للهيثمي: ١/ ١١٩ ـ ١٢٠: إلى الطبراني في المعاجم الثلاثة.

والسلام كلَّ الأمَّة على التخلُّص من الجهل بالعلم.

أشرف العلوم

وأشرفُ العلوم العلمُ بالله، ومتى حصل للمرء العلمُ بالله؛ فقد أحاط بثمرة كلِّ علم، وقد سمَّى النبي صلى الله عليه وآله وسلم علمَ التذكير «إيماناً»، ففي «الصحيح»؛ عن معاذ رضي الله عنه: «تَعَال بِنَا نُؤْمِنْ سَاعَةً»[1]، أي: نتذاكر علم الإيمان.

أقسام العلم بالله

والعلم بالله على ثلاثة أقسام؛

١ـ الأوامر الشرعية، و٢ـ النواهي الشرعية، و٣ـ المباحات الدنيوية. ومدارك الحواسِّ الضرورية؛ والضرورة العقلية.

فعلم **الأمر**؛ هو: علم الفرائض، والسنن، والفضائل. وعلم **النهي**؛ هو: علم الحرام، والكراهة، والتنزيه، **وعلم المباحات**؛ هو: العلم بالدنيا وأهلِها، وكيفية آداب المخالطة، واكتساب المعيشة، وصيانة المجد، وحفظ حقوق المقادير،

---

(١) علّقه البخاري عن معاذ بن جبل رضي الله عنه بلفظ: «اجلس بنا نؤمن ساعة». (فتح الباري: ١/ ٤٥).

وأبَّهة الهيئة المجتمعة، وهذه الأقسام الثلاثة تتعلَّم من الشرع وطريقُها السمع.

وأما مدارك الحواسّ والعلوم الضرورية! فقد اشترك فيها الحيوان العاقل، فلا تحتاج إلى اكتساب.

وبعد هذا؛ فالهُدَى هو العلم، لا يستغني القلب عن العلم طرفةَ عين، والعقل أيضاً محتاجٌ إلى العلم النبوي؛ لا يستغني عنه بنفسه آناً أبداً.

وكلُّ علم مدَّ شراعه في الأكوان انفتق رَتْقُه بهمم الأنبياء، وباشرته العقول؛ فسلكت فيه فِجاجاً، فالموفَّقُون جمعوا ـ باتباع الأنبياء ـ بين علمي الدين والدنيا، والمغبونون زلوا وضلوا. ومن هذا علمنا أن العلم فيه نجاح الأمرين الديني والدنيوي، وقد جعله ﷺ من أعظم شعب الإيمان، وأنبأ أنه فرض على كل مسلم، فليتدبر سرّ هذا الدين، وليعقل ربّ الذوق الصادق أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين.

الشعبة التاسعة والخمسون

اجتناب اللغو

واللغو: ضرب من العبث والخوض فيما لا يعني، وفي الخبر: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ ٱلْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيْهِ»[1].

واللغو من كونه لم يستند إلى حكمة، أو يرجع إلى أصل مطلوب فيه شيءٌ ينتج نفعاً في الدين، أو في الدنيا، أو غاية تفتِق ذهناً مطلسَماً، وتلقي فيه شيئاً من الحكمة الصالحة لحال؛ أو مآل، فتركُه واجتنابُه من العقل الكامل والفهم الصحيح. وفي هذا بلاغ.

---

(١) تقدم الكلام عليه في الشعبة السابعة والعشرين.

الشعبة الستون

كراهة الكفر

قال تعالى ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكرّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان﴾[1]، وقال جلّت قدرته ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾[2].

أقسام الكفر

والكفر على قسمين:

الأول: الجحود والشرك، **والثاني**: كفر النعمة.

فجحود الواجب الوجود؛ أو الشركُ به كفرٌ لا محالة.

كفر النعمة

وكفر النعمة على قسمين: كفر نعمة الخالق،

---

(١) الحجرات، آية (٧).

(٢) البقرة، آية (٢٥٦).

وكفر نعمة المخلوق، أي: التي تصل إلى العبد بواسطة المخلوق، والكلُّ من الله.

فكفر نعمة الخالق إن كانت عن جحود!! فهي من ضروب الكفر الغليظ، وإن كانت عن غفلة؟ فيجب بشأنها التيقُّظ، والتنبّه، والتوبة، والاستغفار، والله غفور رحيم.

وأما **كفران نعمة المخلوق!** فهي دون الكفر الغليظ، إلاّ أنها من أقسام الكفر، وفيها دَلالة على الخيانة وعدم الأمانة، والغلظة، والجفاء، وترك الوفاء، وفي الخبر: «لَا دِيْنَ لِمَنْ لَا وَفَاءَ لَهُ»[1].

وذو العقل يكره أن يقع في إحدى الوَهْدَتين[2].

والله المعين.

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، لكن يشهد له حديث أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»، وقد تقدم الكلام عليه.

(٢) أصل الوهدة: الأرض المنخفضة أو الهوة كما مرّ ص٨٣. ثم استعير ههنا لاستفالة الكفر، وأراد بالتثنية كفر نعمة الخالق، وكفر نعمة المخلوق.

الشعبة الحادية والستون

التواضع

وهو: ضِدُّ الكبر، فالكبر خُلُق إبليس، والتواضعُ خُلُق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قال الله تعالى ﴿وخلق الإنسان ضعيفاً﴾[1]. فمن كان في حَيْطة الضّعف والعجز لا ينبغي له أن يتَّصف بصفة القويِّ القدير، ومِن أين له ذلك، وهو يعجزه الذباب!!! والجبَّار القهَّار يقول: (اَلكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَٱلعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَن نَازَعَنِيهِمَا قَصَمْتُهُ)[2].

---

(١) النساء، آية (٢٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد بنحوه: ٣/ ٨٩٠٣، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهو في «موارد الظمآن» للهيثمي: ٤٩، ونحوه عند مسلم: ٢٦٢٠، وأبي داود: ٤٠٩٠، وابن ماجه: ٤١٧٤، وفي «المستدرك» للحاكم: ١/ ٦١.

شرف التواضع

والتواضع مِن لوازم العبدية، ومن أشرف الأخلاق المرضيَّة التي تجعل العبد مرضيّاً عند الله؛ محبوباً عند الناس، وفي الخبر: «مَنْ تَوَاضَعَ للهِ رَفَعَهُ ٱللهُ»[1]، وقد فسّر بعضهم الفُجّار بالمتكبّرين.

وفي كلام الإمام الرفاعي رضي الله عنه: ما تكبَّر متكبِّرٌ إلاَّ عن ذِلَّة فيه؛ كمينةٍ في نفسه. وقال: الكبر خُلَّة ذميمة دنيّة؛ تترفّع عنها أرباب العقول العالية، وتلا ﴿أليس في جهنم مثوى للمتكبّرين﴾[2].

---

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية»: ٧/ ١٢٩، وهو في «مجمع الزوائد» للهيثمي: ٨/ ٨٢؛ من حديث عمر رضي الله عنه، وعزاه إلى الطبراني في «الأوسط»، وقال: في إسناده سعيد بن سلام العطار؛ وهو كذاب. اهـ.

ونحوه عند مسلم: ٢٥٨٨؛ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»، وكذلك عند الترمذي: ٢٠٢٩، والدارمي: ١٦٧٦، ومالك: ٢/ ١٠٠٠، وأحمد: ٣/ ٩٠١٨.

وأخرج أحمد: ٤٠/ ١١٧٢٤؛ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً: «من تواضع لله درجة رفعه الله درجة حتى يجعله في عليين».

(٢) الزمر، آية (٦٠).

وقد مدح الإمام الشيخ إبراهيم المصطفوي الفاروتي ـ قدَّس الله روحَه ـ شيخه الغوث الأكبر مولانا السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه فقال:

تَوَاضَعَ كَالنَّجْمِ ٱسْتَبَانَ لِنَاظِرٍ
عَلَى صَفَحَاتِ ٱلْمَاءِ وَهُوَ رَفِيْعُ
وَكَمْ صَاعِدٍ سَمْتُ الدُّخَانِ بِنَفْسِهِ
إِلَى طَبَقَاتِ ٱلجَوِّ وَهُوَ وَضِيعُ

سر إلهي

ومن السرِّ الإلهي المستودَع في الكبر والتواضع: أن الكبرَ مكروهٌ هو؛ والمتحلي به بلا سبب، والتواضع محبوبٌ هو؛ والمتحلِّي به بلا سبب.

تواضع المؤمن

ومن حِكَم هذا الدين أن يكون المؤمن متواضعاً، قال تعالى ﴿والله لا يحب كل مختال فخور﴾(1)، وقال تعالى ـ في مدح عباده المتواضعين ـ ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾(2)، هوناً؛ أي: متواضعين.

---

(1) الحديد، آية (٢٣).
(2) الفرقان، آية (٦٣).

وكان المصطفى عليه وآله الصلاة والسلام يركب الحمار، ويجيب دعوة الصبي والمملوك، ويجلس على الأرض، ويمشي في الأسواق؛ هشّاً، بَشّاً، بسَّاماً، يحمل ما يشتريه من حاجة بيته من السوق بيده، وإذا أراد أحدٌ أن يحملها عنه يقول ـ أرواحنا له الفداء ـ [ﷺ]: «صَاحِبُ ٱلشَّيْءِ أَحَقُّ بِحَمْلِهِ»[1].

أهل التواضع

وقد انتظم الخير في أهل التواضع، لأن التواضع من نبعة السرّ، وهو ملائم لحكم البشرية. وقد

---

(١) أخرجه أبو يعلى: ١١/ ٦١٦٢؛ في حديث طويل، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه: «صاحب الشيء أحقُّ بشيئه أن يحمله، إلا أن يكون ضعيفاً يعجز عنه فيعينه أخوه المسلم».

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد»: ٥/ ١٢٢، وقال: رواه أبو يعلى والطبراني في «الأوسط»، وفيه يوسف بن زياد البصري وهو ضعيف. اهـ.

وقال في «الإتحاف» ٦/ ٣٧١: رواه أبو يعلى؛ من حديث أبي هريرة بسند ضعيف، وأخرجه كذلك ابن حبان في «الضعفاء»، والطبراني في «الأوسط»، والدارقطني في «الأفراد»، والعقيلي في «الضعفاء»، وابن عساكر في «التاريخ». اهـ ملخصاً.

انتظم الشرُّ في الكبر، لأنه من نبعة النفس، وهي أمّارة بالسّوء دأبُها الترفُّع عن حدِّها البشريّ، فالموفَّق متواضعٌ. والسلام.

الشعبة الثانية والستون

الإيمان باليوم الآخر

وهو يوم الحشر.

فيجب على العبد الإذعانُ والإيمان بأن الله يبعث مَن في القبور، وأنه إليه النشور. قال سبحانه ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾[1]، وقال تعالى ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون﴾[2]، ولا ريب فالمبديء معيدٌ، له الحكم وإليه ترجعون.

الإيمان بالحشر

وقد أجمع المِلِّيون[3] على كون الحشر والنَّشر، والسؤال والثواب والعقاب، وقالت بذلك الكتب

---

(١) طه، آية (٥٥).

(٢) المؤمنون، آية (١١٥).

(٣) بكسر الميم واللام المشددة: أهل الملل كلها.

السّماوية، ولم يتخلَّف عن القول بذلك إلاَّ الطبيعيون، والدَّهْرِيُّون، وسَفَاسف أقوام سَفَهت آراؤهم، وزيّن لهم الشيطانُ أعمالهم. ولا بدعَ فالبرهان ظاهرٌ للعيان، والشأن غنيّ عن التبيان.

وأهل الحقِّ الذين يعرفون حكمَ الإبداع لا يجهلون حكم الإعادة، وفي هذا الاعتقاد السليم من المحافظة على حقوق الله وصيانةِ حقوق خلق الله والإيمان بما جاء من عند الله والخوف من الله والانتهاء عما نهى الله مالا يخفى على لبيب. وفي ذلك من النفع الخاصِّ والعامِّ مالا يحتاج إلى إطناب. والله الموفّق للصواب.

الشعبة الثالثة والستون

الوثوق بوعد الجنة والخلود فيها

الخير من الجنة

فكلُّ شيء لَطُف حساً؛ أو معنى، وطابت به الخواطر، وانشرحت له الصدور؛ كالماء اللذيذ، والنور، والطيب، والجمال، والخير كله من الجنة، فهي دارُ أَمْنٍ، وأُنس، وحسن، وجمال، وهي نورانيَّةٌ لطيفة تَسرُّ الناظرين، وتُقِرُّ أعين الرائين.

الشر من النار

كما أن الوحشة والضَّنك، والخُبْث، والنار، وكلُّ شرٍّ من جهنم، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «اَلْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّم»[1]. . . الحديث، وقال عليه

---

(١) أخرجه البخاري: ٥٧٢٥؛ عن عائشة رضي الله عنها، بزيادة: فأبردوها بالماء. وأخرجه كذلك مسلم: ٢٢١٠، وابن ماجه: ٣٤٧١، والترمذي: ٢٠٧٤، ومالك: ٢/ ٩٤٥، وابن أبي شيبة: ٥/ ٤٥٨. =

الصلاة والسلام: «نَارُكُمْ هٰذِهِ الَّتِيْ تُوْقِدُونَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِيْنَ جُزْءاً مِنْ نَارِ جَهَنَّم»[1].

= وأخرجه أحمد: ٢/ ٤٧١٩؛ عن ابن عمر رضي الله عنهما، وأبو نعيم في «الحلية»: ٧/ ١٦١، وابن عدي في «الكامل»: ٥/ ١٦٨٠.

وأخرجه الحاكم في «المستدرك»: ٤/ ٤٠٣؛ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وأخرجه الدارمي: ٢٧٦٩؛ عن رافع بن خديج رضي الله عنه.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد»: ٢/ ٣٠٦؛ عن أبي ريحانة بلفظ: «الحمى من فيح جهنم، وهي نصيب المؤمن من النار»، وقال: رواه الطبراني في «الكبير».

وبالنسبة لكلمة «أبردوها» فهي في بعض الكتب المتقدمة بهمزة قطع مع كسر الراء، وفي بعضها الآخر بهمزة وصل مع ضم الراء.

(١) أخرجه الترمذي: ٢٥٨٩؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: «ناركم هذه التي تُوقِدون جزءٌ واحد من سبعين جزءاً من حر جهنم».... الحديث. وبنحوه البخاري: ٣٢٦٥، ومسلم: ٢٨٤٣، وأحمد: ٣/ ١٠٠٣٩، والدارمي: ٢٨٤٧، ومالك: ٢/ ٩٩٤.

وأخرجه ابن ماجه: ٤٣١٨، والحاكم ٤/ ٥٩٣ كلاهما؛ عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

عبرة العاقل

ولا يقع بصر العاقل على شيء إلاَّ وله فيه عبرةٌ تذكِّرُه بالجنة؛ أو بالنار، فإذا رأى المرء القصور، والبساتين، وأنواع الحدائق، والمياه الرائقة، والحرير، واللبن، والعسل، والماء، والخمر، والخدم، والحشم، والجواري، والولدان، واللباس الحسن، والفواكه، وكلَّ لذيذ طيب؛ ومشهدٍ حسن تذكَّر الجنة، وما فيها من نعم الله الفيّاضة.

وإذا رأى ما في الدنيا من كَدَر، وسَقَم، وهمٍّ، وغمٍّ، ووحشة، وظلمة، ونار لهّابة، وحرٍّ، وسموم، وزمهرير، وعقارب، وحَيَّات، وقيود، وأغلال، وسجون، وصديد، وزبانية، وعذاب؛ وجميع أنواع المكروهات والشرور تذكَّر جهنم وما فيها، فعَمِل بسائق العبرة العملَ الَّذي يقرِّبُه من الجنة؛ إن شاء الله، ويبعده عن النار، واعتقد إذ يوفَّق للعمل الصالح أنَّه من الذين سبقت لهم من الله الحسنى، والله يقول: (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِيْ بِي)[١].

---

(١) تقدم الكلام عليه ص١٩٦.

وليتدبر قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ ٱلجَنَّةِ فَٱرْتَعُوا، قيل: وما رياض الجنة؟؟ قال: «حِلَقُ الذِّكْرِ»[1]، ففي هذا الخبر الشريف دَلالة على بروز آثار الجنة في الدنيا لتنهضَ إليها بالأعمال الصالحة هممُ الموفَّقين. والله وليُّ المتقين.

* * *

(١) رواه الترمذي: ٣٥١٠، عن أنس رضي الله عنه، ورواه كذلك أحمد: ٤/ ١٢٥٢٥، وأبو نعيم في الحلية: ٦/ ٢٦٨، وابن عدي في الكامل: ٦/ ٢١٤٧، ونحوه عند الحاكم: ١/ ٤٩٤ من حديث جابر رضي الله عنه، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد: ١/ ١٢٦، عن ابن عباس رضي الله عنهما، بلفظ: «قالوا: يا رسول الله، وما رياض الجنة؟ قال: مجالس العلم»، وقال: رواه الطبراني في الكبير، وفيه رجل لم يُسَمَّ. اهـ.

الشعبة الرابعة والستون

الوثوق بوعد النار والخلود فيها ـ والعياذُ بالله ـ

سرّ الدارين

والنار: ضِدُّ الجنة.

فالدنيا مخلوقة من الجنة والنار، وفيها سرُّ الدارين ومعنى المنزلين، فهي مزرعة الآخرة؛ اشتملت على حالي الجنة والنار، وامتزج فيها المعنيَان الناتجان عن الدارين المذكورتين، فقد تَنَزَّل للدُّنيا أنواعُ الرحمة والخيرِ من الجنة، وصعد إليها أنواع الشرّ والقبح من النار، وفي الحديث الشريف: «إِنَّ ٱللهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي الدُّنْيَا: مَيِّزُوا مَا كَانَ لِيْ مِنْهَا، وَأَلْقُوا سَائِرَهَا فِي النَّارِ»[1].

فإذا ميَّز الله الخبيثَ من الطيِّب من كلِّ شيء في

---

(١) لم أجد هذا الخبر.

الدنيا هناك يُرجِع سبحانه وتعالى كلَّ شيء إلى أصله، فالطيِّب يعيده إلى الجنة، والخبيث إلى النار.

فكما أن الذكر، والتلاوة، والبرَّ، والخير، والخُلُق الحسن، والإيمان الصادق، والحال الصالح، ونفع الناس، وإرادة رَغَد العيش والبركة للمخلوقين تؤول إلى الجنَّة؛ فكذلك القبحُ، والخلق السيىء، وجميع المؤذِيَات، وأنواع الكفر، والجهل، والبخل، وإرادة السوء، والشرّ للناس، والمعاصي كلُّها تؤول إلى النار، وكلاهُما أقرب إلى المرء من شِسْع نعله، كذا جاء في الأخبار[1].

فإذا عرف المؤمن العاقلُ ما النار، وما الذي احتوت عليه ـ والعياذ بالله ـ من الأهوال والعذاب الأليم؛ يزعجه الخوف من الله، فيُقلِع عن الأعمال

---

(١) أخرج البخاري: ٦٤٨٨؛ عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك». وأحمد: ٢/ ٣٦٦٧، والبيهقي: ٣/ ٣٦٨، وأبو نعيم في «الحلية»: ٧/ ١٢٥.

التي تجرُّ إلى النار، ويخشى خشية الخائفين منه، المعرضين عن غيره، العائذين بسلطانه من سَخَطه وناره، فيصلح الأعمال ويحسن المنهاج والحال، وإلى الله المآل.



الشعبة الخامسة والستون

الإيمان بأشراط الساعة

وذلك من أعظم شُعَب الإيمان. روى عبد الملك ابن حبيب مرفوعاً؛ عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «سَيَكُونُ قَوْمٌ مِنْ هٰذِهِ الأُمَّةِ يُكَذِّبُونَ بِالرَّجْمِ، وَيُكَذِّبُونَ بِالدَّجّالِ، وَيُكَذِّبُونَ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ـ . . . الحديث ـ فَلَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ وَثَمُودَ»[1].

قال عبد الملك: مَن كذب شيئاً مما ذكر عمر في حديثه استتيب، فإن تاب وإلَّا! قتل[2].

والأحاديث الصحيحة المخبرة عن أشراط الساعة

---

(١) لم أجد هذا الخبر!!.

(٢) كفرا.

قد أجمعت الأمة على الإيمان بها، وإنما خصص الإيمان بالذي ذَكَره منها!! من أجل أنها منذرة بقيام الساعة وإتيان الآخرة، فالإيمان بها إيمانٌ بالآخرة.

أشراط الساعة

وأشراط الساعة كثيرة؛ منها: أن يكون زعيمُ القوم أرذلَهم، وأن يؤتمن الخائن، ويخوَّن الأمين، ويكرم الرجل لماله، ويخاف من الرجل لشرِّه، ويخذل الحقُّ؛ وينصر الباطل، ويكون غاية همِّ الرجل دنياه؛ ولا يعبأ بدينه، وتكثر الزلازل، والزوابع، وتكثر الدَّجَّالون، وتكثر الفتن، والهرج؛ وهو القتل، ويتطاول أخِسَّاءُ القوم بالبنيان، وتلد الأمة سيِّدَتها وتفتح القسطنطينية، وينادي منادي الحق؛ فلا يسمع، وينادي منادي الباطل؛ فيتبع، وتفسد أحوال الخلق وأخلاقهم.

آثار الساعة

وحيث إن الساعةَ كالحامل المثقِل، فإذا قَرُب أوان ولادتها ظهرت منها آثار الولادة، وكلما قَرُب إبَّانها برزت آثارها؛ ومن تلك الآثار التي هي من الأشراط خروجُ نارٍ بالحجاز تضيءُ لها أعناق الإبل ببصرى، وكنزٌ من ذهب تَحسُر عنه الفرات، ويقبَضُ العلم، ويرفع القرآن، ويتقارب الزمان ويخرج

الدجَّال، ويظهر المهدي، وينزل عيسى عليه السلام. . . وأمثال ذلك مما نُصّ عليه في الأخبار الشريفة، فيجب الإيمان بها مجملاً، فإن ذلك جاء في كتاب الله وأنبأتنا عنه سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والله لا يخلف الميعاد.



الشعبة السادسة والستون

الإيمان بما يتعلق بالقبر وأحواله

من عذاب، ونعيم، وسؤالِ منكر ونكير.

وجحودُ ذلك كفر، فقد أخبرت به الرسل، وذكره القرآن، ووقع عليه الإجماع، واتفق على ذلك أهل السنة والجماعة.

البرزخ

والبرزخ مكانٌ وزمانٌ وحالٌ:

فالمكان؛ فمن القبر إلى علّيين يعمره أرواح السعداء، ومن القبر إلى سجّين يعمره أرواحُ الأشقياء.

وأما **الزمن!** فمدَّة بقاء الخلق فيه؛ من أول مَن مات من الجن والإنس إلى يوم يبعثون.

وأما **الحال!** فإما منعَّم، أو معذَّب، أو محبوس حتى يتخلَّص بالسؤال من الملكين.

فدار البرزخ إذاً ما هي بدارِ بقاءٍ دائم، بل هي دارٌ لا بدَّ من الانتقال منها، ومن أجل ذلك كان نعيمُ الأرواح وعذابُها فيها، لأنها تشاهِدُ الآخرة بما فيها من عظيم الثواب وأليمِ العقاب، فيكون حينئذ الثوابُ والعذاب على حسب الحال، وإلى الله المصير.



الشعبة السابعة والستون

الإيمان ببعث الأرواح مع الأجساد

وخروجها من دار البرزخ إلى دار الخلود.

وجاحدُ ذلك يكفر ـ والعياذ بالله تعالى ـ ﴿وقال الذين كفروا أئذا كنا تراباً وآباؤنا أئنا لمخرجون﴾[1].

والسنة، والإجماع على ذلك.

البعث

والبعث؛ هو: إثارة الشيء وتحريكه، وإخراجه من موضع إلى آخر، ولما كانت دار البرزخ دار انتقال ورحلة؛ وكانت الآخرة هي دارَ البقاء والخلودِ السَّرمدي، ولذلك وجب انحلال الأجساد الدنيوية في دار البرزخ كي تنشأ نشوءاً أكبر وأفخم ممَّا هي عليه؛ فتعمر الدار العظمى التي هي دار البقاء الأبدي بأجساد عظيمة باقية، فتنحلُّ الأجساد، وتأكلها

---

(١) النمل، آية (٦٧).

الأرض في البرزخ، والقدرة تتصرّف بتركيبها وتطحن أجزاءَها حتَّى تعودَ كما كانت أوَّل مرَّة سوى أجساد الأنبياء التي لا تأكلها الأرض.

فكل خلق بواسطة الذكر والأنثى لا بدَّ أن يفنى؛ ويطرأَ عليه شيء من آثار البِلى.

إعادة الأجسام

فإذا أراد سبحانه إعادة الأجسام انجذبت كلُّ ذرة منها إلى أختها، ومتى اجتمعت قام هيكلها مركباً فتشرق عليه روحُه فيعود كما كان:

تحَكَّمَ سُلْطَانُهُ فِي ٱلوَرَى
فَأَحيَى الهَيَاكِلَ بَعْدَ البِلَى
رَأَى ٱلأَمْرَ يَلْزَمُهُ آخَرٌ
فَصَيَّرَ آخِرَهُ أَوَّلَا

❊ ❊ ❊

الشعبة الثامنة والستون

الإيمان بالصِّراط

ثبوت الصراط

فإجماع أهل السنة والشرائع انعقد عليه، ومَن لم يؤمن به فهو زنديق.

دلائله

ودلائله صريحة واضحة؛ فمنها طرق الأقدام في بسيط الأرض، فلا يمشي أحد، ولا يهتدي في سيره إلى غاية إلاَّ على طريق وسبيل، فقد مُدَّت السُّبُل في الأرض من مكان إلى مكان.

وكذلك الشوارع في البلدان من بيت إلى بيت آخر، فلا ينصرف أحدٌ حيث ينصرف إلاَّ على طريق وشارع يأخذ به إلى مقصوده.

وكذلك السُّفُن في البحار؛ إنما تجري بتقدير علامات الجبال والكواكب، وجري الماء وحركات الرياح، والأفلاكِ، والشمس، والقمر، الكُلُّ جارٍ

على طريق محدود، حتى الغذاء في الأجسام، فعلى طرق يجري، وما من شيء يسري ويجري إلاَّ على طريقٍ وسبيلٍ موصل له إلى غايته المقصودة.

والقناطر، والجسور المنصوبة في الأرجاء والأنحاء من الأرض على الأماكن الوعرة والأنهار. . **كلٌّ ذلك دالٌّ على صراط جهنم** المنصوب على متنها، والإيمان به لعظم شأنه، فإنَّه الممرُّ إلى دار السعادة الأبدية والشقاوة الأبدية، فهو أعظم الطرق عند الله، ومنه يصل كلٌّ إلى مستقرِّه.

وهذا الصراط لا يظهر في الدنيا للحواسّ، وإنما يظهر عنه للعقول معنى مشروع، وصراطٌ منصوب، وما كان مدركاً في الدنيا بالمعنى؛ يكون مدركاً في الآخرة بالحسّ. والله على كل شيء قدير.

الشعبة التاسعة والستون

الإيمان بالميزان

وأنه حقٌّ وعدل.

ثبوته

والإيمان به واجب بإجماع أهل السنة، قال تعالى ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة﴾[1]، وقال ﴿فأما مَن ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية﴾[2]، وفي الحديث: «كِفَّتَاهُ طِبَاقُ السَّمَاواتِ وَٱلأَرْضِ»[3].

---

(١) الأنبياء، آية (٤٧).

(٢) القارعة، آية (٦ـ٧).

(٣) لم أجده بهذا اللفظ، لكن يشهدُ له ما أخرجه الحاكم: ٤/ ٥٨٦؛ عن سلمان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السماوات والأرض لوسعت....» الحديث. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. =

عمومه ودلائله

والوزن عامٌّ في كلٍّ شيء، ودلائلُه في الوجود واضحةٌ كشمس النهار، فالموازين إنما وضعت لمعرفة مقادير الأشياء، فهي واسطة لتعريف مقاديرها.

حكمته

وقد جعل الله الميزان ليعرِف الخلق مقاديرَ أفعالهم وأحوالهم، ويبرز لهم المعاني بحكمِ الصور؛ لتقوم له الحجة عليهم أجمعين، تعزّزاً بسلطانه وتحقُّقاً بعدله، وهو لا يظلم مثقال ذرة، وإليه المصير.

= وقال السيوطي في «جمع الجوامع»: ١/٥٠٩: أخرج ابن مردويه في «تفسيره»؛ عن عائشة رضي الله عنها: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خلق الله كفتي الميزان مثل السماء والأرض». . . الحديث.

والشعبة السبعون

الإيمان بالحساب

حاله

أما الحساب! فوقوعه على حسب أحوال الخلق، وعلى ما أراده الله من الخِفَّة والتيسير لمن شاء، والمناقشة والشدَّة لمن شاء. قال الله عزَّ وجلَّ ﴿إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب﴾[1].

مجلى السؤال

والناس متفاوتون فيه؛

فالرسل عليهم الصلاة والسلام **يسألون** عن تبليغ الرسالة، قال تعالى ﴿يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم﴾[2].

---

(١) غافر، آية (٢٧).

(٢) المائدة، آية (١٠٩).

ويُسْأل الكافرون عن الإيمان والتوحيد وإجابة المرسلين، ولا يسألون عن الذنوب، قال تعالى ﴿ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾[1]. وذلك لأن السؤال يقع على الأصل، وهو الإيمان والتوحيد، فإذا لم يوجد لهم توحيد لم يسألوا عن سائر الذنوب.

ويُسْأل المؤمنون عن التوحيد، وعن متابعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن جميع الأعمال مما دقَّ وجلَّ، ولا يبقى أحدٌ إلاَّ وحوسب وسئل، فمن كان يؤمن بيوم الحساب؛ لا بدَّ وأن يزعجه خوف الله، فيكفَّ عن السيئات، ويكثر من الحسنات ويدّرع بالأعمال الصالحات. والله المعين.

* * *

---

(١) القصص، آية (٧٨).

الشعبة الحادية والسبعون

الإيمان بالشفاعة

حكمها

والإيمان بها واجبٌ بإجماع أهل السنة، قال الله تعالى ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾[1]، وهي للملائكة والأنبياء والصدِّيقين وأهلِ الجاه من الأولياء والصالحين على مقدار مراتبهم.

عمومها

والشفاعة عامَّة في الدنيا والآخرة والباطِن والظاهر؛

فشفاعة الملائكة هي استغفارهم للمؤمنين والمؤمنات، بدليل قوله سبحانه ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا﴾[2].

---

(١) البقرة، آية (٢٥٥).

(٢) غافر، آية (٧).

وشفاعة **الأنبياء** في الدنيا والآخرة، **وأجلُّهم** نبينا المصطفى ﷺ، إنما هي بإشراق أنوارهم التي أخرج الله بها مَن آمن من الظلمات إلى النور، ولا تزال شمس روحه ﷺ مشرقةً بإفاضة نور الله تعالى إلى من يتوسَّل به؛ ويلتجيء إلى الله بواسطته.

وكذلك **شفاعة الصالحين** من أمَّته فهي مستفاضة من إشراق نوره ومنبجسة عن سحاح فيوضاته، ونابعة من أصل متابعته والتمسُّك بسنته.

شمولها للدارين

ولا حَجْر على فضل الله تعالى، ولا دليل على قصرها على الآخرة؛ وهي جارية في الدنيا والآخرة، غير أنها لا تكون إلَّا بإذن الله سبحانه.

ودليل ذلك الآية الكريمة التي تقدم ذكرها وهي ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾.

ومن أين للمخلوقين القدرةُ على الشفاعة استقلالاً من دون إذن الله جلّت قدرته!!! فتعليقُ الشفاعة بالإذن دليلٌ صريح على وقوعها وقبولها. والحمد لله رب العالمين.

الشعبة الثانية والسبعون

الإيمان بحوض النبي ﷺ

وجَحْدُهُ مروقٌ[1] من الدين ـ والعياذ بالله ـ قال ﷺ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيْكُم ٱلثَّقَلَيْنِ كِتَابَ الله وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ ٱلحَوْضَ»[2]، وقال

---

(١) قال في «المصباح»: ومَرَق السهم من الرَّمِيَّة مُروقاً؛ من باب قعد: خرج منه من غير مدخله، ومنه قيل مرق من الدين مروقاً أيضاً: إذا خرج منه.

(٢) الحاكم في المستدرك: ٣/ ١٤٨، عن زيد بن أرقم رضي الله عنه، وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين؛ ولم يخرجاه.

ونحوه عند الدارمي: ٣٣١٦، والبيهقي: ٢/ ١٤٨، والطبراني في «الصغير»: ٣٦٤.

ورواه أحمد: ٤/ ١١١٠٤؛ عن أبي سعيد رضي الله عنه، وكذلك أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد»: ٩/ ١٦٣، وعزاه إلى الطبراني في «الأوسط».

عليه واله الصلاة والسلام: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى ٱلْحَوْضِ»[1]، وقال ـ أرواحنا له الفداء ـ [ﷺ]: «مِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي»[2]، وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله؛ ما آنيةُ الحوض؟. قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِه؛ لآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُوم السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ»[3]. . . الحديث.

وقد أعدَّه الله لمن اتبع دين محمد ﷺ وآمن به.

---

(١) أخرجه البخاري: ٦٥٧٥ وأحمد: ٢/ ٣٦٣٩؛ عن ابن مسعود.

ومسلم: ٢٢٨٩؛ عن جندب. وابن ماجه: ٤٣٠٦؛ عن أبي هريرة.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد»: ١٠/ ٣٦٥؛ عن جابر، وقال: رواه البزار.

(٢) أخرجه البخاري: ٦٥٨٨؛ عن أبي هريرة، ومسلم: ١٣٩١، ومالك: ١/ ١٩٧، وأحمد: ٣/ ١٠٨٣٩، والبيهقي: ٥/ ٢٤٦.

(٣) أخرجه مسلم؛ ٢٣٠٠، والترمذي: ٢٤٤٥، وأحمد: ٨/ ٢١٣٨٥؛ عن أبي ذر، ونحوه عند ابن ماجه: ٤٣٠٢؛ من حديث حذيفة رضي الله عنه.

ومن شعب الإيمان التي مرّ ذكرها والتي ستليها يعلم العاقل حكمة هذا الدين، وما بُني عليه من الأسرار الشريفة والمقاصد النيرة اللطيفة والخير العام لكلِّ الأنام، وعلى أهل القلوب السليمة والعقول الطاهرة السلام.

الشعبة الثالثة والسبعون

الإيمان بالنظر إلى وجه الله الكريم

ثبوت رؤية الله تعالى

مَنَّ الله علينا بذلك، نطق بذكره، وأخبرنا به نبينا حبيب الرحمان صلى الله عليه وآله وسلم، فوجب الإيمان به، ولا ينكره سوى أهل الزيغ المارقين، قال الله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾[1]، وقال النبي ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عَياناً كَمَا تَرَوْنَ هٰذَا ٱلقَمَرَ»[2]... الحديث.

---

(١) القيامة، آية (٢٢-٢٣).

(٢) أخرج البخاري: ٥٥٤؛ عن جرير رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة - يعني البدر - فقال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته»... الحديث.

وأخرجه مسلم: ٦٣٣، وأبو داود: ٤٧٢٩، وابن ماجه: ١٧٧، وأحمد: ٧/ ١٩٢١١، والبيهقي: ١/ ٣٥٩،=

حجب رؤية الدنيا

وقد حُجبت الأبصار عن رؤيته سبحانه وتعالى في هذه الدار الفانية لضعفها وانغماسها برؤية الأغيار، ولا بِدْع؛ فعينٌ شغَلَها النظر إلى الأغيار يجب أن لا ترى العزيز الجبَّار، وقد مدح الله تعالى حبيبه صلى الله عليه وآله وسلم فقال سبحانه ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾[1].

ولما كانت الدار الأخيرةُ دارَ الحقيقة التي لا تشاب بها المجازات والأوهام، وقد يتجلّى الله فيها على المقبولين عنده من المؤمنين ـ جعلنا الله منهم ـ بتجلِّي الرضا؛ فتكون أبصارهم منكفّة عن غير جماله، مجذوبة بالشوق والتّوق والوَلَه إلى رؤيته، فهناك يُحسن إليهم بالنظر إلى وجهه الكريم، وهذه أعزُّ المراتب وأشرفها وأعلاها وألطفها. و«مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ»[2].

= ونحوه عند الترمذي: ٢٥٥٤؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) النجم، آية (١٧).

(٢) لفظ نبوي أخرجه البخاري: ٦٥٠٧؛ عن عبادة بن الصامت، مرفوعاً، ومسلم: ٢٦٨٣، والترمذي: =

اللهم متِّعنا بالنظر إلى وجهك الكريم، وحقِّقنا بالاتباع لنبيك صاحب الخلق العظيم [ﷺ] يا وليّ التوَّابين؛ يا أرحم الراحمين.

* * *

= ١٠٦٦، والنسائي: ١٨٣٦، والدارمي: ٢٧٥٦، وابن حبان: ٥/ ٦، وأبو يعلى: ٦/ ٣٢٣٥.

وأخرجه ابن ماجه: ٤٢٦٤؛ عن عائشة، وأحمد: ٣/ ٩٤٤٤؛ عن أبي هريرة، والبزار: ٧٨٠؛ عن أنس، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢/ ٣٢١؛ عن معاوية، وقال: رواه الطبراني في «الكبير» وإسناده حسن.

الشعبة الرابعة والسبعون

وجوب التباعد عن الظلم والظالمين

قال الله سبحانه ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾[1].

ما يوجب نزع الإيمان

وسئل الإمام الجنيد رضي الله عنه: هل من ذنب يوجب نزع الإيمان؟ قال: ثلاثة؛ ترك الشكر، والجرأة على الله، والظلمُ للخلق.

وفي الآثار: «دَعْوَةُ ٱلمَظْلُومِ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ»[2].

---

(١) إبراهيم، آية (٤٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد: ٤/ ١٢٥٥١؛ عن أنس يرفعه: «اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً فإنه ليس دونها حجاب»، وأورد الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠/ ١٥٢؛ عن ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه: «دعوتان ليس =

وقال سفيان الثوري رضي الله عنه: لو لقيتَ الله فيما بينك وبينه كلَّ يوم بسبعين ذنباً أهونُ من أن تلقاه بذنب واحد بينك وبين الناس، وقال تعالى ﴿وما للظالمين من أنصار﴾[1].

تعريف الظلم

والظلم: ضدُّ العدل؛ وهو: وضع الأشياء في غير موضعها. وفي الحديث القدسي: يقول الله تعالى إذا قال المظلوم يا رب: (إن لم أحكم بينك وبين ظالمك فأنا الظالم)[2].

وفي الآثار الشريفة: «لَيْسَ بَيْنَ دَعْوَةِ ٱلْمَظْلُوم وَبَيْنَ اللهِ تَعَالَى حِجَابٌ، فَإِذَا قَالَ ٱلعَبْدُ: يَا اَللهُ؛ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى بِعَظَمَتِه وَكِبْرِيَائِهِ (لَبَّيْكَ يَا عَبْدِيْ، أَنَا مُعِيْنُكَ عَلَى مَنْ ظَلَمَكَ)»[3].

= بينهما وبين الله حجاب: دعوة المظلوم ودعوة المرء لأخيه بظهر الغيب». وقال الهيثمي: رواه الطبراني، وفيه عبد الرحمان بن أبي بكر المليكي؛ وهو ضعيف.

(١) البقرة، آية (٢٧٠).

(٢) لم أجد هذا الحديث.

(٣) يشهد لهذا الأثر ما أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد»: =

مانع الظلم

فمن كان مؤمناً بالله مصدِّقاً بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم موقِناً بالرجوع إلى الله لا يقدِرُ أن يظلم أحداً؛ ولو بمثقال ذرَّة، كبر؛ أو صغر.

ومتى اتصف المؤمن بالعدل صار نفعاً عامّاً للخلق، وكان في أمان الله، وحسبنا الله.

* * *

= ١٠/ ١٥٢؛ عن خزيمة بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم فإنها تحمل على الغمام، يقول الله عز وجل: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين». وقال الهيثمي: رواه الطبراني، وفيه مَن لم أعرفه.

الشعبة الخامسة والسبعون

الطاعة لإمام المسلمين

نصره الملك المعين.

فالإمامة من الدين، وفيها معنى التوحيد الذي هو الاجتماع، والاجتماع معناه الاتحاد والافتراق كثرة، والتوحيدُ هو الإيمان.

وقد أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بطاعة الأمير، ففي طاعته طاعة الرسول، وطاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم طاعةُ الله عز وجل[1].

---

(١) يشهد لهذا ما أخرجه البخاري: ٧١٣٧: عن أبي هريرة يرفعه: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني». وأخرجه مسلم: ١٨٣٥، والنسائي: ٤١٩٣، وأحمد: ٣/ ٧٦٦٠.

الخارجون عن الطاعة

وفي «الصحيح»؛ عن أمير المؤمنين عليّ كرّم الله وجهه ورضي عنه، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَأُونَ ٱلْقُرْآنَ، لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ، يَقْرَأُونَ ٱلْقُرْآنَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ؛ وهُوَ عَلَيْهِمْ، لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَهُم، يَمْرُقُونَ من ٱلإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ. لَوْ يَعْلَمُ ٱلجَيْشُ ٱلَّذِيْنَ يُصِيبُونَهُمْ مَا قُضِيَ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ [ﷺ] لَاتَّكَلُوا عَلَى ٱلعَمَلِ»[1].

تسميتهم

وإنما خرجوا من الدين وسُمُّوا خوارج!! لخروجهم عن طاعة الأمير، فإن طاعة الأمير واجبة.

إنكار الإمامة

قال سهل بن عبد الله: من لا يرى للسلطان في زمانه فهو زنديق.

---

(١) أخرجه مسلم: ١٠٦٦، وأبو داود: ٤٧٦٨، ونحوه عند البخاري بلفظ آخر: ٥٠٥٨؛ عن أبي سعيد الخدري، وكذلك عند أحمد: ٤/ ١١٥٧٩، ومالك: ١/ ٢٠٤.

وقال الشكوري في «التمهيد»: الذي يرى بطلان الإمامة يكفر.

وفي الخبر: «اَلسُّلْطَانُ ظِلُّ ٱللهِ فِي ٱلْأَرْضِ، فَمَنْ غَشَّهُ ضَلَّ، وَمَن نَصَحَهُ ٱهْتَدَى»[1]، وفي كتاب الله تعالى ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾[2].

افتراض الطاعة

وقد افترض الشرع طاعة الإمام إلَّا في معصية الله تعالى، وقال سهل: يَزِعُ الله بالسلطان ما لم يزع بالقرآن.

وحيث إن وجود الإمام من أجلّ أسباب انتظام أمر العالَم فوجوب طاعته محتَّمٌ، والخروج عن طاعته معصية عظيمة، وفي الخبر: «مَنْ أَتَاكُمْ؛ وَأَمْرُكُمْ جَمِيْعٌ عَلَى رَجُلٍ يُرِيْدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ؛

---

(١) أخرجه البيهقي في «الشُّعب»: ٦/ ١٨، وقال عنه البيهقي: هكذا جاء موقوفاً على أنس، وقد قيل: عن قتادة. اهـ. وهو في «كنز العمال»: ٦/ ١٤٥٨٣.

(٢) النساء، آية (٥٩).

فَٱقْتُلُوهُ»[1]. وفي هذا الخبر المبارك مِن لزوم طاعة إمام المسلمين نصره الله ما فيه بلاغ.

* * *

(1) أخرجه مسلم: ١٨٥٢؛ عن عَرْفَجة يرفعه إلى النبي ﷺ، ولفظه بتمامه: «من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه».

الشعبة السادسة والسبعون

المروءة

وهي - كما في الخبر - «من الإيمان»

معنى المروءة

ومعناها الترفُّع عن كل دنيئة من سفاسف الأخلاق.

وفي الخبر: «لَا دِيْنَ لِمَنْ لَا مُرُوءَةَ لَهُ»[1].
وبرواية سيدنا علي رضوان الله وسلامُه عليه: إنَّ أولى الناس بالمروءة مَن له بنوَّةُ النبوَّة. ومن كلام الأمير الكرار المشار إليه رضوان الله وبركاته عليه: المروءة أن يحتمل المرء مالا يحتمل.

---

(١) أخرج البيهقي في «الشُّعب»: ٧/ ٤٤١؛ من كلام الحسن البصري رحمه الله: «لا دين إلا بالمروءة». أما لفظ المصنف فلم أجده.

وقد قلت:

خُـذْ بِـٱلمُـرُوءَةِ إِنَّهَـا لَمَـزِيَّـةٌ
مَمْـدُوحَـةٌ مَعْمُـورَةُ ٱلأَرْكَـانِ

هِيَ سُلَّمُ ٱلمَجْدِ ٱلَّذِي لاَ يُرْتَقَى
وَوَسِيْلَـةُ السُّـلاَّكِ لِلـرَّحمـان

وَلَقَدْ أَتَى يُرْوَى بِنَصٍّ صَادِقٍ
إِنَّ ٱلمُـروءَةَ دَعْمَـةُ ٱلإِيْمَـانِ

ولا بدع؛ فالمروءة تمنع صاحبها عن كلِّ وصف دنيٍّ، وتُعليه إلى كل وصف سَنيٍّ، ومن انحطّ عن المروءة لا شكَّ أنه ينحطُّ عن معالي الأخلاق، وفي الخبر: «إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ ٱلأُمُورِ وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا»[1]. وبهذا كفاية.

---

(١) أخرجه البيهقي في «الشُّعب»: ٦/ ٢٤١؛ عن سهل بن سعد يرفعه، وأخرجه القضاعي في «مسند» الشهاب: ٢/ ١٥٠؛ عن الحسين بن علي، وكذلك ابن عدي في «الكامل»: ٣/ ٨٧٩. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد»: ٨/ ١٨٨، وقال فيه: رواه الطبراني، وفيه خالد بن إلياس (ضعيف) وبقية رجاله ثقات. ولفظ =

الشعبة السابعة والسبعون

إماطة الأذى عن الطريق

وقد تقدَّم في صدر هذه الرسالة قولُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «اَلإِيْمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَفْضَلُهَا قَوْلُ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ ٱلْأَذَى عَنِ الطَّرِيْقِ».

معنى الإماطة

وقد يفهم البعض أن إماطة الأذى عن الطريق هو عبارةٌ عن إزالة شوكة وحجر ونجاسة... ومثل ذلك، **والحال** أنَّ إماطة الأذى يشمل أموراً كثيرة منها:

أن تكون الطرق فجاجاً وسيعة؛ وسبُلها ممتدة من بلدة إلى أخرى، أمينة المسالك؛ لا يخشى

= الحديث عند الطبراني والقضاعي وابن عدي: «إن الله يحبُّ معالي الأمور وأشرافها»....

طارقها أذى، لا من الفَسَدة قُطَّاع الطريق، ولا من أهل البغي الذين يؤذون الناس، مع تمهيد أسباب السهولة للذاهبين والآتين فلا يؤذي طارق الطريق بحال من الأحوال.

حِكَمها

وفي هذه الشُّعبة المباركة حِكَمٌ جليلة من شرائف حكم الشرع المحمَّدي يعرفها العارفون، اكتفينا بالإشارة إليها بهذه الجُمَل الوجيزة انحيازاً عن الإطالة. وكفى بالله ولياً.

* * *

الخاتمة

ثمرة التحلي بشعب الإيمان

فالمؤمن الكامل إذا تحلَّى بشُعَب الإيمان التي مرَّ ذكرها يكون طاهرَ العقيدة، مباركَ السريرة، عادلاً صالحاً أميناً، حَسَن الخلق؛ جيد الحال، صادق المقال، لا يحسد، ولا يحقد، ولا يكسل، ولا يكون بطالاً، ولا يقدِّم مصلحة نفسه على مصلحة الأمة، ولا يؤذي أحداً من الخلق.

ويكون نفعاً عامّاً، وصولاً للرحم، متيناً في طَوره، متحققاً بدينه، ناصراً لكتاب الله؛ محبّاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولياً لأولياء الله، عدواً لأعداء الله؛ يوالي من وَالى الله؛ ويحادّ من حادّ الله.

ويقف عند حدود الله، وينتصر بالله، ولا يعوّل في أعماله وأقواله وأحواله؛ إلَّا على الله.

يعمل بالأسباب؛ ويتّكِلُ بقلبه على ربّ الأرباب.

ويصون لسانه عن الكذب؛ وجميعَ جوارحه من السوء والفحشاء.

ويكون نظيف البدن والثوب؛ طاهراً حسّاً ومعنى، مطيعاً لأولي الأمر، متابعاً للجماعة، معيناً على البر والتقوى، آمراً بالمعروف؛ ناهياً عن المنكر، مقيماً للحدود، منفقاً للمال في مرضاة الله.

قانعاً مجاهداً، مؤدِّياً للأمانات، بعيداً عن الخيانة، إذا اقترض لا يزال مصمماً على الوفاء حتى يمتنّ الله عليه بقضاء دينه.

يردُّ السَّلاَم، ويشمِّتُ العاطس، ويعفو عمّن ظلمه، ويُحسِن إلى من أساء إليه.

يؤتي الزكاة ويتصدَّق في الله، وإن وجد إلى البيت الحرام سبيلاً حجّ، وإذا حجّ لا يخطيءُ زيارةَ قبر نبيه ﷺ الذي أخرجه الله به من الظلمات إلى النور.

ويكون كثير الحياء ساتراً للعورة، موفِّياً بالنذر، مؤدّياً للكفَّارة، كثيرَ البشر والجود، قائماً بأركان الإسلام الخمس، مخالفاً فيما لا يرضي اللهَ للنفس، إذا شهد يشهدُ بالحق.

يذبح الضحايا، ويجتنب الدنايا، ويصدُق الوعد، ولا ينقض العهد، ويفرّ بدينه، ولا يجعل الخَلْق هدفاً لأغراضه؛ ولا محلاً لأطماعه وشهواته.

يتحرّى في الأَيْمان، ويفكُّ ـ إن أمكنه ـ الرِّقاب، ويجتنب الهوى.

ويكرم الأصدقاء والجيران، ويتعفَّف بالنكاح، ويقوم بحقوق العيال، ويبرّ الوالدين، ويحسن تربيةَ أولاده وأهله ومَن يعول.

ويحب في الله؛ ويبغض في الله، ويتَّجرُ ويسعى لتزييد أمواله بالطرق المرضية الشرعية، فلا يُدخل عليه غيرَ الحلال من المال.

ويُخلِص في أعماله، ولا يكون ذا يأس؛ ولا قنوط.

ويكون مؤمناً بالقَدَر خيره وشرِّه من الله؛ مؤمناً باليوم الآخر، وعذاب القبر، ونعيمه، والحساب، والميزان، والجنة والنار؛ متحققاً بالإيمان بالله تعالى، وبكتبه، وملائكته، ورسله.

شكوراً، وفيّاً، صبوراً، متواضعاً، راضياً بقضاء الله، مثنياً على الله غيرَ مقيَّد القلب بمحبَّة الدنيا، تاركاً للعُجْبِ، والكبر، والغضب، والغِشِّ.

يعمل لنفسه عملَ من يرقب الموت كلَّ لحظة؛ ولمصلحة الأمة عَمَل مَن يجزم أنه لا يموت،

يعدّ لأعداء الله؛ وأعداء الحق ما يستطيع من قوة في البرّ والبحر من كل ما يقتضيه الحال ويصلحه الإمكان.

غيوراً لله وللدين، رؤوفاً بالمسلمين، نفعاً لجميع المخلوقين، ناصحاً لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامَّتهم.

موحِّداً، تالياً كتابَ الله آناء الليل وأطرافَ النهار، ذاكراً خاشعاً، متهجداً برّاً، عالماً؛ أو معلماً؛ أو مستمعاً.

صحيح اليقين، غير بطّال، كثير الأعمال التي تُصلِح الأحوال.

فعَّالاً غير قَوَّال، مستقيماً، ثابتاً في طوره، غيرَ فحَّاش؛ ولا طيّاش.

معظّماً للعلماء، حافظاً لمقادير الأولياء، مكرماً للصلحاء، مبجِّلاً لذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم، محباً لهم، يقدِّمُهم على ذوي قرابته؛ إجلالاً لنبيه عليه وآله أفضل الصلاة وأتم السلام، مُجِلاً للصحابة الكرام أجمعين، يكفّ عما شجر بينهم، ولا يخوض مع الخائضين، لا يغفَل عن ذكر الله، ولا يتوكَّل على غير الله، يقول بكرامات أولياء الله الأحياء منهم؛ والأموات.

ويعتقد أن الحسناتِ يذهبن السيئات، إذا أساء تذكَّر، وإذا أذنب استغفر، يدور مع الحق حيث دار، لا يقاتل للعصبية، ولا يبغض للعصبية، عنده القريب والغريب في الله سواء.

والذي يكون دينه هذا، فهل يكون إلاَّ على الحق، ودينُه الدينُ الأحقُّ، ومنهاجه النفع المطلق!!! بلى والله؛ فالأمر كذلك، وبمثل هذا تعمرُ الأوطان، ويصلح الشان، وينتفع نوع الإنسان ولا يجيء منه لكل ذرَّة كونية إلاَّ الخير.

وإذا قصر الرجل فلم يشتمل على الشُّعب التي

هي عماد دينه ودعائم إيمانه! فالطعن يرجع إليه، والمؤاخذة تحمَلُ عليه. والدين المبارك مصونٌ في الأول والآخر، والباطن والظاهر.

جعلنا الله مِن أخلصِ المتمسِّكين بأحكام هذا الدين المبين المؤيَّدين باتباع النبي الأمين عليه صلوات الملك المعين وعلى إخوانه النبيين والمرسلين، وآل كلٍّ وصحب كلٍّ أجمعين.

والحمد لله رب العالمين

* * *

الفهارس

فهرس الآيات الكريمة
فهرس الأحاديث الشريفة
فهرس الآثار والأقوال
فهرس الأشعار
فهرس الأعلام
فهرس البقاع
فهرس الموضوعات

فهرس الايات الكريمة الواردة
في هذا الكتاب (حسب ترتيب السور)

الآية	رقم الآية	الصحيفة
البقرة		
﴿أتأمرون الناسَ بالبرِّ وتنسونَ..﴾	٤٤	٨٧
﴿.. إنّ اللهَ مع الصابرين﴾	١٥٣	١٧٤
﴿.. إنّا لله وإنّا إليه راجعون﴾	١٥٦	٥٧
﴿فاذكروني أذكركم...﴾	١٥٢	٢٢٩
﴿.. فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله..﴾	٢٥٦	٢٣٥
﴿.. مَن ذا الذي يشفع عنده إلا..﴾	٢٥٥	٢٦٤ ـ ٢٦٥
﴿وأقيموا الصَّلَوٰةَ وءاتُواْ الزَّكَوٰةَ..﴾	٤٣	٥٤
﴿.. وما للظالمينَ من أنْصار﴾	٢٧٠	٩٤ ـ ٢٧٣
﴿.. وما يذّكّر إلا أولوا الألباب﴾	٢٦٩	٤١
﴿.. يحبونهم كحُبّ الله..﴾	١٦٥	١٨٩
* * *		
ال عمران		
﴿قل إن كنتم تحبّونَ اللهَ فاتبعوني..﴾	٣١	٢٣٠
﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً..﴾	١٠٣	٧٦
﴿... وما للظالمين من أنصار﴾	١٩٢	٩٤
* * *		
النّساء		
﴿أطيعوا اللهَ وأطيعوا الرسول..﴾	٥٩	٢٧٧
﴿أم يحسدون الناسَ على ما ءاتاهم....﴾	٥٤	٢٧٧
﴿.. إنّ اللهَ كان عليكم رقيباً﴾	١	٢٢١
﴿إنّ اللهَ لا يغفر أن يشرَكَ به..﴾	٤٨	١٦٢

الآية	رقم الآية	الصحيفة
﴿.. قالوا ألم تكن أرض الله واسعةً..﴾	٩٧	٧٠
﴿.. وخُلق الإنسان ضعيفاً﴾	٢٨	٢٣٧
﴿.. ولا تكن للخائنين خصيماً﴾	١٠٥	٩٨
﴿يا أيها الناس اتقوا ربّكم..﴾	١	١١٦

* * *

المائدة

الآية	رقم الآية	الصحيفة
﴿.. واتقوا اللهَ إن كنتم مؤمنين﴾	٥٧	١٢٩
﴿.. وتعاونوا على البرّ والتقوى..﴾	٢	٧٩ ـ ٨٧
﴿يوم يجمعُ اللهُ الرّسُلَ..﴾	١٠٩	٢٦٢

* * *

الأنعام

الآية	رقم الآية	الصحيفة
﴿أولئك الذين هَدَىٰ اللهُ...﴾	٩٠	٢٠١
﴿.. قل اللهُ ثم ذَرْهم في خوضهم...﴾	٩١	٣٢ ـ ٢٢٩
﴿لا تدركُهُ الأبصارُ..﴾	١٠٣	١٤٣

* * *

الأعراف

الآية	رقم الآية	الصحيفة
﴿.. إنّي لكما لَمن النّاصحين﴾	٢١	٢٢٥

* * *

الأنفال

الآية	رقم الآية	الصحيفة
﴿.. حتىٰ لا تكونَ فتنةٌ..﴾	٣٩	٦٤
﴿وأعدّوا لهم ما استطعتم..﴾	٦٠	٦٥
﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا اللهَ..﴾	٢٧	٩٧

* * *

التوبة

الآية	رقم الآية	الصحيفة
﴿.. فَيُحلّوا ما حرّم اللهُ..﴾	٣٧	١٦٣
﴿.. وكونوا مع الصادقين﴾	١١٩	١٠٠

الآية	رقم الآية	الصحيفة
﴿.. ويوم حُنينٍ إذ أعجبتكم كثرتُكم..﴾	٢٥	٦٦

* * *

يوسُف

الآية	رقم الآية	الصحيفة
﴿.. ولا تَيأسوا من رَوْحِ الله..﴾	٨٧	٢٢٣

* * *

إبراهيم

الآية	رقم الآية	الصحيفة
﴿.. إنّ في ذٰلك لآياتٍ لكل صبّارٍ شكور﴾	٥	١٧٧
﴿.. لئِن شكرتُم لأزيدنّكم..﴾	٧	١٨١
﴿ولا تحسبّن اللهَ غافلاً عمّا..﴾	٤٢	٢٧٢

* * *

النحل

الآية	رقم الآية	الصحيفة
﴿واصبرْ وما صبْرُك إلا بالله..﴾	١٢٧	١٧٤

* * *

الكهف

الآية	رقم الآية	الصحيفة
﴿.. فمَن كان يرجو لقاءَ ربّه..﴾	١١٠	١٩٦
﴿واصبرْ نفسَك مع الذين يَدعُون..﴾	٢٨	١٧٥

* * *

مريم

الآية	رقم الآية	الصحيفة
﴿ثمّ ننجّي الذين اتَّقوا..﴾	٧٢	١٢٩

* * *

طٰه

الآية	رقم الآية	الصحيفة
﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم..﴾	٥٥	٢٤٢

* * *

الآية	رقم الآية	الصحيفة
الأنبياء		
﴿ونضع الموازينَ القِسطَ..﴾	٤٧	٢٦٠
* * *		
الحجّ		
﴿الذينَ إنْ مكّنّاهم في الأرضِ..﴾	٤١	٨٩
﴿.وما جعلَ عليكم في الدين مِنْ حرج.﴾	٧٨	٧٧
* * *		
المؤمنون		
﴿أفحسبتم أنّما خلقكناكم عَبَثاً..﴾	١١٥	٢٤٢
* * *		
النور		
﴿.. فلْيحذر الذين يخالفونَ عن أمره..﴾	٦٣	٩٥
* * *		
الفرقان		
﴿وعبادُ الرحمٰن الذين يمشون...﴾	٦٣	٢٦ ـ ٢٣٩
* * *		
الشعراء		
﴿واجعلْ لي لسانَ صِدقٍ..﴾	٨٤	١٠١
﴿وسيعلم الذين ظلَموا..﴾	٢٢٧	١٣٧
* * *		
النّمل		
﴿وقال الذين كفروا أئِذا كُنّا...﴾	٦٧	٢٥٦
* * *		

الآية	رقم الآية	الصحيفة
القَصص		
﴿.. لَهُ الحُكْم وإليه تُرجعون﴾	٨٨	١٤٧
﴿.. ولا يُسْألُ عن ذنوبهم المجرمون﴾	٧٨	٢٦٣
* * *		
لقمان		
﴿.. إنّ الشّرْكَ لَظُلْمٌ عظيم﴾	١٣	٩١
﴿.. أنْ اشكرْ لي ولوالدَيك..﴾	١٤	١٨١
* * *		
الأحزاب		
﴿لقد كان لكم في رسول الله أُسوةٌ..﴾	٢١	٢٦
﴿والذين يؤذونَ المؤمنين..﴾	٥٨	٢٢٧
* * *		
سبأ		
﴿.. وقليل من عباديَ الشَّكور﴾	١٣	١٨١
* * *		
الزّمر		
﴿.. أليسَ في جهنّم مثوىً للمكتبّرين﴾	٦٠	٢٣٨
﴿اللهُ خالقُ كلِّ شيءٍ..﴾	٦٢	١٤٢ ـ ١٤٣
﴿.. إنّما يُوفّى الصابرون أجرَهم..﴾	١٠	١٧٥
﴿.. لا تقنطوا مِن رحمةِ الله..﴾	٥٣	٢٢٣
* * *		
غافر		
﴿الذين يَحملون العرشَ..﴾	٧	٢٦٤

الآية	رقم الآية	الصحيفة
﴿.. إنّي عُذتُ بربّي وربكم..﴾	٢٧	٢٦٢

* * *

فصّلت

الآية	رقم الآية	الصحيفة
﴿إنّ الذين قالوا ربُّنا اللهُ..﴾	٣٠	٧٣
﴿وما يُلقّاها إلا الذين صبروا..﴾	٣٥	٦٣

* * *

الشورى

الآية	رقم الآية	الصحيفة
﴿... ألا إلىٰ اللهِ...﴾	٥٣	١٩٢ ـ ١٩٨
﴿.. ليس كمِثلهِ شيءٌ.﴾	١١	١٤١

* * *

الحجرات

الآية	رقم الآية	الصحيفة
﴿.. إنّ أكرَمكُم عند الله أتقاكم..﴾	١٣	١٣٠
﴿إنّما المؤمنون إخوة..﴾	١٠	١١٥
﴿..لا ترفعوا أصواتَكم فوقَ..﴾	٢	٩١
﴿.. ولٰكنّ اللهَ حَبَّبَ إليكم الإيمانَ..﴾	٧	٢٣٥

* * *

الذاريات

الآية	رقم الآية	الصحيفة
﴿وفي أنفُسِكُم أفلا تبصرون﴾	٢١	٤٠

* * *

الطور

الآية	رقم الآية	الصحيفة
﴿واصبرْ لحُكم ربّك فإنك بأعيننا..﴾	٤٨	١٧٤

* * *

النجم

الآية	رقم الآية	الصحيفة
﴿ما زاغَ البصرُ وما طغى﴾	١٧	٢٧٠

الآية	رقم الآية	الصحيفة
﴿وما ينطق عن الهوى * إنْ هو إلا..﴾	٣ ـ ٤	٤١

* * *

الرحمٰن

الآية	رقم الآية	الصحيفة
﴿كلُّ مَنْ عليها فان * ويبقىٰ وَجْهُ..﴾	٢٦ ـ ٢٧	١٤١

* * *

الحديد

الآية	رقم الآية	الصحيفة
﴿هو الأولُ..﴾	٣	١٤١
﴿..واللهُ لا يحبُّ كلَّ مختال فخور﴾	٢٣	٢٣٩
﴿.. وما الحياةُ الدنيا إلا متاعُ الغرور﴾	٢٠	١٨٥
﴿.. وهو معكم أينما كنتم..﴾	٤	١٤٣

* * *

المجادلة

الآية	رقم الآية	الصحيفة
﴿لا تجدُ قوماً..﴾	٢٢	٢٠٣

* * *

الحشر

الآية	رقم الآية	الصحيفة
﴿.. وما آتاكم الرسولُ فخذوه..﴾	٧	٤١ ـ ٧٦

* * *

الممتحنة

الآية	رقم الآية	الصحيفة
﴿يا أيها الذينَ آمنوا لا تتخذوا عدوّي..﴾	١	٢٠٣

* * *

القلم

الآية	رقم الآية	الصحيفة
﴿وإنّك لعلىٰ خُلُقٍ عظيم﴾	٤	٢٦ ـ ٢١٧

* * *

الآية	رقم الآية	الصحيفة
الجنّ		
﴿وألّو استقاموا على الطريقة..﴾	١٦	٧٣
* * *		
القيامة		
﴿وجوهٌ يومئذٍ ناضرةٌ * إلى...﴾	٢٢ ـ ٢٣	٢٢٩
* * *		
النازعات		
﴿وأمّا مَنْ خافَ مقامَ ربّه..﴾	٤٠	١٩٥
* * *		
القارعة		
﴿فأمّا مَنْ ثقلتْ موازينُه * فهو..﴾	٦ ـ ٧	٢٦٠
* * *		
الإخلاص		
﴿قل هو اللهُ أحد * ....﴾	السّورة كلُّها	١٤٣

* * *

فهرس أطراف الأحاديث

طرف الحديث	الصحيفة
أحب البقاع إلى الله المساجد	٢٠٠
أحبوا الله لما يغذوكم به	٢٠٠
أحسنهم خلقاً	٢١٦
اختلاف أمتي رحمة	٧٧
أدّبني ربّي فأحسنَ تأديبي	٢٦ ـ ٢٧
ادرأوا الحدود بالشبهات	٩٤
إذا اؤتمن خان	٩٨
إذا مررتم برياض الجنة	٢٤٧
استحيوا من الله حق الحياء	٢٠٩
اعقلها وتوكل	١٨٨
أفضل ما قلت أنا والنبيون	٢٢٨ ـ ٢٢٩
أقرب إلى المرء من شسع نعله (النار والجنة)	٢٤٩
أكمل المؤمنين إيماناً	٢١٥
أنا أولى من وفّى بذمته	١٠٦
أنا عند ظن عبدي بي	٦٦ ـ ١٩٦ ـ ٢٤٦
أنا فرطكم على الحوض	٢٦٧
انتظار الفرج بالصبر عبادة	١٧٦
إن أحسن الحسن الخلق الحسن	٢١٦
إن أوثق عرى الإيمان	٢٠٣
إن الله تعالى يغار	١٢٣
إن الله تعالى يقول في الدنيا	٢٤٨

طرف الحديث	الصحيفة
إن الله خلق الأرواح قبل	١٠٥
إن الله يحب معالي الأمور	٢٨٠
إن الله يقول: الحسود عدو	٢٢٦
إن الله يكره العبد البطال	٦٨
إنكم سترون ربكم	٢٦٩
إنما الأعمال بالنيات	١٦٥
إني تارك فيكم الثقلين	٢٦٦
أهل المعروف في الدنيا	٨٦
إياكم والحسد	٢٢٦
الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله	٣٤
الإحسان أن تعبد	٣٤ ـ ٢٢١
الإيمان أن تؤمن	٣٤
الإيمان بضع وسبعون شعبة	٩ ـ ٣٣ ـ ٣٤ ـ ٣٥ ـ ٢٨١
بعثت لأتمم مكارم الأخلاق	٢١٦
تخلقوا بأخلاق الله	٥٦
تعس عبد الدرهم	٤٦
تفكروا في خلق الله	١٣٩
حسن الخلق خلق الله الأعظم	٢١٧
حسن الخلق نصف الدين	٢١٧
الحج عرفة	٨١
الحلال بين والحرام بين	١٣١
الحمى من فيح جهنم	٢٤٤
خصلتان لا يجتمعان في مؤمن	٢١٨
خياركم أحاسنكم	٢١٧

طرف الحديث	الصحيفة
خيركم إسلاماً	٢١٨
خير الناس أحسنهم	٢١٧ ـ ٢١٨
الخلق كلهم عيال الله	٨٤
الخلق الحسن لا ينزع	٢١٨
دع ما يريبك	١٣٢
دعه فإن الحياء	٢٠٨
دعوة المظلوم ليس بينها	٢٧٢
الدين النصيحة	٨٠
رأس الحكمة مخافة الله	١٩٣
سئل رسول الله: أيكون	١٠٠
سيكون قوم من هذه الأمة	٢٥١
السلطان ظل الله في الأرض	٢٧٧
صاحب الشيء أحق بحمله	٢٤٠
الصبر كنز من كنوز	١٧٢ ـ ١٧٣
الصبر من الإيمان بمنزلة	١٧٥
الصبر نصف الإيمان	١٧٢ ـ ١٧٥
الصبر والسماحة	١٧٣
الصوم لي	٥٦
طلب العلم فريضة	٢٣١
الطهور شطر الإيمان	٤٤
فضل العلم خير	١٣٢
القناعة كنز لا يفنى	١٣٤
كان أحيى من العذراء	٢١٤
كفتاه طباق السماوات	٢٦٠

طرف الحديث	الصحيفة
كفر النعمة كفر	١٦٢
كل خلة يطبع عليها المؤمن	٩٦
كن في الدنيا كأنك غريب	١٨٥
كن ورعاً تكن أعبد الناس	١٣٤
الكبرياء ردائي	٢٣٧
لا إيمان لمن لا أمانة له	٩٦
لا إيمان لمن لا حياء له	٢٠٨
لا تؤتوا الحكمة غير أهلها	١٢٥
لا تحدثوا الناس بما لا تدركه	١٢٤
لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة	٧١
لا دين لمن لا مروءة له	٢٧٩
لا دين لمن لا وفاء له	٢٣٦
لا يدخل الجنة قاطع رحم	١١٤
لا يزال لسانك رطباً	٢٢٨
لا يكون أحدكم مؤمناً حتى يحب لأخيه	٨٣
لا يكون أحدكم مؤمناً حتى يكون هواه	٤٢
لكل أمة مجوس	١٤٧ ـ ١٤٨
لم يبق من النبوة الأولى إلاّ	٢١٠
لم يشكر الله من لم يشكر الناس	١٨٠
لن تضلوا ما إن تمسكتم	٦٧
لن تقدس أمة لا يؤخذ	٨٨
ليس بين دعوة المظلوم	٢٧٣
ليس الرجل رجل الدنيا	٦١
ليس مني ذو حسد	٢٢٦ ـ ٢٢٧

طرف الحديث	الصحيفة
ما زال جبريل يوصيني بالجار	١١٨
ما شادّ الدين أحد	٧٥
المرء مع من أحب	٢٠٤
المسلم من سلم المسلمون	١٠٩
من أتاكم وأمركم جميع	٢٧٧
من أحب لقاء الله	٢٧٠
من أحيا سنتي فقد أحبني	٢٠٢
منبري على حوضي	٢٦٧
من تشبه بقوم	٢٠٤
من تواضع لله رفعه	٢٣٨
من حسن إسلام المرء	٢٣٤
من ذكرني في ملأ	٢٢٩
من رضي بالله رباً	١٩٠
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً	١٢٠
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم	١١٩
من لم يرض بقضائي	١٩٠
ناركم هذه التي توقدون	٢٤٥
هو سرّ من سرّي استودعته	١٦٧
وإن هذه الأمة ستفترق	٧٤
والذي نفس محمد بيده لآنيته	٢٦٧
والله لا يؤمن، والله لا يؤمن	١١٧
.. وتؤمن بالقدر كله	١٤٧
وقف كافر على رأسه الشريف ﷺ	١٨٨
وما يزال الرجل يصدق	١٠٠

طرف الحديث	الصحيفة
وهل الدين إلا الحب في الله	٢٠١
يأتي في آخر الزمان قوم	٢٠٥
يخرج قوم من أمتي يقرأون القرآن	٢٧٦
يقول الله تعالى	٢٧٣
يكفرن، قيل: يكفرن بالله؟	١٦٢
يوشك أن تداعى عليكم الأمم	٦٦

* * *

فهرس الآثار والأقوال الواردة في هذا الكتاب

طرَف الأثر أو القول	القائل	الصحيفة
ـ أعقلُ القومِ أحسنُهم	سيدنا عليّ	٢١٦
ـ البَرُّ لا يؤذِي	الروّاس	١١٠
ـ تعال بنا نؤمن ساعة		٢٣٢
ـ التوحيدُ ظاهرُ البرهان	بهاء الدين محمد مهدي الروّاس	١٣٨
ـ التوحيدُ وجدانُ تعظيمٍ	الرفاعي	١٣٨
ـ الحسود لا	بعض السَّلف	٢٢٦
ـ الذي يرى بطلان الإمامة	الشّكوري	٢٧٧
ـ الرّجُل المتمكّنُ لو	الرفاعي	١٩٧ ـ ١٩٨
ـ الكِبْرُ خُلّةٌ ذميمةٌ	الرفاعي	٢٣٨
ـ المروءة أن يَحتملَ	سيدنا عليّ	٢٧٩
ـ المؤمنُ مبرقَعٌ بالحياء	الرفاعي	٢١١
ـ النيّةُ تُصرَفُ للخير	محمد مهدي بهاء الدين الصيادي الرفاعي الشهير بالرواس	١٦٦
ـ إنّ أَوْلىٰ الناس	سيدنا عليّ	٢٧٩
ـ رَبُّ الشّبهة	الرفاعي	٩٥
ـ سألتُ حذيفة	الحسن البصري	١٦٧
ـ صحيحُ الرّجاء	الرفاعي	١٩٧
ـ طريقي صحيحُ الاستناد	الرفاعي	٢١١
ـ قال قومٌ: صادفَتْ	الرفاعي	١٤٩
ـ كان خلقه القرآن	السيدة عائشة	٢٦

طَرَف الأثر أو القول	القائل	الصحيفة
ـ كُلُّ الخير	سيدنا عليّ	٢١٠
ـ كُلُّ طريقةٍ خالفتْ	الرفاعي	٢١١
ـ لو لقيتَ اللهَ	سفيان الثوري	٢٧٣
ـ ما تكبَّر متكبّرٌ إلا	الرفاعي	٢٣٨
ـ ما ملاك الدين؟	الحَسَن البصري	١٣٢
ـ مذهبُنا الاقتداء	الإمام التُّسْتَري	٢١٠
ـ مذهبُنا مقيَّد بالكتاب	الإمام الجُنيد	٢١١
ـ من ادَّرع	الرفاعي	١٧٦
ـ من كان حِلْسَ	الرفاعي	٧١
ـ من لا يرى للسلطان	الإمام التستري	٢٧٦
ـ هل من ذنبٍ يوجب	(ـ)	٢٧٢
ـ والذي يَحلِفُ به	عبد الله ابن عمر	١٤٧
ـ واللهِ لو سقطَ جَذْي	عمر (الفاروق)	١٢٦
ـ يَزَعُ اللهُ بالسلطان	الإمام التستري	٢٧٧

* * *

فهرس الأشعار

مطلع البيت	القائل	الصحيفة
ـ أذانُ الناس	سراج الدين الصيادي	١٨٦
ـ اِرتدِ الدهرَ	محمد مهدي الصيادي	٢١٤
ـ أقول لِمَنْ	الرفاعي	٢٢٥
ـ إلٰهي لئِنْ	سيدنا عليّ	١٩٧
ـ أنا عبدُ	(ـ)	٢٢٤
ـ إنّ الشريفَ	سراج الدين الرفاعي	٢١٩
ـ تحكَّمَ سلطانُه	(ـ)	٢٥٧
ـ تدرّعْ بدرع	مؤلّف الكتاب	١٧٧
ـ تواضعَ كالنّجمِ	إبراهيم المصطفوي الفاروتي	٢٣٩
ـ خُذْ بالمروءةِ	مؤلّف الكتاب	٢٨٠
ـ قالوا: عُبَيدٌ	مؤلّف الكتاب	١٨٢
ـ كُنْ عالِماً	الرفاعي	٤٨
ـ واللهِ ما قال	(ـ)	١٩
ـ وكَم للهِ	(ـ)	٢٢٤
ـ يا مصطفى مِنْ	(ـ)	٢١٩

* * *

فهرس الأعلام

العَلَم ... الصحيفة

ـ سيدنا (إبراهيم) عليه السلام ١٨٩
ـ (إبراهيم المصطفوي الفاروتي) ٢٣٩
ـ (ابن عباس) ٢٥١
ـ سيدنا (أبو ذر) جندب بن جنادة ٢١٦
ـ الإمام (أحمد الرفاعي) ..... ٤٨ ـ ٦٢ ـ ٧١ ـ ٩٥ ـ ١٣٨ ـ ١٤٩ ـ ١٧٤ ـ ١٧٦ ـ ١٨٦ ـ ١٩٧ ـ ٢١١ ـ ٢٢٥ ـ ٢٣٨ ـ ٢٣٩
ـ الإمام (الحسن البصري) .... ١٣١ ـ ١٦٧ ـ ٢١٥
ـ الإمام (الحسن) ـ السِّبط الأعظم ـ ٢١٥
ـ بهاء الدين محمد مهدي (آل خُزَام) الصيادي الرفاعي. ٨١ ـ ١٣٨ ـ ١٦٦ ـ ٢١٤
ـ الإمام (الجُنَيد) ٢١١ ـ ٢٧٢
ـ (سراج الدين الصيادي الرفاعي المخزومي) ..... ١٨٦ ـ ٢١٩
ـ (سفيان الثوري) ٢٧٣
ـ (سهل بن عبد الله) التستري .... ٢١٠ ـ ٢٧٦ ـ ٢٧٧
ـ (الشّكوري) ٢٧٧
ـ (عبد الله بن بُسر) ٢٢٨
ـ عبد الحكيم بن سليم عبد الباسط السقباني الدمشقي ٢٨
ـ (عبد الملك ابن حبيب) ٢٥١
ـ سيدنا (عليّ) كرّم اللهُ وجْهَه .... ١٥ ـ ١٣١ ـ ١٩٧ ـ ٢٠٩ ـ ٢١٦ ـ ٢٧٦ ـ ٢٧٩

العَلَم	الصحيفة

ـ سيّدنا (عمر بن الخطاب) رضي الله عنه. ٢٥١
ـ (مسيلمة الكذّاب) ٢١٣
ـ والد المؤلّف ١٧١

* * *

فهرس البقاع

البقعة	الصحيفة
ـ استنبول	١٧ ـ ٢٣
ـ أورفة	١٦
ـ بشكطاش	٢٣
ـ بغداد	١٦
ـ جزيرة الأمراء	٢٣
ـ جسر الشغور	١٧
ـ حلب	١٤ ـ ١٦ ـ ١٧ ـ ٢٣
ـ خان شيخون	١٤
ـ الرها	١٦
ـ رينكيبو	٢٣
ـ كفر دبين	١٧
ـ معرة النعمان	١٤ ـ ٢٣

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصحيفة
بداية الكتاب	٣١
نفع الشرع المحمدي	٣٢
تمهيد لطيف	٣٣

الشعبة الأولى

شهادة أن لا إله إلا الله

الموضوع	الصحيفة
قدرها ـ معناها ـ من أسرارها	٣٦

الشعبة الثانية

الإقرار بأن محمداً رسول الله ﷺ

الموضوع	الصحيفة
تكذيب سيدنا رسول الله ﷺ	٣٨
تأييد المعجزات	٣٩
سرُّ الوحدانية	٤٠
إقرار النبوة	٤١
بواعث الفتن	٤٢
اتباعه ﷺ شرط الإيمان	٤٢

الشعبة الثالثة

الغسل من الجنابة

الموضوع	الصحيفة
حكمة غسل الجنابة	٤٣
حكمة الغسل المادية	٤٣
حكمة الغسل المعنوية	٤٤
الإيمان والطهور	٤٤
غسل اليدين ـ المضمضة ـ الاستنشاق	٤٥

الموضوع	الصحيفة
غسل الوجه ـ غسل العنق	٤٦
عبد الشهوة	٤٧
غسل الظهر ـ غسل الصدر	٤٨
غسل البطن ـ العورة ـ الرجلين	٤٩
ثمرة الطهور	٤٩

الشعبة الرابعة

الوضوء

باب المحاضرة مع الله تعالى	٥٠
حقيقة الطهارة	٥٠

الشعبة الخامسة

الصلاة

أحكام الصلاة ـ الفرائض ـ تأديتها ـ روح الصلاة	٥١
عهد الله وثمرته	٥٢

الشعبة السادسة

الزكاة

فرضيتها ـ معناها	٥٣
منع الزكاة	٥٤
مانع الزكاة	٥٥

الشعبة السابعة

صوم رمضان

تعريفه ـ معناه	٥٦
حكمته ـ ثمرته	٥٧
تكميل	٥٨

الموضوع	الصحيفة

الشعبة الثامنة

الحج

فرضيته ـ رتبته ـ شبه المؤمن ٥٩
معاني الحج ٥٩
المعاني الدنيوية ٦٠
الحج على لسان مولانا الرفاعي ٦٢
تدبر أسرار الحج ٦٣

الشعبة التاسعة

الجهاد

فروض الجهاد ٦٤
الاستعداد للجهاد ـ أقسام القوة ٦٥
تسلط العدو من المخالفات ٦٧
زهد المسلمين ٦٩

الشعبة العاشرة

الهجرة

تعريف الهجرة ـ الفرار بالدين ٧٠
الرجل الكامل ٧١

الشعبة الحادية عشرة

الاستقامة

تعريف الاستقامة ٧٣
حقيقة الاستقامة ودرجتها ٧٤

الشعبة الثانية عشرة

الجماعة

حبل الله ٧٦

الموضوع	الصحيفة
اختلاف المذاهب	٧٧
الخلاف والاختلاف	٧٨
الآل والأصحاب	٧٨
الشعبة الثالثة عشرة	
النصيحة	
تعريف	٨٠
مطلب ـ القطب الرواس يشرح (النصيحة)	٨١
النصيحة لله تعالى	٨١
النصيحة لكتاب الله تعالى	٨٢
النصيحة لرسول الله (ﷺ)	٨٢
النصيحة لأئمة المسلمين	٨٢
النصيحة لعامة المسلمين	٨٣
الشعبة الرابعة عشرة والخامسة عشرة	
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	
صورتهما	٨٥
تعريفهما	٨٥
حكمهما	٨٦
مناصرة الآمر والناهي	٨٧
واجب الآمر والناهي	٨٧
سرٌّ آخر	٨٧
ثمرة الأمر والنهي	٨٨
الشعبة السادسة عشرة	
العدل	
معناه ـ عبوديته	٩٠

الموضوع	الصحيفة

العدل مع رسول الله ﷺ ٩١

الشعبة السابعة عشرة

الأمانة

شرفها ـ ضروبها ٩٧

الشعبة الثامنة عشرة

الصدق

الندب إليه ١٠٠

لطيفة ١٠٢

الشعبة التاسعة عشرة

الوفاء بالعهود والمواعيد

أقسام الوفاء ١٠٣

وفاء عهد الله ١٠٣

وفاء عهد المؤمنين ١٠٣

وفاء المخلوقين ١٠٦

الشعبة العشرون

كفّ الأذى عن الناس

العبد الكامل ١٠٨

الاحتراز عنه ١٠٨

صنوف الأذى ١١٠

واجب المسلم ١١٠

الشعبة الإحدى والعشرون

البرور

منازل البر ١١٢

بر الباري ١١٢

الموضوع	الصحيفة
بر الوالدين: ١ـ إن كانا حيَّيْن	١١٢
٢ـ الأبوان الميتان	١١٣
الأبوان غير المسلمَين	١١٣
البر العام	١١٣

الشعبة الثانية والعشرون

صلة الرحم

أقسام الرحم	١١٤
رحم القرابة ـ رحم الإيمان	١١٥
كيفية الصلة	١١٥
الرحم الإنساني	١١٦

الشعبة الثالثة والعشرون

إكرام الجار

حديث شريف	١١٧
إكرام الجار	١١٨

الشعبة الرابعة والعشرون

إكرام الضيف

حديث شريف	١١٩

الشعبة الخامسة والعشرون

الصّمت

حديث ـ أقسام الكلام	١٢٠
كلام العاقل	١٢١
مضحكات العارفين	١٢١
لسان المؤمن	١٢١

الموضوع	الصحيفة

الشعبة السادسة والعشرون

الغَيْرة

حديث ـ أقسام الغيرة ١٢٣
مراتب الغيرة.................... ١٢٤
الغيرة لله تعالى ولرسوله ﷺ ١٢٤
غيرة الرجل على حريمه وأهله ١٢٥
غيرته لنفسه ١٢٥
غيرته لقومه وأهل قرابته ووطنه ١٢٥

الشعبة السابعة والعشرون

ترك مالا يعني

حديث شريف ١٢٧
ما يعني المرء ـ مالا يعني ١٢٨

الشعبة الثامنة والعشرون

التقوى

تعلّق الإيمان بالتقوى ١٢٩
نجاة المتقين ومقامهم ١٢٩

الشعبة التاسعة والعشرون

الورع

ملاك الدين.................... ١٣١
جوامع الورع ١٣٢
قلّة الورع تورث البدع ١٣٣

الشعبة الثلاثون

القناعة

حديث شريف ١٣٤

الموضوع	الصحيفة

زلق فهم ١٣٥

حال القانع ١٣٥

حال الطامع ١٣٦

الشعبة الحادية والثلاثون

تصديق القلب بما أقرّ به اللسان من الإيمان بالله

سرُّ ذلك ١٣٨

دليل قِدمه تعالى ١٤١

دليل بقائه تعالى ١٤١

دليل مخالفته للحوادث ١٤١

دليل عدم الجهة ١٤٢

دليل استغنائه تعالى عن المكان ١٤٣

الشعبة الثانية والثلاثون

الإيمان بالصفات والأسماء

أهمية التصديق بهذه الشعبة ١٤٤

سرّ صفات العبد ١٤٤

أقسام أسمائه تعالى ١٤٥

الشعبة الثالثة والثلاثون

الإيمان بالأقدار

الإيمان بالأقدار ١٤٧

الشعبة الرابعة والثلاثون

الإيمان بالأنبياء والرسل

الحاجة إليهم ١٥٠

تأييدهم بالمعجزة ١٥١

معرفة المعجزة ١٥١

الموضوع	الصحيفة
المعجزة والسحر	١٥١
الكرامة والسحر	١٥٢
مزايا الأنبياء فيه ﷺ	١٥٢

الشعبة الخامسة والثلاثون

الإيمان بالكتب الإلهية

الكتب المنزلة	١٥٥
تفصيل الكتب	١٥٥
حكم الإيمان بالكتب	١٥٦
سرٌّ عظيم	١٥٦
الإيمان بالقرآن	١٥٦
زعم فاسد	١٥٦

الشعبة السادسة والثلاثون

الإيمان بالملائكة

حكم الإيمان بهم	١٥٨
أعمالهم	١٥٨
أوصافهم ـ أخلاقهم ـ صفاتهم	١٥٩

الشعبة السابعة والثلاثون

الإيمان بوجود الجنّ والشياطين

وجوب الإيمان بوجودهم	١٦٠
منكر الجن ـ صفات الجن	١٦٠

الشعبة الثامنة والثلاثون

الكفُّ عمَّن قال لا إله إلا الله، وعدمُ التكفير بالذنوب..

طبقات الكفر	١٦٢

الموضوع	الصحيفة
الفرقة التي تكفِّر بالذنب	١٦٣

الشعبة التاسعة والثلاثون والأربعون

النية والإخلاص

الفرق بين النية والإخلاص	١٦٥
سِرٌّ لطيف	١٦٨

الشعبة الحادية والأربعون

التوبة

تعريفها ـ قدرُها	١٦٩
الذنوب التي يُتاب منها	١٦٩
التوبة من الذنب	١٧٠
الدعاء لمظلومه	١٧١
سرّ التوبة	١٧١

الشعبة الثانية والأربعون

الصَّبر

معناه ـ فضله	١٧٢
لزوم الصبر	١٧٤
العناية حال المحنة	١٧٤
النعم والصبر ـ منافع الصبر	١٧٥
رسالة في الصبر للمؤلف	١٧٧

الشعبة الثالثة والأربعون

الشكر لله سبحانه وتعالى

لطائف الشكر	١٧٩
عنايته تعالى بالشاكرين	١٨١

الموضوع	الصحيفة
الشكر للمخلوقين	١٨١
جحد النعيم	١٨١
الشعبة الرابعة والأربعون	
الزهد	
معناه ـ حال الزاهد	١٨٣
سرٌّ لطيف	١٨٤
الزاهدون على قسمين	١٨٤
الشعبة الخامسة والأربعون	
التوكل	
توكل أهل الكمال	١٨٧
حال أهل القوة	١٨٨
الشعبة السادسة والأربعون	
الرضا من الله تعالى	
حديث وخبر	١٩٠
معناه	١٩١
أسرار الرضا	١٩١
الشعبة السابعة والأربعون	
الخوف من الله سبحانه وتعالى	
أَثَر	١٩٣
ثمرة الخوف	١٩٤
شأن المؤمن	١٩٥
الشعبة الثامنة والأربعون	
الرجاء من الله	
آية وتعريف	١٩٦

الموضوع	الصحيفة
مناجاة علوية	١٩٧
آداب الرجاء	١٩٧
الرجاء في كلام الإمام الرفاعي	١٩٧
سرّ لطيف	١٩٨
الشعبة التاسعة والأربعون	
الحُب في الله	
قدره	١٩٩
الشعبة الخمسون	
البغض في الله	
حب سيد الخلق ﷺ	٢٠٢
ممَّن يُبغَض في الله تعالى	٢٠٤
الشعبة الحادية والخمسون	
الحياء	
حديث شريف	٢٠٨
ثمرة الحياء ـ فضله	٢٠٩
مسلك القوم	٢٠٩
قواعد حديثية على لسان القوم	٢١١
عَوْد حسن	٢١١
الشعبة الثانية والخمسون	
حسن الخُلُق	
فضله	٢١٥
معناه	٢١٦

الموضوع | الصحيفة

الشعبة الثالثة والخمسون

اعتقاد المرء أن الله تعالى ناظر إليه

اعتقاد المرء أن الله تعالى ناظر إليه ٢٢٠

الشعبة الرابعة والخمسون

اعتقاد المرء في أعماله بأنه يرى اللهَ سبحانه

أسرار المراقبة ٢٢١

الشعبة الخامسة والخمسون

ترك اليأس والقنوط

حكم اليأس ومعناه ٢٢٣

الشعبة السادسة والخمسون

ترك الحسد

معناه ٢٢٥

صفة الحاسد ٢٢٦

الشعبة السابعة والخمسون

المداومة على ذكر الله تعالى

أفضل شرائع الإسلام ٢٢٨

الحضّ على الذكر ٢٢٨

سرُّ الذكر ٢٢٩

الشعبة الثامنة والخمسون

تعلُّم العلم وتعليمه

فضيلته ٢٣١

أشرف العلوم ٢٣٢

أقسام العلم بالله ٢٣٢

الموضوع الصحيفة

الشعبة التاسعة والخمسون

اجتناب اللغو

تعريف وخبر ٢٣٤

الشعبة الستون

كراهة الكفر

أقسام الكفر ـ كفر النعمة ٢٣٥

الشعبة الحادية والستون

التواضع

خلق الأنبياء ٢٣٧

شرف التّواضع ٢٣٨

سرّ إلٰهي ـ تواضع المؤمن ٢٣٩

أهل التواضع ٢٤٠

الشعبة الثانية والستون

الإيمان باليوم الآخر

الإيمان بالحشر ٢٤٢

الشعبة الثالثة والستون

الوثوق بوعد الجنة والخلود فيها

الخير من الجنة ٢٤٤

الشر من النار ٢٤٤

عبرة العاقل ٢٤٦

الشعبة الرابعة والستون

الوثوق بوعد النار والخلود فيها ـ والعياذُ بالله ـ

سرُّ الدارين ٢٤٨

الموضوع الصحيفة

الشعبة الخامسة والستون

الإيمان بأشراط الساعة

الإيمان بأشراط الساعة ٢٥١

أشراط الساعة ـ آثار الساعة ٢٥٢

الشعبة السادسة والستون

الإيمان بما يتعلق بالقبر وأحواله

البرزخ ٢٥٤

الشعبة السابعة والستون

الإيمان ببعث الأرواح مع الأجساد

البعث ٢٥٦

إعادة الأجسام ٢٥٧

الشعبة الثامنة والستون

الإيمان بالصراط

ثبوت الصراط ـ دلائله ٢٥٨

الشعبة التاسعة والستون

الإيمان بالميزان

ثبوته ٢٦٠

عمومه ودلائله ـ حكمته ٢٦١

الشعبة السبعون

الإيمان بالحساب

حاله ـ مجلى السؤال ٢٦٢

الشعبة الحادية والسبعون

الإيمان بالشفاعة

حكمها ـ عمومها ٢٦٤

الموضوع الصحيفة

شمولها للدارين ٢٦٥

الشعبة الثانية والسبعون

الإيمان بحوض النبي ﷺ

جَحْدُهُ ـ حديث ٢٦٦

الشعبة الثالثة والسبعون

الإيمان بالنظر إلى وجه الله الكريم

ثبوت رؤية الله تعالى ٢٦٩

حجب رؤية الدنيا ٢٧٠

الشعبة الرابعة والسبعون

وجوب التباعد عن الظلم والظالمين

ما يوجب نزع الإيمان ٢٧٢

تعريف الظلم ٢٧٣

مانع الظلم ٢٧٤

الشعبة الخامسة والسبعون

الطاعة لإمام المسلمين

.... ٢٧٥

الخارجون عن الطاعة ـ تسميتهم ٢٧٦

إنكار الإمامة ٢٧٦

افتراض الطاعة ٢٧٧

الشعبة السادسة والسبعون

المروءة

معناها ٢٧٩

الموضوع الصحيفة

الشعبة السابعة والسبعون

إماطة الأذى عن الطريق

معنى الإماطة ٢٨١

حِكَمها ٢٨٢

الخاتمة: ثمرة التحلي بشعب الإيمان ٢٨٣

- الفهارس: ٢٨٩

١- فهرس الآيات القرآنية ٢٩١

٢- فهرس أطراف الأحاديث ٢٩٩

٣- فهرس الآثار والأقوال ٣٠٥

٤- فهرس الأشعار ٣٠٧

٥- فهرس الأعلام ٣٠٨

٦- فهرس البقاع ٣١٠

٧- فهرس الموضوعات ٣١١

* * *